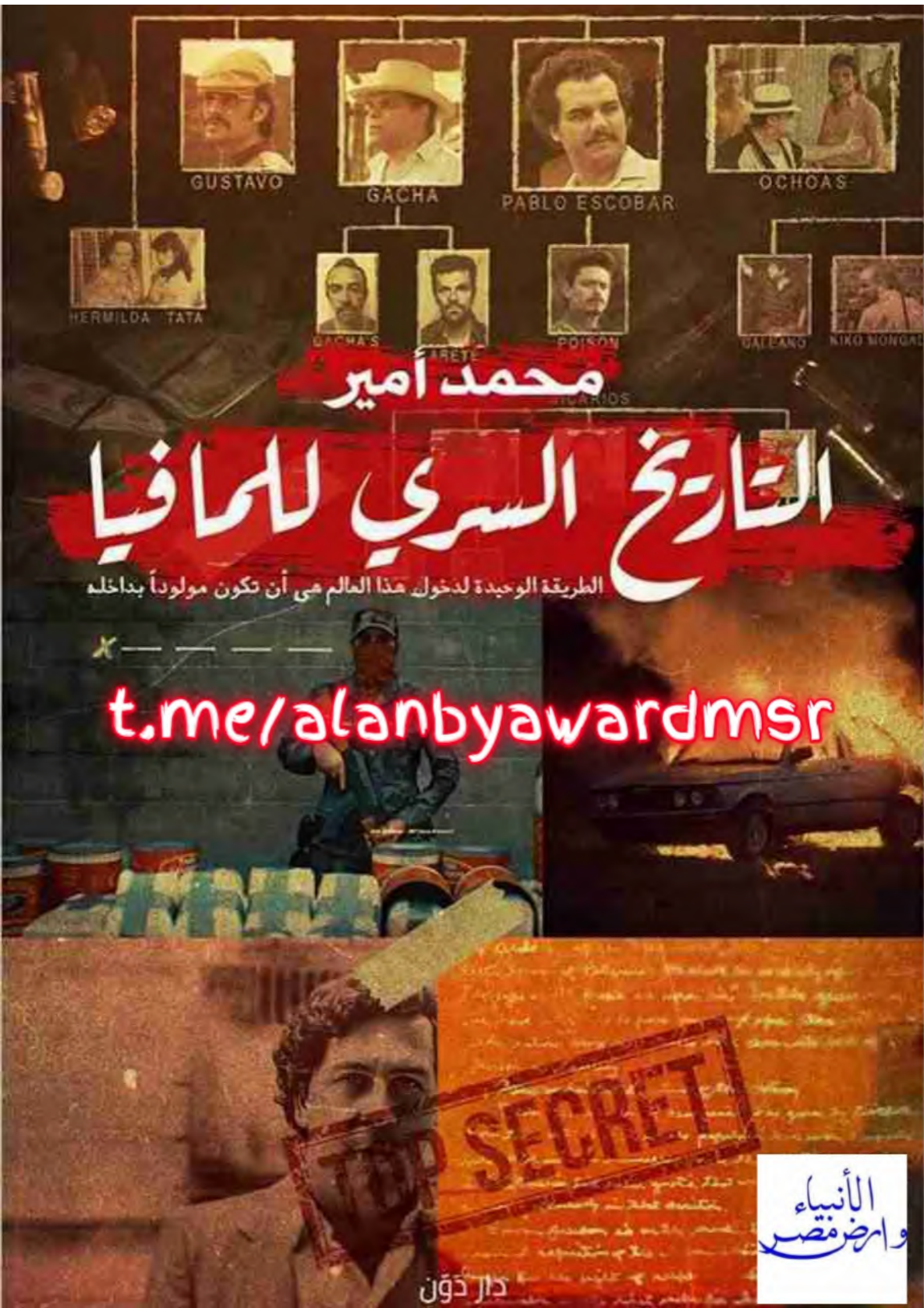
GUSTAVO
GACHA
PABLO ESCOBAR
OCHOAS
HERMILDA
TATA
GACHAS
POISON
GALEANO
KIKO MONCADA
CARETE
RICARDOS
محمد أمير
التاريخ السري للمافيا
الطريقة الوحيدة لدخول هذا العالم هي أن تكون مولوداً بداخله
t.me/alanbyawardmsr
SECRET
الأنبياء وارض مصر
دار دون

محمد أمير

التاريخ السري للمافيا

دَوِّنْ
للنشر والتوزيع

الأنبياء وارض مصر

تذكر انك حملت هذا الكتاب

من جروب الأنبياء وأرض مصر

t.me/alanbyawardmsr

لكل ما هو حصرى وجديد وقديم و

نادر و مميز

جميع الكتب مجانية

قبل أن تقرأ

العالم لا يحكمه شخص واحـد، العالم تحكمه العصابات، عصابات ومنظمات تكونت بفعل الحاجة، ففي الاتحاد قوة، وأمام كل قوة في العالم يظهر نظيرها الإجرامي.

كما نعلم فالجريمة معروفة، وهي كل ما لا يخضع للقانون والفطرة الإنسانية من تعدٍّ على الغير، والاتجار في الممنوعات وصولًا إلى قتل النفس، وكما هي البداهة الإنسانية فالشكل التصوري للمجرم في المخيلة الإنسانية دائمًا وأبدًا ما تخرج صورة المجرم على الهيئة المكروهة المشوهة قبيح الوجه، ولكن ماذا إذا كان المجرم شخصًا يحظى بشعبية كبيرة بين الناس؟ بل وماذا إذا كان يسعى إلى حكم دولته، بل وكاد أن ينجح في هذا؟

عالم الإجرام لا يتمثل في ذلك اللص الذي يرتدي هاك القميص المخطط بأبيض وأسود، وعلى وجهه آثار الضرب من جرائم سابقة، هو ليس ذلك المفتول العضلات الذي يهدد المدنيين بعصاه كما يصور لنا عقلنا عن المجرم، بل إن الإجرام لهو قائم على مؤسسات تشبه في نظامها نظام الدولة السياسي، برؤسائه ووزرائه ومجلس نوابه، مجموعة من الرجال الأغنياء يقودون ما يشبه الدولة التي يقوم اقتصادها على الجريمة والتهريب والتجارة غير الشرعية، إمبراطوريات كاملة قائمة على الجريمة وما شابهها، يسعون لتزويد حجم تجاراتهم عن طريق كل ما هو ليس قانونيًا ولا شرعيًا.

عائلات تحكم بنظام ملكي لتتحكم في التجارة غير الشرعية بشكل عالمي على أسس قائمة وضعها السابقون..

من هذا المنطلق تأخذنا الرحلة لنرى أشهر الإمبراطوريات التي أنشأها المجرمون في التاريخ.

t.me/dtanbbadrdmsr

تقديم

التسعينيات، تلك الحقبة المليئة بالصراعات والأخبار المتلاحقة، حيث إن معالم التاريخ تسطر لتنتج واقعًا جديدًا غير الذي أَلِفناه، وقد شارف العالم على الجنون في تلك الأعوام.

ففي تلك الفترة، تعرّف العالم على الإرهاب الديني، الانفجارات في الشيشان وباكستان حتى طالت أوروبا، انتفضت فلسطين بالحجارة لتطالب بالمساواة مع اليهود، انهار الاتحاد السوفييتي لأول مرة منذ نشأته؛ ليسبب صدمة للعالم بأسره، فتنفرد الولايات المتحدة بالحكم المفرد، وتشكّل وحدها القوة ضاربة بموازينها عرض الحائط، العرب يحارب بعضهم بعضًا طمعًا في براميل النفط، السعودية تتجدد، مصر تهتز بفعل الطبيعة، الإنترنت يجتاح العالم رويدًا رويدًا كالطاعون، الصومال تجتاحها مجاعة هي الأشرس في التاريخ الحديث، رائحة الموت تجتاح الكوكب بأكمله.

في ذلك اليوم المطير اجتمعنا، هو ذاك اليوم الذي أزعجت فيه جامعتنا آذاننا بالتأكيد على حضورنا لحفل التخرّج، حيث إنه اليوم الأخير الذي فيه نستعرض أبحاثنا؛ حتى يتسنى لنا التخرج بالجامعة في النهاية، فأنال الشهادة وأعاود أدراجي إلى الوطن، حيث يحتفل بي أقربائي كما هو الحال لدى الكل، تنتظرني أمي في شغف بالقبلات والبكاء والنحيب، ثم وجبة الغداء المكوّنة من المحشي والبط، فأنا كما يعلم المقربون أدرس في كلية الحقوق بجامعة باليرمو في صقلية، دولة نائية في الشرق الأوروبي، حيث الهدوء هو عملة البلاد الرسمية، تلك القطعة من الجنة كما يسميها كل من سمحت له الظروف وزارها يومًا ما،

t.me/alanbyawardmsr

حيث لا يعلم سكان الأطراف ما يدور وراء أراضيهم الزراعية وما وراء البحر، ولو انتهى العالم بالخارج فخرج المسيح ليطوف في الأرض، فلا يلقون له بالًا، بعكس سكان العاصمة والمدينة نفسها التي حكمها المسلمون يومًا ما، وأسموا الشوارع والحارات بأسماء قادتهم هناك.

في الجامعة، كنت أدرس بالسنة الأخيرة، وكي يتم تخرجي على الوجه الكامل كان عليَّ أن أقدم بحثا يتعلّق بما درست، وقد كنت أعشق مادة الجريمة؛ لما فيها من قصص مثيرة، وحكايات يشيب لها الوِلدان، حتى إن الأجواء والظروف في باليرمو في تلك الأجواء، حيث معقل المافيا لا تبشِّر بالخير أبدًا، هناك هدوء ينعكس على الأجواء، وهو هدوء كالذي يسبق العاصفة.

أنا «الحسين»، اختار أبي ذلك الاسم لي متأثرًا بعمله في العراق في مجال البترول لفترة من الوقت، كان ينتوي أن يطلق عليَّ الكاظم لولا اعتراض أعمامي وقتها؛ لصعوبة الاسم على المجتمع المصري، ولتوجهه الديني المباشر، فاكتفى بالاسم المركب الذي يرجع للعصور الوسطى، ها أنا ذا محدثكم من قلب الجامعة، درست في مصر، وكنت متفوقًا كما وصفني معلميَّ في بلدي بالشرقية، انتهيت من الدراسة الثانوية بتقدير هو الثالث على مستوى الجمهورية، وعليه فقد تم ترشيحي للدراسة بالخارج، واخترت دراسة القانون.

t.me/alanbgadoudansr

كما هو الحال دائمًا وأبدًا، وجدت لي الحكومة جامعةً مرموقةً تقبع في الشرق الأوروبي في بلد هادئ نوعًا ما لا يتحدث فيها أهلها الإنجليزية مطلقًا، فقط بعض الكلمات القريبة؛ لكون الإيطالية قريبة إلى حد ما من الإنجليزية والعربية معًا، وساعات مطولة من محاولة الفهم باللغة العالمية الشهيرة «الإشارة»؛ كي أستطيع أن أطلب الغداء، أو اشتري بعض المستلزمات أو ما أنا باحث عنه.

مرّت حياتي في أوروبا في البداية هادئة حالها كحال الدولة نفسها،

لم أجد صعوبة في التعامل مع الجيران أو الأصدقاء من حيث اللون أو اللغة أو الدين؛ لكون القرية التي كنت أسكن بها بعيدة كل البعد عن الإرهاب أو الخوف الغريزي من المختلف أو العربي، وكونهم متأثرين منذ البداية بالثقافة العربية، حتى لتظن أنك تعيش في الإسكندرية أو طنطا، ينقص المشهد شاهد عملاق يُكتب عليه «هنا يرقد الشيخ السيد البدوي» كي تكتمل الصورة، هم يرحبون بكل غريب من باب الفطرة الإنسانية، أخلاق الفلاحة والمساحات الخضراء التي تعلّم الإنسان التعايش مع الكل، وقد سعدت بالعيش والتعامل بينهم، كان هذا بالطبع قبل انتشار موجة الإسلاموفوبيا بعد أحداث سبتمبر الشهيرة.

كان حظي الحسن أنني قد قابلت طالبًا شمال أفريقي يدرس معي في الجامعة اسمه «أبوطالب»، كان لطيف المعشر لا تفارق الابتسامة وجهه الحسن، يمتاز بعيون خضراء قوية، وعلى وجهه أثر لجرح قديم كان دائمًا ما يتجنب الحديث عنه، يفهم لغة أهل البلد، فكان هو خير مساعد لي في دراستي وتعاملي مع الكل.

لم أكن أعلم ما هي ظروف دخوله إلى باليرمو والدراسة فيها بالتحديد، فقد كان يتجنّب أيضًا الحديث عن عائلته، فقط اكتفى بأنه قد جاء مهاجرًا حينما ضاق به الحال في بلده، وأقام هنا حتى اعترفت السلطات بوجوده، وسمحت له أن يستكمل دراسته هنا، وهذا يكفيني.

كما قلت فهي كانت بلدة هادئة، مساحات خضراء واسعة وهضاب مكونة من الحشائش والأشجار وبعض المباني القديمة هنا وهناك، منظر يليق بأفلام التاريخ وحكايات «الإخوان غريم» الأسطورية.

كنت أمارس طقوس ديني في العلن أمام الكل، وكانوا يحترمونها كثيرًا، بل إنهم قد تبرعوا لي بسجادة كي أصلّي عليها، لم أقابل أي مشكلة تُذكر في هذا الصدد إلا خلال عيد القديس باتريك فقط، فقد كان أهل البلدة جميعًا يحتسون الخمر، ويغيبون عن الوعي تمامًا، لربما

t.me/alambuddbardmsr

اعترض طريقي بعض الشباب السكير في ذلك اليوم، إلا أنه لم تحدث مشكلة كبيرة تُذكر، فقط بعض المناوشات التي كانت تنتهي في وقتها، حالها كحال أي دولة في العالم.

عن طريق «أبوطالب»، تعرفت على بعض الطلاب المسالمين في الكلية، وصرنا أصدقاء، مكونين من أربعة صبيان وثلاث فتيات من جنسيات مختلفة، كنت أنا و«أبوطالب» فقط العربيان الوحيدان في أصدقائنا، بل العربيان الوحيدان في الجامعة كلها.

كانت حياتي تمر بسلاسة في تلك الأوقات، أصدقاء ودراسة والحلم الأوروبي الذي طالما تكلّم عنه الروائيون والكُتّاب، حيث الهدوء، والبرد، والحانات، وليل الغابات الممطرة، والملابس المثيرة للسيدات، وفتاة أقع في براثنها فأحبها وتحبني، حياة المغترب التي تعتمد على الدراسة والبحث عن عمل وضيع أنفق منه بجانب ما ترسله لي الدولة ويرسله لي أبي، لا جديد هنا.

ثم إنها كانت نهاية الدراسة، بعد مرور أربعة أعوام من الشقاء في محاولة استثمار الوقت في المطالعة والحفظ وتنظيف بعض الحمامات وغسل بعض الصحون، خاصة حينما تكون الدراسة بغير لغتك الأم، وقد كان المشروع المقدّم للتخرج الذي اخترناه لتقديمه هو عن تاريخ المافيا.

t.me/alanbyaawardmsr

في تلك الأيام وقبل انتهاء العام الدراسي الأول لي، اجتاحت الصحف أخبار عن نشاط زعيم المافيا اللاتينية بابلو إسكوبار، وقد حاز ذلك الاسم اهتمامي الخاص، فقررت البحث وراء حقيقة ذلك الرجل، واخترت الجزء الخاص بي في موضوع البحث المشترك عنه، خاصة بعدما كان قد أعلن خبر وفاته، وهللت الصحف في الأخبار العالمية والمحلية للخبر، كان خبرًا قديمًا، لكنني قد عايشته قبل أن أسافر إلى الجامعة.

اعترض طريقي بعض الشباب السكير في ذلك اليوم، إلا أنه لم تحدث مشكلة كبيرة تُذكر، فقط بعض المناوشات التي كانت تنتهي في وقتها، حالها كحال أي دولة في العالم.

عن طريق «أبوطالب»، تعرفت على بعض الطلاب المسالمين في الكلية، وصرنا أصدقاء، مكونين من أربعة صبيان وثلاث فتيات من جنسيات مختلفة، كنت أنا و«أبوطالب» فقط العربيان الوحيدان في أصدقائنا، بل العربيان الوحيدان في الجامعة كلها.

كانت حياتي تمر بسلاسة في تلك الأوقات، أصدقاء ودراسة والحلم الأوروبي الذي طالما تكلّم عنه الروائيون والكُتّاب، حيث الهدوء، والبرد، والحانات، وليل الغابات الممطرة، والملابس المثيرة للسيدات، وفتاة أقع في براثنها فأحبها وتحبني، حياة المغترب التي تعتمد على الدراسة والبحث عن عمل وضيع أنفق منه بجانب ما ترسله لي الدولة ويرسله لي أبي، لا جديد هنا.

ثم إنها كانت نهاية الدراسة، بعد مرور أربعة أعوام من الشقاء في محاولة استثمار الوقت في المطالعة والحفظ وتنظيف بعض الحمامات وغسل بعض الصحون، خاصة حينما تكون الدراسة بغير لغتك الأم، وقد كان المشروع المقدّم للتخرج الذي اخترناه لتقديمه هو عن تاريخ المافيا.

t.me/alanbyaawardmsr

في تلك الأيام وقبل انتهاء العام الدراسي الأول لي، اجتاحت الصحف أخبار عن نشاط زعيم المافيا اللاتينية بابلو إسكوبار، وقد حاز ذلك الاسم اهتمامي الخاص، فقررت البحث وراء حقيقة ذلك الرجل، واخترت الجزء الخاص بي في موضوع البحث المشترك عنه، خاصة بعدما كان قد أعلن خبر وفاته، وهللت الصحف في الأخبار العالمية والمحلية للخبر، كان خبرًا قديمًا، لكنني قد عايشته قبل أن أسافر إلى الجامعة.

اتفقنا على أنني و«أبوطالب» وزميل ثالث من أهل البلدة سنشترك في ذلك البحث سويًا باقتراح من «أبوطالب»، الذي كان صاحب فكرة البحث من البداية، اتفقنا على تقسيم العمل علينا نحن الثلاثة، كل منا يأخذ مافيا شهيرة فيبحث فيها، وكان صديقنا «ماركو» يريد أن يبحث عن مافيا صقلية؛ لكونه من أهل تلك الدولة وهو الأحق بها، بل والأسهل عليه؛ لأنها لغته وأهله، إلا أن «أبوطالب» الذي كان لطيف المعشر دائمًا تمسّك هو بهذا المبحث، مبررًا موقفه بأنه قد بدأ فيه قبلًا، حتى إنه رفض مجرد الاعتراض على الفكرة، وظل متمسكًا بها حتى النهاية، موقف غريب من «أبوطالب»، ولكن عزوته في أنه لربما اجتهد في البحث، ولا يريد أن يبدأ من جديد في بحث آخر، واتفقنا أن ننتهي من أبحاثنا سويًا دون أن يكشف أي منا بحثه للآخر، دعونا نتفاجأ (قال «أبوطالب»).

في ذلك اليوم وقبل ليلة من مناقشة البحث، وبينما أنا قائم على اللمسات الأخيرة لبحثي، صديقنا «ماركو» احتسى بعض الخمر ليحتفل، وغاب قليلًا عن وعيه، وفي قمّة نشوته اصطدم بي وقد قررت أن أحاول إفاقته ليعمل على مشروعه الخاص حتى نلملم الدقائق الباقية ما قبل التقديم.

ولكن ما لم أكن أضعه في الحسبان أن «ماركو» كان متنمّرًا بطبعه، بل إنه يكنُّ قلة الاحترام لكل من هو ليس من جنسه، تأخذه العنصرية قليلًا للإنسان الأبيض كما كان حال النازية ومريديها، حتى إنه كان يخبرنا عن بكائه يوم هدم سور برلين عام ١٩٨٩م، وكيف أن أهله قد منعوه من السفر، وهو الذي كان يريد أن يلتحق بألمانيا؛ كي يحاول منع الناس من هدمه، حيث إنه الرمز الوحيد الباقي من أمجاد الإنسان الأوروبي الأبيض؛ على حد وصفه.

دخل «ماركو» في حالة سُكْر، وحينما شارف على فقدان الوعي، بدأ في الاستهتار بفكرة البحث التي كنت قد كشفت عنها من قبل،

ثم ظل ينعت العالم الثالث ببعض العبارات الحادة، والتي تدعو إلى الكراهية والعنف، وقد استفزَّني استهتاره ببحثي، والاستهزاء مني، فلم أدر بنفسي إلا وأنا أكوِّر قبضتي وألكمه، فأنا شرقي كما تعلمون، ونشبت بيننا مشاجرة حطَّم فيها ماركو زجاجة جعة كي يحوِّلها إلى سلاح يهددني به بالذبح، ثم انتهت بالتهديد والوعيد والسباب العنصري على غرار التوعُّد بالضرب أن لم أحزم أغراضي وأعود إلى الجِمال والصحراء... إلخ.

دار الحوار كما أتذكر كالآتي:

أنا: عليك بالإفاقة يا «ماركو»، فأنت قد صرت تتقيّأ الحديث، ولا تدري ما تقول.

«ماركو»: وما دخل البربري في تصرفاتي؟ هل.. هق... تظن نفسك طالبًا بحق؟

أنا وقد بدأت في الغضب نوعًا ما: بربري؟ عمّ تتحدّث؟

«ماركو»: لقد قرأت بعضًا مما... هق... كتبت في البحث، هذا هراء، وقد توقع نفسك في مشاكل جمّة، أنا لا أهتم ولكنَّك.. هق... مزيَّف أيها العربي، لا لن نشارك معك في هذه الترهات.

أنا وقد كوَّرت يدي تحسّبًا لمعركة وشيكة: أفق يا «ماركو» وإلا جعلت قبضتي تفيقك.

«ماركو»: وبماذا ستضربني؟ بالجمل يا ابن الصحراء؟ عد بأدراجك إلى أصحاب اللحى من أهلك؛ فالخيمة تشتاق لرائحتك.

ثم أمسك زجاجة فارغة من الزجاجات التي احتساها، وكسر عنقها ليحولها إلى سلاح قاطع، وكنت أنا في طريقي لنحر عنقه حرفيًا بسلاح مماثل، إلا أن «أبوطالب» في اللحظة الأخيرة تحرَّك في اتجاهنا، وقفز فوقنا ليوقفنا، وقد كان «أبوطالب» يتميَّز بجسد قوي.

قال «أبوطالب» مدافعًا: ولماذا إذن لا ترينا يا «ماركو» مهارات

t.me/alanbuawardsr

الطالب السكير؟ أرنا بحثك إذن.

«ماركو»: بحثي سيكون هو الـ... هق... نجم في هذا الحفل، سترى أيها البربري أيضًا.

«أبوطالب» ضاحكًا: المهم أن ترى أنت فيبدو أنك لا ترى قيد أنملة أمامك.

ربتت على كتف «أبوطالب»، فقد حاول التدخُّل لفضِّ تلك المشكلة بتحويلها إلى تحدٍّ دراسي بيننا عمن يأتي بالموضوع الأكثر إثارة عن المافيا وتاريخها، وبيني وبينه لجنة التحكيم في الجامعة.

كان مشروع التخرج في المجمل هو عبارة عن تقسيم الطلبة إلى مجموعات، وكل فرد في مجموعتنا الصغيرة المقتصرة عليّ أنا و«أبوطالب» و«ماركو» أن يبحث عن أشهر عائلات المافيا وتاريخها وتحليل شخصياتهم ومناقشتها أمام الجميع في احتفالية آخر العام، وقد وقع اختياري أنا على بابلو إسكوبار.

وفي يوم التخرّج الموعود، لم تكن الشوارع صاخبة كما عهدتها بجانب الجامعة، هناك شيء محيِّر يخيِّم على الأجواء، وكأن النيزك سوف يضرب الأرض بعد قليل، تلك الحالة من الصمت المطبق حتى من صوت الرياح، هو الهدوء الذي يسبق العاصفة ولا شك.

ثم بدأ الاحتفال، اليوم الذي سأتسلَّم الشهادة، فأترك فيه أوروبا كلَّها بثلوجها وأكواخها الخشبية في ريفها ومبانيها الشاهقة في العاصمة، فأعود أدراجي إلى أحضان أهلي ودفء الشمس التي تعانق المحصول صيفًا وشتاءً، هو يوم انتظرته في الغربة بشدة، أرَّق ليلي ساعات وأيامًا أنتظر هذا اليوم، عليّ أن أترك أوروبا بأي حال من الأحوال، فقد تراءى لعلمي بعض الشكوك التي تطارد أحدهم، والذي لربما سببت لنا الجحيم هنا إذا ما استمرَّت الحياة في تلك الدولة شبه الأوروبية.

في ذلك اليوم الموعود، وصلنا بالطبع قبل الجميع؛ كي نراجع ما

t.me/alanbyawardsmsr

نحن بصدد تقديمه، في حضور الكثير من الطلبة والزملاء والأساتذة وغيرهم، وقد زاد الإقبال بشكل ملحوظ، وهو ما جعلني أتساءل عن كنه هذا الحضور، فهي ليست خطبة لرئيس الجمهورية!

ثم إنه في الساعة المحددة صمتت همهمات الجمهور بخروج مقدِّم الحفل للتقديم، وكنت أنا أصارع بعض الأحاسيس الداخلية المتنوعة بين الخوف من المواجهة، والفرحة بانتهاء تلك الأعوام على خير، وبين تذكُّر المجهود الذي بذلته على هذا البحث، بين هذا وتلك، لمحت بطرف عيني «أبوطالب» وقد كان أكثرنا توترًا، توتر لا يليق ببنيانه الضخم وعضلات صدره التي خرجت من قميصه لتبرز في إقدام أمام الجميع، كيف يتوتر هذا؟ لا أدري، هو طالب جامعي مثله مثلنا، لكن بنيانه يليق برجال العصابات أكثر، كان «أبوطالب» هائمًا جيئةً وذهابًا وهنا وهناك كمن يطوف حول الكعبة، يصدر همهمات غريبة، يبدو أن لديه خوفًا من المواجهة، فقطرات عرقه تلك تدل على هذا.

أما «ماركو»، فقد كان واثقًا من نفسه بشكل مبالغ فيه، عيناه شهوانيتان تنظران إليَّ ليبتسم ابتسامات شريرة كمن يقول: «أنا من سينتصر»، في عينيه الكثير من المعاني الانتقامية التي شعرت بها كمن ينتظر لحظة الانقضاض على الفريسة ليفترسها، وحش كاسر هو بالرغم من بنيانه الضعيف، لم أكن أتصوّر أن زميل الدراسة الذي أكلت وشربت معه على مدار أربعة أعوام قد يكرهني لمجرد أنني لست ذلك الأوروبي الأبيض الذي لا يرتقي لمصادقته، ولم أكن أريد أن تنتهي صداقتنا بهذا الشكل، لا أدري لماذا كل هذه العنصرية المفاجئة؛ فقد كنا أصدقاء، وقد صرَّح لي من قبل باحترامه لي، لا أدري.

بدأ الاحتفال سريعًا، وبعد الاحتفال والتقديم، اختارتني اللجنة لأكون أوَّل المناقشين لذلك البحث، وصعدت بين المهللين فوق عيون «ماركو» الغيور العنصري إلى منصَّة الحديث، نظرت إلى

الحاضرين ثم إلى ما جمعت من أوراق، وبدأت القراءة من أوراق بحثي، لاحظت أن القاعة كانت تحيطها مجموعات من قوات الشرطة والجيش الملثمين متجهزين لأمر ما، وهو أمر استغربته في البداية، ولكنهم أخبروني أن واحدًا من أشهر السياسيين في باليرمو سوف يحضر بنفسه المناقشة؛ لاهتمامه الخاص بالموضوع، حيث إنه كان من المرشحين لسباق الرئاسة أو ينتوي، وكانت مقاومة المافيا من وعوده، خاصة أن صقلية هي بلد منشأ المافيا في العالم كله، وقد كان أحد أجزاء البحث يختص بالمافيا في صقلية، على العموم قد ارتبكت عندما رأيت التحضير والأسلحة، ثم إنني ابتلعت ريقي، وشرعت في قراءة ما في يدي من أوراق.

t.me/alanbyawardmsr

المافيا

بما أني أول المتحدثين سيداتي وسادتي الحضور الكريم، فسأكون أنا أول من يقرأ عليكم المقدمة عن موضوع البحث الذي اخترناه أنا وصديقيَّ؛ لتقديمه إليكم، فأرجو من حضراتكم الصبر إذا ما بدرت مني دون قصد أي مط أو تطويل، يبدو أن القدر قد اختارني لأكون أنا أول الباعثين عن الملل بينكم سادتي.

أصوات ضحك بين الجمهور.

في البداية أسأل سؤالًا تعريفيًا: ما هي المافيا؟ ومن أين أتى الاسم؟ وما دورهم في العالم؟ وما هو النشاط؟ أسئلة كثيرة يا حضرات قد خطرت ببال كل من له صلة بالجريمة وتاريخها إن كان من قريب أو من بعيد، حيث ينجذب كل من له باع في البحث إلى أساليب تعامل وترابط المافيا في كل دولة لدرجة الانسجام والطاعة الكاملة للأب الروحي، ثم يصبحون هم المسيطرين على دول كاملة بالجريمة، وكل ما هو غير قانوني.

في بعض الأوقات يصيغون قوانينهم بأنفسهم، دستورهم الذي يحكمهم من كبيرهم إلى صغيرهم، مميزين بالنظام الصارم الذي

t.me/alqanbyaawaramsr

ينعكس على اقتلاع الحياة نفسها، فأنت إن أردت الانضمام فأنت تتخلى عن حياتك في المقابل.

تتميز المافيا دائمًا بملابسهم الأنيقة وأسلحتهم النارية المتوفرة دائمًا، أما عن الاغتيالات فحدِّث ولا حرج، من يخالِف يُغتال، وإن كان أكثرهم نفوذًا وقوَّةً.

فلنبدأ إذن بالاسم، من أين جاء اسم المافيا؟

هناك الكثير من النظريات التي ناقشت تلك المعضلة على مدار الأعوام، ولكنها جميعًا تتفق على اتفاق واحد أنها بدأت في صقلية.

يُرجح البعض إلى أنه في القرن الثالث عشر عندما غزت قوات الفرنجة أو الجيش الفرنسي أراضي صقلية تحديدًا في العام ١٢٨٢م، فعندما غزت القوات الفرنسية أرض صقلية، وأشاعت فيها القمع والقتل كما هو معهود عن حقبة الاحتلالات، تكونت منظمة سرية لمقاومة هذا الاحتلال تحت مسمّى MORTE ALLA FRANCIA ITALIA ANELA

أو كما هي بالعربية «موت الفرنسيين هي صرخة إيطاليا»، فتكونت جملة المافيا من الحروف الأولى للجملة الصقلية.

هناك رأي آخر يذكره بعض زعماء المافيا المشهورين في العالم، ذلك الرأي يقول إنه في صقلية في وقت الغزو الفرنسي المذكور أعلاه، أحد الجنود الفرنسيين قد قام بخطف فتاة محلية من صقلية ليلة عرسها ومن ثم اغتصبها، فخرج الشعب الصقلّي في أحداث عنف ومقاومة شهيرة ضد الغزاة، ثم انتقلت إلى إيطاليا كلها؛ انتقامًا لشرف تلك الفتاة المكلومة، وقُتِل على إثر تلك الأحداث المئات من الجنود الفرنسيين، وكان شعار تلك الأحداث هي صرخة أم الفتاة التي راحت تركض في الشوارع كالمجنونة على ابنتها المخطوفة فكانت تصرخ: «مافيا».

وهنالك رأي آخر أن الكلمة مأخوذة عن كلمة من اللهجة المحلية السيسيلية التي هي Mafiusu والتي هي مأخوذة بدورها عن الكلمة العربية

t.me/dalnbudbardmisr

«مهياص»، والتي معناها عدواني وعنيف ومتشدق، ورأي آخر يقول إنها مأخوذة من كلمة «مرفوض» بالعربية، ورأي يقول إن العصابات التي كانت تقاوم الغزو الفرنسي كانت تنفذ عمليات اغتيال ضد الفرنسيين، ثم يختبئون بداخل المدن الشعبية، فعندما كان الفرنسيون يدخلون البيوت ليفتشوا عنهم، كان السكان من الأصول العربية ينطقون «مافي مافي» أي لا يوجد منهم هنا، فأطلقت عليهم.

إلصاق الجمهور الكلمة بالمنظمات الإجرامية المتخفية قد يكون سببه استُلهم من مسرحية سنة ١٨٦٣ بعنوان «I mafiusi di la Vicaria» (The Mafiosi of the Vicaria) لكل من Giuseppe Rizzotto و Gaetano Mosca

والتي تتحدث عن عصابة في السجن في باليرمو لها سمات مشابهة للمافيا من مدير، وطقوس بدء، والحديث عن «umirtà omertà» أو قانون الصمت.

لقيت المسرحية وقتها نجاحًا كبيرًا في جميع أنحاء إيطاليا، حيث تهافت الجمهور ليشاهدوها، ثم انتشرت على لسان العامة الكلمة التي تردَّدت بين طيَّات تلك المسرحية وهي «مافيا»، والتي ظهرت بعد عرض المسرحية بفترة وجيزة في التقارير الرسمية التي وصفت تلك العصابات حينها، وردت الكلمة لأول مرة.

t.me/alanbyawardnsr

في العام ١٨٦٥م في تقرير لمحافظ باليرمو المسمى Filippo Antonio Gualterio.

الكثير من النظريات قد أطلقت على أصل الاسم، ولكنها في النهاية هي التسمية الدارجة لتلك الجماعات المنظمة التي تمارس الجريمة بشكل أشبه بالاقتصاد الدولي.

المافيا ظهرت بشكلها الشهير في صقلية بإيطاليا كما هو معروف، ظهورها الأشهر كان في منتصف القرن التاسع عشر كجماعات إجرامية

تمارس الابتزاز في باليرمو وما حولها من مزارع البرتقال والليمون، وأصبحت بحلول الربع الأخير من القرن التاسع عشر القوة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المسيطرة في غربي صقلية، حتى إنها ضمَّت بين طياتها بعض الشخصيات الأرستقراطية والحاكمة في إيطاليا نفسها، وأصبحت من أكبر القوى الاقتصادية والسياسية المسيطرة وقت نشأة إيطاليا.

كانت إيطاليا مقسّمة لطبقتين، طبقة حاكمة وطبقة أصحاب الأراضي، فتغلغلت المافيا بين الطبقتين لتفرض سيطرتها على الجانبين، كما كانت المحرك للعديد من أفراد الحكومة ورجال الأعمال، ويتبع أفرادها شفرة خاصة تمنع إفادة الشرطة بالجريمة. خلال الفترة الفاشية وقت حكم موسوليني، والذي بدوره قام بمطاردتهم، فهرب الكثير من أعضاء المافيا إلى الولايات المتحدة؛ خشية الاضطهاد والسجن.

ما هي المافيا؟ وما هي أسس تأسيس المافيا؟

لكي نفهم الفكرة من تأسيس ووجود المافيا، علينا أن نفهم أساسيات التكوين من البداية، وعلى أي أساس تقوم.

المافيا تقوم على أساس العائلة، العائلة هي ركيزتها، وفكرة نشأتها ووجودها، هي نواة المافيا التي يرتبط أعضاؤها فعليًا في ما بينهم بالانتماء إلى أسرة واحدة بالقرابة أو الزواج أو على الصداقة الوثيقة، اعتمدت في عملها في بادئ الأمر على إرسال الكثير من الخطابات إلى الأثرياء؛ لمطالبتهم بدفع مبالغ مالية كنوع من الفرض؛ لتأمين حماية شخصية لهم من المجرمين الذين غالبًا ما يكونون هم أنفسهم، يسلبون المال منهم بعد تعريضهم للخطر، وكان مصير الأشخاص الذين لا يستجيبون لمطالب المافيا التفجير أو الخطف، وفي النهاية القتل، لا مفرَّ من التعاون معهم، وبالرغم من ذلك اشتهرت المافيا في إيطاليا باحترام الإيطاليات، وعدم النظر إليهن بسوء، وهو تناقض تام بين ممارسة الممنوعات واحترام الأسس والتقاليد، وهذا هو ما يميز عائلة المافيا.

t.me/alanbyaawardmsr

بدأت الهياكل التنظيمية لجماعات المافيا في بداية تكوينهم الأول، في صورة مجموعات، تُعرف باسم Cosche تكونت كل مجموعة من عشرين شخصًا لهم قانونهم ونظامهم الداخلي. يتخذ تنظيم تلك المجموعات تسلسلًا هرميًا من الأعلى إلى الأسفل، يتمثل الجزء العلوي من الهرم بشخص يسمّى الكابو أو الرأس، وهو الحاكم الفعلي الوحيد في العائلة وأقوى أفرادها، ويمثل رأس السلطة الهرمية، وهو منفصل عن العمليات الفعلية بعدة طبقات من السلطة، يتلقى جزءًا من أرباح كل عملية يقوم بها أفراد الأسرة، وهو المستشار والرئيس والأب الروحي للتنظيم، وبدونه لا تقوم عائلة للمافيا.

من بعد الكابو يأتي المستشارون، يختار الكابو بنفسه مستشارَين اثنين مهمتهما إسداء النصائح القانونية، من دون أن تكون لهما أي صفة تقريرية، التوسط في نزاعات الأسرة، الاهتمام بالجانب الاقتصادي والأعمال المشبوهة، ويكونان عادة من رجال العصابات غير المشهورين الذين يمكن الوثوق بهم.

يأتي بعد هذا مساعد الرئيس نفسه، والذي يعينه الرئيس «أو الأب الروحي» بنفسه؛ ليكون خير عين له ومسئولًا عن سائر المستشارين والملازمين.

هنا تأتي الطبقة التي تلي هذه الطبقة، ألا وهي طبقة الملازمين أو الكابتن، وهم في العادة اثنان فأكثر على حسب حجم العائلة نفسها، يكونون غالبًا من أبناء الأب الحقيقيين، يختارهم الرئيس أو الأب الروحي بعد ترشيح من المستشارين.

كل عائلة تتكون من خمس أو ست مجموعات بعدد عشرة جنود لكل مجموعة، فوق كل مجموعة يأتي دور الكابتن في القيادة لتلك المجموعة المصغرة، يدير الكابتن شئون عائلاته الصغيرة، ولكن يجب أن يتبع الأوامر التي يضعها الرئيس، وأن يدفع له حصة من مكاسبه

الشخصية، والتي يجنيها مع عصبته الصغيرة.

يلي الكابتن أعضاء عاملون من ضباط وجنود، أو ما يسمّى بالمافيوزو، لا يلتقون أو تكون لديهم أي علاقة بشكل مباشر مع الرئيس الأعلى، والمافيوزو غير مرتبطين بالعائلة بشكل مباشر، بل يكونون من أصول إيطالية وصقلية، أي أنهم يكونون مصنوعين، يبدأ الجنود بصفة منتسبين أو مساعدين أثبتوا أنفسهم، وغالبًا ما يرشحهم الكابتن ليتم قبولهم لاحقًا في مجموعة الكابتن الذي رشحهم، ثم تأتي الطبقة الأخرى، وهي طبقة المساعدين من الخارج، ليسوا أعضاء في العائلة، ولا ينتسبون لها، بل إنهم يتولّون فقط دور الوسيط بين العملاء وأعضاء المافيا، ويبيعون المخدرات بدورهم، حتى يزيلون عن أعضاء المافيا أي شبهات، وهم لا يطمحون أبدًا في أي نوع من أنواع الترقيات، فقط يظلون في درجتهم الوظيفية، كما هم، بل إن جميع أعضاء المافيا كذلك، فالجندي يظل جنديًا، وكذلك الملازمون والكابو والمستشارون، يمكننا أن نقول إنها وظائف أبدية إلى أن يجدَّ جديد أو ينقلب الحال.

الزعامة فقط هي التي تتغيَّر، حيث إن الزعامة وراثية مثل أي نظام ملكي، حينما يتنحّى أو يقتل الرئيس فيحل محله ابن الرئيس الذي اختاره الرئيس قبله، أو أكبر أبنائه بالتزكية، أما دونا عن هذا فلا يوجد تغيير.

الترابط الأسري بين أعضاء المافيا هو الأساس والمبدأ، يترابطون بالعهدة والدم، يتزوجون من بعضهم بعضًا، وذلك الترابط هو محور قوة تلك العصابات في أي دولة في العالم، دائرة مغلقة متغلغلة بالدم، لا يدخلها أو يخرج منها غريب.

تراعى قواعد تسلسل القيادة والطبقات الهرمية بشكل حازم مستحيل اختراقه، وتدار الأموال بهذا التسلسل، وبنسب معينة لا يخرج عنها عضو واحد من العائلة، ولا يُسمح للعضو بأن يتعامل إلا مع القيادات التي تعلوه مباشرة من دون أن يعرف شيئًا أو شخصًا بعد ذلك،

كذلك يجهل بقية الضباط والجنود، وهذه القيادات تتعامل بدورها مع القيادات الأعلى وهكذا. بهذه الطريقة يستحيل على سلطات التحقيق أن تتبع خيطًا واحدًا لتصل إلى كشف القيادات العليا، فتظل القيادات في مأمن.

يتبع أفراد المافيا قواعد وقوانين خاصةً تشبه إلى حد بعيد التنظيم العسكري دقةً وصرامةً وفرضًا للقيود، وتسعى في أهدافها البعيدة إلى خدمة القضية العائلية الواحدة.

على رأس تلك القواعد تأتي (Omertà) أو قاعدة «الصمت» التي تمنع إفادة الشرطة بالجريمة أو مرتكبها مهما حدث، فقد جرت العادة بين سكان المدن الإيطالية ألا يشي أحد بما يعلم إلى السلطات، ولا يتحدث عما رأى بأم عينيه، ولا ما سمع بأذنيه، ولا خطر على قلبه؛ لأن الثمن هو حياة الواشي وحياة أقربائه وعائلته كلها، وتحرِّم تلك القاعدة أو القانون على المنتمي إلى المافيا البوح بأسرار العائلة، مهما كانت الأسباب والظروف، وإلا تعرض للعقوبة الوحيدة وهي القتل من دون رحمة.

وبعد الصمت تأتي القضية الثانية ألا وهي «الشرف» التي حافظ عليها رجال المافيا الصقليون وغيرهم لعقود، حيث على رجل المافيا الحقيقي أن يحترم نساء بلاده، وألا ينظر إليهن بسوء، وحين بدأت المافيا في صقلية العمل في مجال الدعارة وشبكات الرقيق الأبيض، ظلت قوانينها تمنع جلب الفتيات الإيطاليات مع استبعاد القاصرات، والزنجيات؛ بسبب قناعة لدى المافيا بأنهن يلتقطن الأمراض الفتاكة بسرعة، فكانت كل الفتيات من خارج إيطاليا، من الأجنبيات بمعنى آخر، والقانون هو قانون لدى المافيا، يحترمونه وينفذونه أيًا كان الثمن.

بحلول القرن التاسع عشر اتسعت المافيا، وتحولت إلى مجتمع قائم على الجريمة لا يحترم أي شكل من أشكال السلطة ولا رجالها، رافق صعود المافيا في إيطاليا، وقبل أن تنتشر في العالم تغيرات عديدة

تزامنت مع انتقال أنشطتها من الريف إلى المدن، حيث كانت المافيا في بادئ الأمر تنتشر في الريف فقط، فيقومون على الاقتيات على الجريمة في الريف من النصب وفرض الإتاوات وخلافه، وهو ما تسبب بنشوب معارك بين المافيا الريفية، التي سعت إلى إبقاء الفلاحين في جهلهم وشقائهم؛ لتواصل استغلالهم كما هو الحال، وبين المافيا الجديدة، التي وجدت آفاقًا أرحب في تطوير حركتها الاقتصادية؛ لتجني الأرباح من أسواق باليرمو الداخلية، وعبر تهريب المخدرات إلى خارجها، وهو ما كان يتنافى مع قواعد المافيا الأم التي حرَّمت في البداية الاتجار بالمخدرات، إلا أن هذا الأخير تحول لاحقًا إلى مورد أساسي من موارد عائلات المافيا داخل صقلية وخارجها.

تنوعت أنشطة جماعات المافيا منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا، وشملت إدارة مصانع ومطاعم ومتاجر وشركات تأمين ومصارف وفنادق وملاهٍ كواجهة لأنشطة مربحة غير مشروعة في مجالات القمار وتهريب الخمور والمخدرات والدعارة والإقراض بفوائد عالية والابتزاز والاحتيال وسرقة السيارات، فضلًا عن الخطف ثم القتل.

كما قلنا من قبل، بدأت المافيا من إيطاليا، ومن ثم انتشرت في سائر أنحاء العالم.

يطلق على المافيا الإيطالية الصقلية عبارة غير المافيا، والتي هي وصف الصحف والشرطة والعامة، أما عن المافيا نفسها فتطلق على تنظيمها عبارة «La Cosa Nostra» وهي جملة إيطالية، وبالعربية تعني «الشيء أو الأمر الخاص بنا».

تطورت جمعية سرية أخرى في القرن التاسع عشر تدعى «كامورا» في سجون نابولي بإيطاليا، وانتشر نفوذها في بداية القرن التاسع عشر في المدينة والمناطق الريفية المجاورة. واكتسبت منظمة إجرامية أخرى هي أونوراتا سوسيتا (الجمعية المحترمة) بالعربية نفوذًا في إقليم

كالابريا الإيطالي حوالي عام ١٩٠٠م أي في بداية القرن العشرين.

وتعتقد الشرطة أن هذه المنظمات لا تزال موجودة إلى يومنا هذا، وهناك أمثلة كثيرة على تلك الأسر والجماعات.

وفي إيطاليا، حارب بينيتو موسوليني المافيا من دون رحمة، فسجن الكثير من الرجال؛ لمجرد الشك في انتمائهم للمافيا، وكان سجنًا مقرونًا بالتعذيب، والذي أجبر أعضاء المافيا جميعهم على الهرب خارج إيطاليا، ولم تقوَ شوكة المافيا في إيطاليا مرة أخرى حتى استسلام الأولى في الحرب العالمية الثانية.

إلا أنه في الثمانينيات والتسعينيات إلى يومنا هذا، أدَّت سلسلة من حروب العصابات فيما بينهم إلى اغتيال الكثير من أعضاء المافيا البارزين، ركز جيل جديد من رجال المافيا على الأنشطة الإجرامية لـ«الياقات البيضاء» بعكس الأنشطة الإجرامية التقليدية، ونتيجة لهذا التغير، قامت الصحافة الإيطالية باستحداث عبارة «La Cosa Nuova» أو «الشيء الجديد»، بدلًا من العبارة القديمة التي كان يطلقها المافيا الإيطالية على نفسها وهي «La Cosa Nostra» في إشارة إلى التجديدات الجديدة التي طرأت على المنظمة بعد حقبة كبيرة من الجريمة والقتل والاتجار في الممنوعات.

من إيطاليا، خرجت عصابات المافيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية على يد المهاجرين الإيطاليين أنفسهم، ففي عام ١٨٩١م أبلغت الجهات القانونية الرسمية عن وجود مافيا في أمريكا.

ففي ذلك العام قتلت جماهير نيو أورليانز ١١ شخصًا دون محاكمة؛ وذلك لاتهامهم بارتكاب جرائم قتل. ومنذ صدور قانون الحظر في العشرينيات من القرن العشرين أصبح الأمريكيون الذين ينحدرون من أصل إيطالي يسيطرون على كل الجرائم المنظمة في الولايات المتحدة.

نمت المافيا بالولايات المتحدة الأمريكية في بدايات القرن

العشرين بهجرة الصقليين من إيطاليا نموًا ملحوظًا، حتى قام مكتب التحقيقات الفيدرالي في السبعينيات والثمانينيات بتقليص نفوذ المافيا إلى حد ما.

اليوم تظل المافيا الإيطالية-الأمريكية هي أقوى المنظمات الإجرامية بالولايات المتحدة الأمريكية، وتستخدم هذه المكانة للسيطرة على غالبية أنشطة شيكاغو ونيويورك الإجرامية، كما أنها ما زالت تحتفظ بعلاقات بالمافيا الصقلية التي نشأت منها؛ لأن قوة المافيا في صقلية أكثر تكاملًا واستقرارًا وترابطًا من حيث قانون العائلة وخلافه، لأن الفساد مستشر والحكومة المحلية هي تقريبًا فرع من فروع المنظمة ذاتها، حيث لهم تأثير حتى على القضاء وصياغة القوانين.

بدأت المافيا نشاطاتها في أمريكا بالسيطرة على مدينة نيويورك، وتوسعت المافيا إلى أن أصبحت ٢٦ أسرة عبر الولايات المتحدة الأمريكية، بالمركز في نيويورك، وبعد العديد من حروب العصابات، انتهى الأمر إلى سيطرة ٥ عائلات على الأنشطة الإجرامية في نيويورك، هذه العائلات هي بونانو، كولومبو، جامبينو، جينوفيز، لوتشيز.

تنامى دور المافيا في إيطاليا لدرجة غير مسبوقة من القوة والنفوذ، حتى إن الولايات المتحدة قد استخدمت المافيا خلال الحرب العالمية الثانية.

فلقد استخدمت أمريكا الاتصالات الإيطالية بالمافيا الأمريكية خلال اجتياح إيطاليا وصقلية في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٣م، فقد قام «لاكي لوتشيانو» وأعضاء آخرون في المافيا الذين اعتُقِلوا خلال هذا الوقت بأمريكا بمدِّ الاستخبارات الأمريكية بالمعلومات المهمة، الذين استخدموا نفوذ لوتشيانو لتسهيل الطريق أمام القوات الأمريكية المتقدمة.

فقد تم السماح لـ«لوتشيانو» بإدارة شبكته من زنزانته؛ جزاء

مساعداته للولايات المتحدة بعدها، وبعد الحرب تمت مكافأته بترحيله إلى إيطاليا، حيث استكمل نشاطاته هناك.

فقد ذهب «لوتشيانو» إلى صقلية عام ١٩٤٦م لاستئناف نشاطه، وذهب لإبرام اتحاد مع المافيا الكورسيكية- كورسيكا، مما أدى إلى تطور في شبكة التهريب العالمية للهيروين، والذي كان يورد أساسًا من تركيا، ومقره في مرسيليا، وهو ما يطلق عليه «The French connection» أو «الحلقة الفرنسية»، وبعدها عندما بدأت تركيا في وقف إنتاجها للأفيون، استخدم اتصالاته مع المافيا الكورسيكية؛ لفتح حوار مع رجال المافيا الكورسيكية بالمهجر في جنوب فيتنام، فقد استغلوا الأوضاع الفوضوية في الحرب الفيتنامية لتأمين مورد لا ينضب، وقاعدة توزيع في «المثلث الذهبي»، والذي بعد فترة قصيرة بدأ في ضخ كميات كبيرة من الهيروين الأسيوي إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا وبلدان أخرى عبر العسكرية الأمريكية، وبهذا تطورت أنشطة «لوتشيانو» بفعل ما قدمه من مساعدات إلى القيادات الأمريكية في حربها مع إيطاليا والألمان.

تلك باختصار هي كل تعريفات ونشأة المافيا في العالم من إيطاليا، والتي من خلالها سوف نقوم اليوم بتقديم بعض الشخصيات والعائلات الذين انتموا يومًا ما إلى المافيا أو فكرتها التي سبقت وجود المافيا ذاته، ونرجو من السادة الحاضرين الاستمتاع بالتقديم.

أنا الحسين، وأول شخصية هي ما سأقدمه أنا، شكرًا.

*** تصفيق ***

المبحث الأول
كارتل ميديلين

بصوت: الحسين

ESCOBAR KILLED IN ARMY AMBUSH

Druglord 'slipped up'

By DAVID SENSON

BOGOTA, Colombia — Pablo Escobar, king of the Medellin cocaine cartel and one of the world's most hunted criminals, was gunned down in a rooftop shootout with Colombia security forces yesterday.

Escobar's brother-in-law and another man also were killed. There were no deaths or injuries in the police.

Carelessness on the part of the drug kingpin, who had eluded police since a daring prison escape in July 1992, apparently led to his death.

"He slipped up, made too many calls from the same phone, and we located him," a police official said last night.

After the intelligence unit tracked down Escobar, some 500 members of a combined police and army unit yesterday seized off the Medellin neighborhood where the druglord had been hiding out in a two-story house.

According to police spokesmen, the cartel members opened fire when confronted.

After 30 minutes of gunfire, Escobar attempted to escape by running across the roof of the house and

See ESCOBAR Page 20

COCAINE KING: Medellin cartel chief Pablo Escobar, slain yesterday after 16-month manhunt.

A LIFE

■ 1949 — Born in Envigado, Colombia, son of farmer and schoolteacher.

Escobar began his criminal career as a teenager stealing and selling tombstones. Advanced to car theft, worked as drug courier.

■ 1982 — Using drug earnings, wins election to Congress as alternative representative for Envigado, near Medellin, base of his cocaine operation.

■ April 30, 1984 — Justice Minister Rodrigo Lara Bonilla is assassinated and Escobar is later charged with murder and becomes fugitive.

■ July 7, 1988 — Forbes magazine lists Escobar among world's richest people at estimated $2.5 billion.

■ Aug. 18, 1989 — Leading presidential candidate, Sen. Luis Carlos Galan, is assassinated, provoking government crackdown on drug cartels. One of hundreds of murders attributed to Escobar.

■ Nov. 27, 1989 — Bomb blows up Colombian jetliner, killing 107. Escobar blamed.

■ June 19, 1991 — Surrenders in return for immunity from extradition to United States. Jailed in plush ranch-style compound he paid for.

■ July 22, 1992 — Escapes when government tries to move him to military prison.

■ Dec. 2, 1993 — Shot dead by security forces in Medellin.

Cops: Biz goes on

By WILLIAM KLEINKNECHT

Pablo Escobar was the invisible hand behind New York's murderous crack epidemic in the mid-1980s.

But his death will have little impact on city drug traffic since a new Colombian cartel has already taken over, law enforcement officials said yesterday.

The Cali cartel became the dominant smuggler of cocaine in New York in the late '80s, usurping Escobar's Medellin cartel with only about 20% of the market, the officials said.

And what's left of Medellin's share is handled by lower-level smugglers unlikely to be affected by Escobar's death, they said.

'No impact'

"For all practical purposes, it will have no impact on cocaine traffic," said Robert Bryden, head of the U.S. Drug Enforcement Administration's office in New York.

"But it does mean a death knell for the Medellin cartel," Bryden said. "Pablo Escobar was the Medellin cartel. Without him, it loses most of its money and all of its political connections."

But, Bryden said, "Escobar wannabes" may attempt to revive the cartel and violence that may accompany their struggle for leadership could spill onto the streets of New York.

At its peak, the Medellin cartel controlled more than 30% of the city's cocaine.

Smooth-running biz

The cartel operated like a well-structured corporation, not only importing the cocaine but distributing it from its local base in Jackson Heights, Queens.

But Escobar's habit of assassinating judges, journalists and other pillars of Colombian society helped bring about the downfall of the cartel.

The Cali cartel, a quieter, more businesslike operation, was able to take advantage of Escobar's troubles and capture the New York market.

COLOMBIAN police walk across rooftop of house where drug lord Pablo Escobar was slain yesterday, a

أمريكا اللاتينية، قارة عصماء تمتلئ بالتاريخ في كل ركن من أركانها القديمة، هي تلك القارة التي لطالما تحدث عنها شعراء العصور الوسطى ليصفوها بأرض الفضة والذهب، وهي أيضًا تلك القارة التي تزخر بأسمى قصص البطولة والتضحية والثورة.

كما عرفت القارة اللاتينية بالفضة والذهب والثورة والحب، عرفت أيضًا بالجريمة حيث أباطرة المافيا يتحكمون في الاقتصاد العالمي بين الحين والآخر.

بابلو إسكوبار، أو بابلو إميليو إسكوبار جافيريا، اسم برز في تاريخ الجريمة في حقبة السبعينات والثمانينات، رجل المافيا الأول والمتحكم الأول في الاقتصاد الأمريكي بالتجارة غير الشرعية، من يكون هو بابلو؟

تضاربت المصادر التي تحدثت عنه طيلة حياته، الكل يعلم أنه ذلك الملياردير الذي كان يزور الولايات المتحدة بكل روية حينما كان مطلوبًا القبض عليه، وهو الذي أشعل ملايين الدولارات ليدفئ ابنته التي شعرت بالبرد في ليلة من الليالي.

ولكن ما هي قصته؟ من أين جاء؟ وما كل تلك الأساطير التي اشتعلت عنه في تاريخ المافيا العالمي؟

إذا ما تخيلنا شكل الحياة في أمريكا اللاتينية، تحديدًا في كولومبيا العام ١٩٤٩م فقد نرى الطبيعة الخلابة التي تسحر العيون، المساحات الواسعة التي سرقها المستعمر الإسباني من السكان الأصليين حينما كانوا مشغولين بجمع الثمار وعبادة الآلهة، سنرى الفقر والاحتلال والحروب الأهلية، في ذلك العام كانت كولومبيا تحت حكم لاوريانو غوميز، وفي خضمِّ الحرب الأهلية الكورية، الفقر هو سيد الموقف، والحرب تقضي على الأخضر واليابس.

في ظل تلك الظروف وُلِد طفل صغير في الأول من ديسمبر للعام ١٩٤٩م في مدينة ريونيغرو، في إدارة أنتيوكيا الكولومبية وكان الطفل

الثالث من السبعة، الأب هو أبيل دي خيسوس إسكوبار إشيفيري وكان مزارعًا، والأم هي يرميلدا دي لوس دولوريس غافيريا بيريو وكانت معلمة في مدرسة ابتدائية، أما الإخوة فهم روبرتو دي خيسوس» (اسمه المستعار «إل أوسيتو»)، و«غلوريا إينيس» و«أرجيميرو» و«ألبا مارينا» و«لوز ماريا» و«لويس فرناندو»، درس بابلو في جامعة Autónoma Latinoamericana ولكنه ترك الجامعة قبل أن يستكمل تعليمه؛ لانشغاله بأعماله التي بدأ الاهتمام بها في سن مبكرة.

تعرف بابلو على الزعامة باكرًا، فقد كان قائدًا بالفطرة كما يصفه معاشروه في حياته المبكرة، وكان منتميًا كثيرًا إلى قريته التي ترعرع بها بالرغم من الظروف المعيشية الصعبة في تلك القرية، بل والدولة ككل.

حلم بابلو بالثراء السريع قبل أن يبلغ الثانية والعشرين كما كان يدّعي لمعارفه، والتخلص من سطوة الفقر وحياة المزارعين التي لازمته صغيرًا هي من قادته في النهاية إلى عالم الجريمة، ففي سن الخامسة عشرة كان بابلو يقوم بسرقة شواهد القبور من المقابر الجماعية، فيقوم بإعادة بيعها ليعيل نفسه بمصدر دخل بعيدًا عن الدخل القليل الذي كان والداه يوفرانه ليكفي بعض المأكل القليل فقط، ظل بابلو على حاله في تلك السرقات الصغيرة يقتات منها ما يكفي لمصاريفه الشخصية وأحلامه البسيطة، وكانت الاعترافات بعدها من الأخ الأكبر لـبابلو روبيرتو إسكوبار أن الشواهد التي كان يسرقها كانت بعلم ومساعدة أصحاب المقابر أنفسهم الذين كانوا يقومون بخلعها وإعطائها لـبابلو، والتي كانت تعود إلى أقارب المتوفى الذين لم يكونوا يسددون ما عليهم لأصحاب المقابر، وكان بابلو يعيد صقلها، ثم بيعها من جديد.

حسُّ الزعامة الذي كان يسري في جسد بابلو منذ النشأة هو ما قاده لتكوين عصبة صغيرة مكونة من فرد آخر، وهو أوسكار بيرنال أغوير، وابن عمه غوستافو غافيريا، واللذين بمساعدتهما بدأت أنشطة الجرائم

لدى بابلو في التوسع، لتشمل النصب بأوراق اليانصيب المزيفة، وبيع السجائر المهربة، وامتحانات الثانوية المزيفة إلى الطلبة في مدرسة لوكريسيو جاراميو فيليز، كما أنه تبادل القصص المصورة، وباع شهادات جامعة ميديلين لاتينامريكانا المستقلة المزيفة إلى العوام من سكان كولومبيا، كما توسع ليشمل نشاطه بقرض الأموال بفوائد عالية لمن يريد، وبدأ بعدها في تكوين أولى ثمرات ثروته الصغيرة من خلال تلك الأعمال، كان ذلك وقت دراسته الثانوية، والتي أنهاها والتحق بجامعة لاتينامريكانا ليدرس الاقتصاد، إلا أنه في أواخر الستينيات قرر تركها للتفرغ لأحلامه الشخصية التي يحلم بها، ألا وهي الثراء السريع كما قلنا من قبل.

حتى كان اليوم الذي تعرف فيه على الشخص الذي سيكون نقطة التحول الأولى في حياته الإجرامية.

كان ذلك الشخص هو خيسيوس دي ناصارينو، خيسيوس كان هو زعيم وملك سرقة السيارات في كولومبيا بأكملها، والذي بدوره أضاف إلى بابلو جريمة جديدة، ألا وهي سرقة وتفكيك السيارات وبيعها، والذي أظهر فيها بابلو مهاراته الإجرامية الأولى في سرقة وتفكيك السيارات، وما أن جمع بعض المال حتى قام برشوة الموظفين المدنيين ليتم تعديل المعلومات عن السيارات المسروقة، ولكنه سرعان ما تم كشفه ليتم سجنه عدة أشهر، ليخرج بعدها وقد تعرف بابلو على جريمة أخرى ليمارسها، ألا وهي الحراسة الشخصية، والقتل المأجور، والخطف.

فقد كان يجنِّد المجرمين لحسابه الشخصي؛ ليقوموا بخطف من يريد لطلب الفدية، وهذا لأن بابلو كان قد اكتسب بالفعل سمعة سيئة جراء سجنه وفضح أمره، وقد اعتمد في تلك الفترة على مصدر دخله من الفِدَى التي تُدفع لتحرير المخطوفين، فقد كان يقوم بخطف المسئولين التنفيذيين في ميديلين لكسب ١٠٠ ألف دولار شهريًا تقريبًا بشكل

سريع وخاطف؛ لتحقيق حلم الطفولة بالثراء السريع، بل إنه كان يقتل بعض المخطوفين؛ لمجرد الشهرة، وتكوين اسم في عالم الجريمة، بالرغم من أنه كان يتلقى مبالغ كبيرة من المخطوفين كفدية، فمثلًا كان بابلو قد اختطف الثري ورجل الأعمال الكولومبي الشهير دييجو إشافاريا ميساس، وقد تلقى فدية قدرها خمسون ألف دولار أمريكي، إلا أنه في النهاية قتله، فاكتسب اسمًا لامعًا في الوسط الإجرامي كمجرم لا يمتلك الرحمة في قلبه.

اعتمد بابلو على ما يأتي من الخطف حتى كانت النقطة الأخرى الفارقة في حياة بابلو إسكوبار.

تعرف بابلو من خلال عمله كلص وقاتل محترف على المهرب الشهير وقتها ألفارو بيريتو، والذي قابله في ميديلين الذي كان ينفذ فيها جريمة الخطف للمسئول المذكور.

ومنه دخل بابلو إلى المجال الذي سيكون مجال عمله الأساسي في كولومبيا، وأنحاء أمريكا اللاتينية بعد هذا، ألا وهو تهريب الكوكايين.

عمل بابلو لحساب المهرب الشهير لبعض الوقت، وكان يقوم

بالتهريب بنفسه حينًا وبرجاله أحيانًا أخرى، من وإلى الولايات المتحدة نفسها، حتى إنه في العام ١٩٧٥م وقد بلغ السادسة والعشرين، وصل رصيد أمواله إلى ١٠٠ مليون بيزو، أو ما يعادل وقتها ثلاثة ملايين دولار، وكان هذا أول إنجاز فعلي يقوم به بابلو في مشواره وحلمه الخاص، فصار مليونيرًا في سن العشرين بالعمل على تهريب الكوكايين.

في العام ١٩٧٥م كان مجال التهريب يخوضه أكثر من وجه، أشهرهم على الإطلاق فابيو أوتشوا ريستريبو، أو ما أسموه «الدون فابيو»، رجل أعمال وصاحب مزرعة، كما أنه الأب الروحي أو البطريرك لعائلة التهريب الكولومبية الشهيرة «كارتل ميديلين»، والتي على رأسها المهرب الشهير «ألفارو بيريتو»، والتي تخصصت في تهريب الكوكايين من وإلى الولايات المتحدة وكولومبيا.

عائلة كارتل ميديلين قد تأسست للاتجار في مخدر الهيروين قبل ظهور بابلو إسكوبار نفسه، بالرغم من اشتراكه بعدها في توسيعها وازدياد نشاطها آنذاك، وقد أسسها كل من خوسيه غونزالو رودريغيز غتشا، بابلو إسكوبار، كارلوس ليهدر والإخوة (فابيو، خورخي لويس، خوان ديفيد).

حينما كانت لتلك العائلة بطريرك يسمى فابيو أوتشوا ريستريبو أو الدون فابيو، والذي كان وجوده يتعارض مع طموح بابلو إسكوبار في السيطرة على العائلة، ومن ثم التجارة في الكوكايين، حيث إنه دائمًا ما كانت الأنا العليا في شخصيته هي المسيطرة، والتي كانت تفتح له مجال الأفكار؛ لكي يسيطر هو ويفرض نفوذه فوق الجميع.

على العموم، فقد قُتِل الدون فابيو في ظروف غامضة من العام ١٩٧٥م، ويعتقد بأن مقتل الدون فابيو ما هو إلا بتخطيط من إسكوبار نفسه الذي بسط ذراعيه لتمتد فوق كل كبير في سوق المواد المخدرة، ليتحول هو من مجرد تابع ينفذ الأوامر، لبطريرك العائلة كلها.

استغل بابلو إسكوبار مقتل الدون فابيو ليوسع نشاطه في الاتجار بالكوكايين بعدها، لتصبح إمبراطوريته فيما بعد هي الإمبراطورية الكبرى في تاريخ الجريمة.

هناك سبب لـبابلو في دخوله في تجارة المخدرات من الأساس، أن بيع وتهريب الممنوعات الأخرى أصبح خطيرًا جدًّا في ذلك الوقت، بينما تهريب المخدرات لم يكن كذلك، فقد كان سهلًا نسبيًا، وبما أنه لا يوجد اتحاد لتجارة المخدرات، وعدد قليل من بارونات المخدرات والمهربين، فقد أصبحت هناك فرصة للنمو استغلها إسكوبار. واستغل هذه المنطقة التي أراد أن تصبح تحت سيطرته، بابلو إسكوبار بدأ في تطوير عملية الكوكايين، برحلات طيران بين كولومبيا وبنما؛ لتهريب الكوكايين إلى الولايات المتحدة. بعدها اشترى ١٥ طائرة كبيرة جديدة، و٦ طائرات هليكوبتر، وطائرة ليرجيت. بعدما اشترى طائرات جديدة متطورة، علق أول طائرة استخدمها فوق بوابة مزرعته في هاسيندا نابوليز.

هكذا قال أخوه في قصة المحاسب عن بابلو وسبب دخوله إلى مجال المخدرات.

كانت عبقرية وقوة بابلو إسكوبار في إبداعه في مجالات عمله في الكوكايين، حيث إنه لم يقبل بالتهريب فقط، بل اتجه إلى التصنيعً أيضًا، فقد قرر في أول عملية تهريب له أن يشتري من بيرو عجينة الكوكايين الخام، ومن ثم يقوم هو بتكريرها في منزل مكون من طابقين في ميديلين، وبالفعل اشترى أول أربعة عشر كيلوجرامًا من عجينة الكوك، والتي كانت هي مفتاح إمبراطوريته بعد ذلك، ثم إنه قرر أن تكون عملية التهريب إلى الولايات المتحدة عن طريق وضع كميات الكوكايين في إطارات الطائرات القديمة، على أن يحصل كابتن الطائرة على نصف مليون دولار في الرحلة الواحدة، حيث إنه لم يخطر ببال أحد من أفراد الأمن تفتيش إطارات الطائرات نفسها، فكان بابلو ملتزمًا في عمليات

التهريب والتسليم، حتى إنه قد ازداد الطلب على منتجه في الولايات المتحدة، مما اضطره إلى زيادة الكميات والطلبات، وبالتالي ازدياد المكسب، فوصل حجم المكسب من العملية الواحدة إلى خمسة ملايين دولار، معتمدًا على حجم كل رحلة طيران محملة بالكوكايين، ثراء ليس له نظير في سرعته، لاحقًا رتَّب لشحنات إضافية وطرق وشبكات بديلة بما في ذلك كاليفورنيا وجنوب فلوريدا، وبتعاونه مع كارلوس ليدر قام بتطوير جزيرة نورماس كالي في جزر الباهاما كنقطة إعادة شحن جديدة بين عامي ١٩٧٨ و١٩٨٢، ظلت هذه النقطة هي الطريق الرئيسية لتهريب المخدرات لمنظمة Medellin Cartel.

ولما تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد مر عام واحد على أول عملية ناجحة لـبابلو وعائلته، في العام ١٩٧٦م كان بابلو عائدًا من الإكوادور بين عدد من رجاله في رحلة شراء عجينة الكوكايين كما هو معهود منه، ولكنه وهو في طريقه إلى ميديلين، باغته ضابطان من الشرطة وقاما بتفتيشه، فما أن انتهى التفتيش حتى أفضى إلى العثور على ثمانية عشر كيلوجرامًا من عجينة الكوكايين البيضاء الخام، فقامت الشرطة بالتحفظ على بابلو ورجاله.

كان بابلو في أوج نشاطه ونرجسيته، وكانت عائلته من أكثر العائلات ترابطًا في مجال الجريمة أو المافيا، فظهر وجهه الحقيقي في تلك الحادثة، فـبابلو لا يعرف السجن أبدًا.

عندما بدأت قضيته في مسارها إلى الحكم، حاول بابلو استمالة القضاة بالرشوة بمبالغ تزداد مع كل محاولة، ولكنه فشل في إقناعهم بأخذ الأموال والإفراج عنه أو الحكم لصالحه، وبعد مرور بضعة أشهر في المحاكم ومحاولات الرشوة المتكررة، قرر بابلو استصلاح معنى جديد لكلمة المافيا، ألا وهي plata o plomo أو بالعربية «الفضة أو الرصاص».

هو مبدأ قرر بابلو استخدامه منذ تلك الحادثة حتى وفاته، هذا المبدأ يقوم على تقبل الرشوة أو القتل، بمعنى أنه إن لم توافق «حكومة وشرطة وجيش كولومبيا» على أخذ الأموال في سبيل تيسير الأعمال، فلا يوجد أمامنا إلا قتلك، خياران لا ثالث لهما.

وبالفعل، أمر بابلو إسكوبار بقتل الضابطين اللذين قبضا عليه في تلك الحادثة، فقام رجاله باغتيال الضابطين على مرأى ومسمع من الجميع، مما اضطر القضاة إلى إسقاط القضية عن بابلو؛ ليخرج كما لو أنه عاد طفلًا لا غبار عليه من جديد، وهنا ظهر مصطلح القوة، ومدى تأثيرها حتى على الحكومات هناك.

خرج بابلو، وقد قرر أن يزيد من عمله، ويتوسع أكثر فأكثر، حتى إنه في العام ١٩٨٢م كانت أرباح تجارة عصبته في الكوكايين قد تخطى أرباح التجارة في البنّ في سائر أنحاء العالم، مليارات من الدولارات لا تعدُّ ولا تُحصى.

كان صافي ربح عائلة كارتل ميديلين في اليوم الواحد يصل إلى ٦٠ مليونًا من الدولارات، في الأسبوع الواحد إلى ٢٤ مليونًا، وقد توسع بابلو ليستحوذ وحده على ٩٠٪ من تجارة الكوكايين إلى الولايات المتحدة، وسيطر على ٨٠٪ من تجارة المخدرات في العالم بأسره.

أكبر إمبراطورية مافيا الكوكايين في التاريخ، حتى إن أعضاء الكارتل قد توسعوا وازدادوا في العالم؛ لينتسبوا إلى تلك العائلة، فقد أضيف الكثير من الأمريكان من أصل إفريقي إلى العائلة، ليسروا نقل الكوكايين من وإلى الولايات المتحدة.

كما أضاف إلى العائلة الكثير من الكنديين والأوروبيين ليعاونوه في تصدير وتوزيع الكوكايين في سائر أنحاء العالم.

توسعت تجارة بابلو بشكل سريع، وفي الثمانينيات توسعت شبكة تجارته؛ لتشمل طرقًا وأساليب أخرى في كاليفورنيا وفلوريدا في الولايات المتحدة الأمريكية، وبين عامي ١٩٧٨م و١٩٨٢م بالتعاون مع كارلوس ليدر قام بتطوير جزيرة نورماس كالي في جزر الباهاما كنقطة إعادة شحن جديدة، واستمر العمل في تلك النقطة طيلة السنوات التي تلتها، بل إنها أصبحت خاصة لمشاريع كارلوس ليدر في التهريب. وقرر إسكوبار وروبرت فيسكو أن يشتريا معظم الأراضي في تلك الجزيرة، والتي تشمل مهبطًا للطائرات وميناءً وفندقًا ومنازل وقوارب وطائرات، وأنشآ فيها مستودع تبريد لتخزين الكوكايين. وقد استخدمت كطريق مركزي للتهريب لصالح منظمة كارتل ميديلين.

مع الأرباح الهائلة الناتجة عن هذا الطريق الجديد في تجارة الكوكايين، تمكن بابلو إسكوبار من شراء ٢٠ كيلومترًا مربعًا كاملًا من الأراضي في منطقة أنتيوكيا بعدة ملايين من الدولارات، وبنى فيها مزرعته الشهيرة (هاسيندا نابوليز). أنشأ فيها منزلًا فاخرًا وحديقة حيوان وبحيرة وحديقة منحوتات وحلبة مصارعة للثيران، وملاهي لأسرته والكارتل.

وهاسيندا نابوليز بالإسبانية تعني عقارات نابولي، وهي مبانٍ فاخرة بناها، وامتلكها بارون المخدرات الكولومبي بابلو إسكوبار، وتقع في بويرتو تريونفو في إدارة أنتيوكيا الكولومبية، تبعد ١٥٠ كم تقريبًا شرق ميديلين و٢٤٩ كم شمال غرب بوغوتا. وهي تغطي نحو ٢٠ كيلومترًا مربعًا من الأراضي التي اشتراها واستصلحها وبنى عليها بابلو إسكوبار إمبراطوريته، وعلاوةً على أنها تحتوي على منزل راقٍ فيها أيضًا منزل استعماري وحديقة منحوتات وحديقة حيوانات متكاملة من مختلف القارات، فيها الأفيال والطيور الغريبة والزرافات وفرس النهر، بل إن إسكوبار كان يخطط لبناء قلعة حصينة في تلك الأراضي؛ لتتكون مملكته الحقيقية بالقلعة، ولكنه لم يكمل المشروع أبدًا.

في منتصف الثمانينيات وصل نشاط بابلو إسكوبار وعائلته في التهريب إلى ذروته بتهريبه نحو أحد عشر طنًا في الرحلة إلى الولايات المتحدة، وقد تعاظمت قوته والكميات التي يُهرِّبها بأن استخدم غواصتين لتهريب الكمية المطلوبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

في تلك الفترة، كانت أكبر شحنة مخدرات يقوم بابلو إسكوبار بتهريبها إلى الولايات المتحدة قد بلغت ٢٣ طنًا من الكوكايين، وقد خلطهم بعجين الأسماك على قارب، ونجح بالفعل في إدخالها إلى حدود الولاية، وهي كمية ضخمة جدًا تكفي استخدام الدولة كلها على مدار شهور.

سرعان ما اكتسب اسم بابلو إسكوبار الشهرة، وأصبح معروفًا دوليًا، واكتسبت شبكته للمخدرات شهرة أكثر من سيئة. كانت عائلة كارتل ميديلين تسيطر على معظم المخدرات التي تدخل الولايات المتحدة والمكسيك وبورتوريكو وجمهورية الدومينيكان وفنزويلا وإسبانيا. ومن ثم بدأت عملية إنتاج الكوكايين مع الكوكا تصنع في بوليفيا وبيرو من خلال اتصالات مع موزعين آخرين مثل روبرتو سواريز غوميز؛ لأن الكوكا التي تنمو في كولومبيا أقل جودة، بينما ازداد الطلب على الكوكايين بكميات كبيرة وجودة أعلى.

بدأ إنتاج إسكوبار يصل إلى بلدان أخرى غير الولايات المتحدة ودول الغرب، بل شملت إنجلترا والأمريكيتين وأنحاء إسبانيا، بل يشاع أنه وصل إلى آسيا أيضًا.

كانت عائلته غاية في الشهرة والنفوذ، وعلى أساس هذا التطور تطور نفوذها الداخلي والخارجي، بالتوازي مع التطورات التي أصابت شخص إسكوبار نفسه، فقد كان إسكوبار يمتلك بالفعل ما تمتلكه دول بكاملها من أموال وحكومة ونفوذ وجيش جرار يسيطر عليه عن طريق شبكة معقدة من المساعدين داخل وخارج كولومبيا.

ومن هنا بدأ بابلو إسكوبار بالبحث عن طرق السياسة الشرعية؛ لكي يمارسها بشكل موازٍ مع عمله الإجرامي، فقد كانت تنقصه الوجاهة الاجتماعية، وهي ما بحث عنها بابلو، فبدأ بابلو العمل السياسي العام منذ ذلك الحين.

ففي العام ١٩٨٢م أصبح إسكوبار عضوًا في الحزب الليبرالي الكولومبي، ثم أصبح عضوًا مناوبًا في مجلس النواب الكولومبي. قبل هذه الحملة كان مرشحًا لـ«حركة التجديد الليبرالية» الشهيرة، ولكنه اضطر إلى تركها؛ بسبب المعارضة الصارمة من لويس كارلوس غالان المنافس الرئاسي المدعوم من «حركة التجديد الليبرالية».

وبفضل مقعد إسكوبار في البرلمان فقد كان الممثل الرسمي للحكومة الكولومبية؛ لمبايعة وتنصيب فيليبي غونثاليث الرئيس الثالث لإسبانيا، واستمر على هذا المنوال حتى العام ١٩٨٣م، عندما فجَّر وزير العدل رودريغو لارا تصريحاته وتوجيهاته بالجانب الإجرامي لبابلو إسكوبار في صحيفة «الإسبكتادور» الكولومبية، والذي ساعد على انتهاء مسيرة بابلو السياسية في البرلمان، وبدأت سلسلة من الحروب تجاه تجار المخدرات على رأسهم بابلو إسكوبار، فأمر بابلو إسكوبار باغتيال وزير العدل، وهو ما حدث بالفعل في نفس العام.

وصل ببابلو إسكوبار أن وُجّهت اتهامات له لدعمه لمسلحي الجناح اليساري لحركة ١٩ نيسان/ أبريل الذين اقتحموا المحكمة العليا الكولومبية عام ١٩٨٥، وقتلوا العديد من القضاة في المحكمة، ودمروا جميع الملفات والأوراق في الوقت الذي كانت فيه المحكمة تدرس معاهدة التسليم مع الولايات المتحدة، وكانت هذه المعاهدة ستسمح للبلاد بتسليم تجار المخدرات إلى الولايات المتحدة لمقاضاتهم، فقد وصلت جرائمه إلى أنه دعم الجماعات المسلحة ضد رجال الحكومة في بلده.

كان بابلو منذ أن كان طفلًا صغيرًا يطمح في أن يكون رئيس دولة كولومبيا، وهو دائمًا ما كان يسعى له خلال حياته العملية منذ الطفولة.

لكن هذا الحلم في النهاية كان قد تحطم. وفي هذه الفترة كانت الولايات المتحدة قد بدأت تضغط على الحكومة الكولومبية للقبض على بابلو إسكوبار، وتسليمه بعدما ذاع صيته، حينها لجأ إسكوبار إلى ما كان يريده وهو استخدام الإرهاب للتأثير على السياسة الكولومبية، وكانت تلك بداية عصر إرهاب المافيا في أمريكا الجنوبية، أو كما أسموها بعدها «عصر إرهاب الكوكايين».

كما قلنا فقد اغتيل وزير العدل رودريغو لارا في الثلاثين من أبريل لعام ١٩٨٤م بأوامر من إسكوبار، وكانت البداية لتاريخ «إرهاب المخدرات» الذي سيجتاح كولومبيا بعدها.

حينما قتل إسكوبار الوزير، قرر الرئيس الكولومبي آنذاك بيليساريو بيتانكور بأن يطلق سلسلة عمليات من قبل الشرطة للقبض على أعضاء ميديلين كارتل كلهم؛ انتقامًا مما حدث.

وبهذا الإطار القانوني للنظام الأساسي للمخدرات يكون الرئيس «بيتانكور» قد بدأ أول حرب كبيرة ضد الاتجار بالمخدرات، وضبط الأصول وزيادة العقوبات والغرامات المفروضة على جرائم الاتجار بالمخدرات، حرب شاملة ضد العائلة الأشهر في الاتجار بالكوكايين.

قرر زعماء الكارتل الرئيسيين بعد تصاعد الأحداث بينهم وبين

الرئيس والحكومة في النهاية إلى اللجوء إلى بنما.

وفي مايو من نفس العام ١٩٨٤م لجأ أفراد المافيا الهاربون بما يسمى «حوار بنما» مع الرئيس الكولومبي السابق ألفونسو لوبيز ميكلسين في محاولة أخيرة للاقتراب إلى الدولة وليس الهرب، ولكنها فشلت بسبب تسرب الحوارات بينهم إلى الصحافة.

وبعد شهور قرروا العودة بشكل سري إلى البلد، وأعلنوا أن الحرب الشاملة ستكون مسألة وقت فقط.

بعد مرور عام كامل على مقتل وزير العدل الكولومبي، ظل أفراد الكارتل أحرارًا بلا عقاب، فقط أطلق عليهم مسمى قانوني ليكون بمثابة التهديد وهو «المعرضون إلى التسليم»، وهي مجموعة من مهربي الكوكايين الذين كانوا تحت تهديد التسليم إلى الولايات المتحدة من قبل الحكومة الكولومبية، وقد ظلوا بلا عقاب على الرغم من الإعلانات الحكومية لمحاربتهم، وقد توسع جهازهم الإجرامي عبر مناطق واسعة من البلد، وفتحوا طرق جديدة لتهريب الكوكايين عن طريق نيكاراغوا وكوبا، وكان كل هذا بتواطؤ عام من بعض أفراد قطاعات القوة العامة اللذين عوملوا بمبدأ الفضة أو الرصاص السابق أو بمعنى آخر المال أو القتل.

ثم توالت الأحداث الإرهابية عن طريق الكارتل أو المعرضين للتسليم تجاه الحكومة والقضاء مرة تلو الأخرى، ففي نوفمبر ١٩٨٤ انفجرت سيارة مفخخة أمام السفارة الأمريكية في العاصمة الكولومبية كانت معدَّة من قبل جماعة «المعرضين للتسليم»، وقد أسفرت عن مصرع شخص واحد في تلك الحادثة المدبرة.

لم تهدأ الأجواء بعد هذه الحادثة الإرهابية كما هو متوقع، ففي يونيو من العام ١٩٨٥م أمرت الجماعة بوعظ من أبيها الروحي بابلو إسكوبار بقتل القاضي «توليو مانويل كاسترو جيل» الذي كان مسئولًا

عن التحقيق في جريمة مقتل وزير العدل رودريغو لارا.

ثم بعدها ربطت الحركات الانقلابية والسياسية المسلحة اليسارية في كولومبيا بابلو إسكوبار ارتباط عجيب غير مفهوم، يقوم على دعم بابلو لتلك الجماعات لإثارة البلبلة في أنحاء الدولة آنذاك.

ففي تلك الأعوام نشأت جماعة سياسية تسمى بحركة ١٩ أبريل، هي حركة تنتمي لحرب العصابات الكولومبية، وهي حركة تمرُّد كولومبية تأسست في أعقاب التزوير المزعوم للانتخابات الرئاسية في ١٩ أبريل ١٩٧٠ والتي فاز بها ميسائيل باسترانا بوريرو. ظهرت كحركة تمرد سياسية، ولكنها تحولت بعد ذلك إلى حركة مسلحة، وبعد توقف نشاطها تحولت إلى حركة سياسية يسارية تعرف باسم التحالف الديمقراطي، والذي نال تأييدًا شعبيًا كبيرًا حتى العام ١٩٩٠م.

كان بابلو في تلك الأيام يتقرب من مؤسس الحركة إيفان مارينو أوسبينا الذي يطلق عليه زملاؤه «إيفان الرهيب». وهو فدائي كولومبي ومؤسس مشارك للحركة الثورية حركة ١٩ أبريل وزعيمها، ويعتقد بطريقة ما أن إسكوبار كان على علم بما يحدث في قصر العدل الكولومبي من أحداث عن طريق تلك الحركات، وقد قدَّم الدعم المالي لعملية التمرد التي حدثت حينها، والتي سميت بمحاصرة قصر العدل، في تلك العملية حاصر أعضاء جماعة إم ١٩ المسلحة قصر العدل الذي يحوي مقر المحكمة العليا في كولومبيا، وأخذوا رهائن من القضاة، وفرضوا ما يشبه حظر التجول أمام القصر بقوة السلاح، وقتها حين تفاقمت الأمور تدخل الجيش، وانتهت المواجهة بمقتل نحو من ثلاثين إلى أربعين من مقاتلي الجماعة جنبًا إلى جنب مع عدد من الرهائن الذي تجاوز نصف عدد القضاة الذين قُتِلوا بالفعل في تلك العملية، وأحد عشر من أعضاء المحكمة العليا، بعد شنِّ تلك الغارة، أُخذ العديد من الناجين بعيدًا من قبل مسئولين عسكريين، ولم يروا مرة أخرى، حيث

تدور الشكوك حول تصفيتهم ومن ثم التخلص من جثثهم، وقد تمَّت محاكمة بعض المسئولين عن هذه الاختفاءات فيما بعدُ.

يقال إن بابلو هو من ساند تلك المعركة ودعمها بأمواله؛ انتقامًا مما يحدث تجاهه وتجاه عائلته والكارتل من قبل الحكومة في سبيلها للقضاء على تجارة المواد المخدرة.

وكأن بابلو بالفعل لا يُهزم، نفوذ وشجاعة وقلب لا يموت، كان يتصرف كمن ملك الدنيا، جيش وشرطة ومستشارين وقلب لا يرحم أبدًا، كان على استعداد أن يدير الدولة كلها بعدما يهدمها، وهو ما ميز سيرة بابلو إسكوبار عن كل من صعد على نفس المنوال في التاريخ القديم والحديث.

من المهم أن ندرج السبب الأساسي لمحاصرة قصر العدل، ولماذا دائمًا ما نربط بين بابلو وبين تلك الأحداث الدموية التي شهدتها كولومبيا وقتها، فقد كان هذا الحصار انتقامًا من المحكمة العليا التي كانت تدرس دستور معاهدة تسليم المجرمين المتورطين مع الولايات المتحدة، ومن بينهم أعضاء الكارتل، وعلى رأسهم إسكوبار بالطبع، وقد أسفر هذا الاقتحام عن مقتل نصف القضاة في المحكمة ودفعت حركة إم ١٩ لاقتحام القصر وحرق جميع الأوراق وملفات جماعة «المعرضين للتسليم». وكان اسم إسكوبار ضمن هذه المجموعة، وتم التفاوض للإفراج عن الرهائن، وساعد على منع تسليم الأوراق والملفات إلى الولايات المتحدة عن جرائمهم.

بعدها، تحديدًا في سبتمبر من العام ١٩٨٦م، أصبح فيرجيليو باركو فارغاس هو رئيس الجمهورية بعد التشكيك في نزاهة الانتخابات وانتشار الاتهامات التي تطول النظام الانتخابي بالتزوير، وأن الرئيس الجديد قد جاء باللعب في النتائج، ولكنه في النهاية صار هو الرئيس، في نفس اليوم الذي تم تنصيبه فيه كرئيس للدولة، أطلق مسلحون

بدراجات نارية النار على القاضي غوستافو زولاواغا سيرنا، المسئول عن التحقيق في وفاة اثنين من وكلاء إدارة الأمن الذين اعتقلوا إسكوبار في عام ١٩٧٨ لحيازة المخدرات والاتجار بها، وكان من الواضح أن الكارتل قد أصبحوا هم المسيطرين الحقيقيين على الشارع العام الكولومبي ببسط السلاح والنفوذ والأموال، حيث لا قوة على الأرض تستطيع ردعهم.

تعددت أساليب وألاعيب الكارتل منذ تلك الفترة، وقد بسطوا نفوذهم فالفعل على أرض الواقع بالترهيب وجرائم القتل المتعددة، كردود على ما يتم من قبل الحكومة على وجودهم وممارستهم لنشاطاتهم في كولومبيا وأمريكا ككل.

ففي أكتوبر من العام ١٩٨٦م، قتل الكارتل خايمي راميريز غوميز عقيد شرطة مكافحة المخدرات الذي كان يتولى قضيتهم، وفي السابع عشر من ديسمبر لعام ١٩٨٦م قتلوا غييرمو كانو إيساسا مدير صحيفة «الإسبكتادور» الذي تجرأ وتناول قضيتهم في الصحف، وفي يناير من العام ١٩٨٧، أطلقت عصابة تابعة لإسكوبار هجومًا إرهابيًا في بودابست بهنجاريا مستهدفين إنريكي باريجو غونزاليس، وزير العدل السابق والسفير الكولومبي في تلك الدولة، ممارسين إجرامهم ضد كل من سولت له نفسه في محاربتهم أو العداء ضدهم حتى خارج حدود كولومبيا نفسها.

في العام ١٩٨٧م تم القبض على كارلوس ليهدر، ومن ثم تسليمه إلى الولايات المتحدة الأمريكية؛ للمحاكمة والتحقيق.

ويُعتقد أن إسكوبار بنفسه هو من تسبب في القبض على كارلوس ليهدر، وتسليمه للولايات المتحدة في يوم ٤ فبراير ١٩٨٧م كنوع من التطهير الشامل للكارتل، فقد أدرك إسكوبار خطر التسليم إلى الولايات المتحدة وبدأ يستشعر الخيانة من داخل الكارتل أنفسهم، فقرر مقاومته

بتعزيز جهازه العسكري والاقتصادي، شرع بابلو إسكوبار بجمع الموارد المهمة من جميع تجار المخدرات حتى من الذين لم يكونوا جزءًا من مجموعتهم.

ليكون قادرًا على تمويل التصعيد المتوقع للعنف. مع تصاعد أعمال العنف والمقاومة من كل الجهات ضدهم، ولكي يسيطر إسكوبار جل سيطرة على مقاليد القيادة كان عليه أن يطهر المنظمة من الداخل، ومن الذين نفاهم «بابلو كوريا أرويف» من قبل، فاختطف عددًا من المهربين في ديل فالي.

وكانت من خلال تبادل فاشل للمصالح بين إسكوبار وغيلبرتو رودريغيز. طلب إسكوبار تسليم «أليخو بينيا» أحد رجال رودريغيز؛ بسبب مشاكل حدثت بينه وبين «نيغرو بابون» أحد مساعدي إسكوبار الكبار المخلصين، لكن رودريغيز رفض تسليم «بينيا» مما دفع إسكوبار لأن يأمر باختطافه وقتله على يد «نيغرو بابون».

كان من الواضح أن إسكوبار قد انقلب على الجميع، هو الوحيد والسلطان الذي لا سلطان عليه، حتى إنه لم يكترث لإخوته في الكارتل، وأصبح من الباحثين عن السيطرة الواحدة الديكتاتورية له هو وفقط، فما المانع إذن من معاقبة بعض ممن لا يسيرون على خطى الآخرين المطيعين من أرباب العصابات الموالية وغير الموالية حتى يخضع الكل؟ لا ضرر في قتل من يتمرد إذن.

تسببت هذه الجريمة في هلع الإخوة رودريغيز أوريجويلا وهيلمر هيريرا الملقب «باتشو» وخوسيه سانتاكروز لوندونو بأنهم سيكونون الضحايا التالين بعد رودريغيز، وانقطعت العلاقات بين الكارتلين؛ تخوفًا مما قد يحدث على ذلك الأثر.

في نوفمبر ١٩٨٧ تم القبض على خورخي لويس أوتشوا في بوغا (فالي)، ويعتقد أنها نتيجة وشاية من مهربي كالي.

وبالرغم من كل شيء تمت إعادة تسليم إسكوبار إلى السلطات.

وتسببت الإعادة في توجيه الهجوم إلى الدولة، فبعد أيام قليلة من التسليم تم إنقاذ المرشح السياسي والمرشح لرئاسة بلدية ميديلين خوان غوميز مارتينيز من محاولة اختطاف يُعتقد أنها من تنفيذ جماعة «المعرضين للتسليم» أي إسكوبار وجماعته.

ولم تتوقف المواجهة بالرغم من الإفراج عن «أوتشوا» وإعطائه حصانة من المثول أمام المحكمة بعد شهر، وفي الأيام الأولى من يناير ١٩٨٧، أصدرت الحكومة أوامر -إذلال علني- بتسليم الأعضاء البارزين في المنظمة إلى الولايات المتحدة، من خلال كولومبيا، وخلال تلك الأيام قامت عصابة إسكوبار بهجوم إرهابي ضد «باتشو هيريرا»، أصيب على إثرها بجروح فقط.

في الثالث عشر من يناير في نفس العام قام باتشو كرد على ما حدث تجاهه بتفجير مبنى موناكو الذي تعيش فيه عائلة إسكوبار، واشتدت الحرب الدموية بين الكارتلين كحرب أهلية دموية من النوع الأكثر خطورة في التاريخ، فانفجرت عدة قنابل في سلسلة صيدليات «لا ريباجا» التي يملكها رودريغيز أوريجويلا من قبل الكارتل الخاص ببابلو إسكوبار.

في الثامن عشر من يناير ١٩٨٨، أي بعد خمسة أيام فقط من حادثة تفجير الصيدليات، اختطفت جماعة إسكوبار في خطوة جريئة غير محسوبة المرشح الأقوى لرئيس بلدية بوغوتا والرئيس المرتقب للجمهورية أندريس باسترانا أرانغو، وأبقوه مخفيًا لعدة أيام في مزرعة بالقرب من ريونيغرو.

وفي الخامس والعشرين من يناير ١٩٨٨، تم اختطاف النائب العام للدولة أو المدعي العام كارلوس ماورو هويوس عندما كان متجهًا إلى

مطار ريونيغرو في أنتيوكيا.

في نفس ذلك اليوم الخامس والعشرين من يناير، قامت شرطة ريونيغرو بإطلاق سراح أندريس باسترانا، وتم قتل كارلوس هويوس؛ انتقامًا بواسطة صديق إسكوبار المقرب جون خايرو فيلاسكيز الملقب ببوباي.

كان من المقرر الاحتفاظ بالرهينة لمدة عشر ساعات، وأن الخطة كانت اختطاف باسترانا وهويوس معًا في نفس المكان، على أن يكونوا مختطفين سويًا.

وفي الثاني والعشرين من مارس ١٩٨٨ حدث إنزال جوي لنحو ألفين من الجنود من طائرات هليكوبتر وحصار بدعم من الدبابات على مزرعة بيزكوشو التي يملكها إسكوبار، على أمل أن يتم القبض عليه أو ردعه، وكادت العملية أن تنجح بالرجوع والاحتساب إلى فارق القوة العددية بين قوات الجيش التابعة للحكومة الكولومبية وبين تجهيزات بابلو إسكوبار العسكرية، ولكن لحسن حظه تم تحذيره في اللحظة الأخيرة، ومن ثم تمكّن من الهروب من أخطر المرات التي يتم فيها التجهيز للهجوم والقبض عليه وتسليمه بواسطة الحكومة وقتذاك.

ظلت تلك العمليات بين الكارتل والأخرى، وفي المقابل بين الكارتل والحكومة تدار وتقتل وتخطف هنا وهناك، عسى أن يمل أحد الطرفين أو ينتصر، ولكن دون جدوى، فكان ما يبدو أنها ستستمر بدون أي نتيجة صريحة إلى أي من الأطراف، الكل يمتلك من الرجال والعتاد ما يكفي للمقاومة في حرب لا منتصر فيها، وعليه فقد وجب التفكير في حل سلمي ليرضي جميع الأطراف في النهاية.

ففي بداية شهر يوليو للعام ١٩٨٨م، دخل الأمين العام للرئاسة جيرمان مونتويا في محادثات مع قادة «المعرضين للتسليم» أو

الكارتل في محاولة لحل الأمر سلميًا، وقد فسَّر تجار المخدرات هذه التصريحات كدعوة للحوار، وهو ما اتجهوا له أيضًا كحل وسط يرضي الجميع.

وتم الرد بالإيجاب في الخامس عشر من سبتمبر برسالة إلى إدارة فيرجيليو باركو، وقد توصلوا إلى مشروع قانون العفو وخطة التسريح، وقد بدا الأمر كأنه في سبيله إلى الهدوء النسبي.

لكن الولايات المتحدة ترفض الخضوع إلى شرذمة من المطلوبين للعدالة، وقد رفضت الحوار مع تجار المخدرات، أي أنها رفضت المبدأ من البداية، وتم تأجيل المحادثات إلى أجل غير مسمى؛ بسبب رفض الولايات المتحدة مبدأ الحوار من الأصل، وقدمت في النهاية كمبادرة شخصية من وسيط بدون تدخل أمريكا، ففشلت المفاوضات، وعادت الصراعات إلى السطح من جديد، وكرد فعل على هذا الحوار الذي لم يقدم أي نتائج، بدأت كارتل ميديلين بسلسلة من الجرائم استهدفت قضاة ومسئولين حكوميين وشخصيات عامة.

ففي مارس من العام ١٩٨٩م عندما كان المحامي الذي يتولى قضية وزير العدل المقتول رودريغو يتحدث إلى التلفاز المحلي عن مجريات القضية، يبدو أنه صرح بعض التصريحات التي تمس أعضاء الكارتل ببعض الصفات التي قد تقلب المجتمع ضدهم، فما كان من أعضاء الكارتل بقيادة بابلو إسكوبار ألا أنهم رصدوا تحركاته، ومن ثم اغتالوه على مرأى ومسمع من الجميع.

ولم يكتفوا بذلك، وإنما بعد مرور شهرين من حادثة الاغتيال، قام أعضاء الكارتل بتفجير ونسف مقر التلفزيون المحلي، خاصة مقر محطة «مونتو فيجن» التليفزيونية للأسباب السابقة.

في ٣٠ مايو في بوغوتا سُمِع دوي انفجار قوي في مسار موكب

رئيس داس للأمن الخاص بالجنرال ميغيل مازا ماركيز، قُتِل في هذا الانفجار سبعة أشخاص، وفي الرابع من يوليو عام ١٩٨٩م في ميديلين تعرض العقيد فالديمار فرانكلين كوينتيرو لهجوم استهدف فيها حاكم أنتيوكيا أنطونيو رولدان بيتانكور، حيث قتل في ذلك الهجوم الإرهابي مع خمسة من رفاقه، أما في الثامن والعشرين من يوليو ١٩٨٩م، اغتيلت القاضية ماريا هيلينا دياز مع اثنين من مرافقيها.

في السادس عشر من أغسطس لعام ١٩٨٩م قتلت عصابة إسكوبار قاضي المحكمة العليا في كونديناماركا كارلوس أرنستو فالنسيا مع التصاعد الغاشم للأحداث، وفي الثامن عشر من أغسطس لنفس العام في ميديلين قُتِل العقيد فالديمار فرانكلين كوينتيرو؛ إثر إصابته بوابل من الطلقات، وعلى الرغم من أن الجريمة قد وقعت في ساعات الصباح الأولى، إلا أنه في الليل كان هناك تجمع سياسي في سوتشا، تسلل عشرات المسلحين بقيادة رودريغيس غتشا خلال مظاهرة، وقتلوا المرشح الرئاسي للحزب الليبرالي لويس كارلوس غالان؛ لأنه كان العدو اللدود لمهربي المخدرات، ويؤيد تسليمهم إلى الولايات المتحدة، وهو الذي كانت لديه إمكانيات أكبر للوصول إلى الرئاسة. تم اتهام ألبرتو سانتوفيميو في هذه الجريمة؛ لأنه كان مرشحًا لرئاسة الحزب الليبرالي في عام ١٩٩٠م، ويعتبر المنافس الأشرس للويس في خضم المنافسة الرئاسية للبلاد، إلا أنه تمت تبرئته بعد ذلك، وأشارت الأصابع إلى الكارتل وإلى إسكوبار.

تسبب مقتل المرشح الكولومبي غالان في توقف الحوارات بين المافيا وبين الحكومة والولايات المتحدة بشكل قاطع ونهائي، وأعلنت الحرب على مهربي المخدرات رسميًّا، كما سبق وأن قام بها بيتانكور قبل خمس سنوات.

وبموجب المرسوم رقم ١٨٣٠ بتاريخ التاسع عشر من أغسطس للعام ١٩٨٩م، قرر فيرجيليو فارغاس أن يكون تسليم تجار المخدرات إلى الولايات المتحدة إداريًّا، دون الاعتماد على قرار محكمة العدل العليا كما كان في السابق، أذن المرسوم ١٨٦٣ للقضاة العسكريين بممارسة التفتيش لأي مؤشرات على أشخاص أو أشياء تتعلق ببعض الجرائم، وأكثر من صلاحيات القضاة العسكريين والحكومة تجاه الكارتل، حيث صار في مقدرتهم التصرف بأي شكل تجاههم، ودون الرجوع لوزارة العدل، وأمر المرسوم أيضًا بمصادرة جميع ممتلكات المهربين المنقولة وغير المنقولة إلى خارج البلاد، وبموجب هذا المرسوم يتم الاعتقال في ظروف العزلة المطلقة دون حتى النية إلى الهجوم، وفي الوقت الذي يتجاوز المعايير الدستورية من أشخاص لديهم دلائل خطيرة على ارتكابهم جرائم ضد الدولة وأمنها، يكفيهم فقط الشك في أي من أفراد الكارتل أو أي كارتل أخرى ليكون السبب في الاعتقال والتسليم، وتم الترتيب لإنشاء مجموعة النخبة البالغ عددها ٥٠٠ رجل بقيادة الكولونيل هوغو مارتينيز بوفيدا، وتهدف أساسًا إلى صيد القادة الإرهابيين من الكارتل نفسها.

بعد أيام شنَّ الجيش والشرطة على التوازي أكثر من ٤٥٠ غارة في جميع أنحاء المنطقة، واحتجزوا أكثر من ثلاث عشر ألف شخص لهم علاقة بتهريب بالمخدرات من قريب أو من بعيد.

في الثالث والعشرين من أغسطس لنفس العام، كانت الطامة الكبرى بين المافيا وبين الحكومة، حين أرسلت منظمة «المعرضين للتسليم» ردًّا على الحكومة برسالة موجهة إلى جموع الجماهير، بأن أعلنت التحدي ضد الحكومة نفسها في الحرب الشاملة ضد تجار الكوكايين، مع أكثر من ثلاثة آلاف مسلح، ورابطة شبه مسلحة مدعومين بعدد ضخم من

السكان الخاضعين تحت سيطرتهم الخالصة، بالإضافة إلى قوة مالية منحتهم السيطرة على ٩٠٪ على الأقل من حركة الكوكايين في الخارج.

وقد واجهت الدولة الكولومبية من كارتل ميديلين في تلك الفترة بعد إعلان الحرب الرسمي من الكارتل تجاه الحكومة والدولة الكثير من التفجيرات والاغتيالات الانتقائية، وأصبح الإرهاب غير الديني في كولومبيا أو إرهاب الكوكايين كابوسًا يوميًا، حيث وضع الحكومة الكولومبية تحت تهديد لم يحدث لها من قبل. في الفترة ما بين سبتمبر وديسمبر من عام ١٩٨٩، أمسى ما يقارب المائة تفجير بمبانٍ حكومية تقع في كل من بوغوتا، وميديلين، وكالي، وبوكارامانغا، وكارتاهينا، وبارانكيا وبيريرا، ولحقت أيضًا البنوك والمباني التجارية والبنى التحتية، بلغ عدد الهجمات من الإرهابيين من الكارتل في تلك الفترة ٢٨٩ هجومًا كاملًا، حتى بلغ عدد القتلى وقتذاك أكثر من ثلاثمائة مدني، وأصيب أكثر من ألف وخمسمائة آخرين.

توالت الأحداث بعدها، في الثلاثين من أغسطس لعام ١٩٨٩م انفجرت قنبلة في ميديلين، وفي الثاني من سبتمبر دُمِّرت معظم مرافق صحيفة «الإسبكتادور»، وفي الحادي عشر من سبتمبر قتلت عصابة إسكوبار الزعيم الليبرالي بيدرو بيليز غونزاليس.

وفي الحادي والعشرين من سبتمبر لنفس العام قامت عصابة إسكوبار بنسف تسع مقارَّ سياسية في مدينة تيوساكيلو.

وفي السادس والعشرين من سبتمبر قامت الكارتل بمهاجمة فندق هيلتون في كارتاهينا، ومع ذلك لم تتخلَّ السلطات عن جهودها في دحر أفراد الكارتل، وتفشي جرائم القتل على أيديهم، على الرغم من صعوبة إيقاف الانفجارات المستمرة، فقد قبضت على زعيمين «إدواردو مارتينيز روميرو» و«رافائيل إل مونو أبيلو»، وسلمتهم إلى

الولايات المتحدة. وقد ردَّت العصابات على ذلك، ففي ١٦ أكتوبر ١٩٨٩ فجَّرت سيارة مفخخة مقر صحيفة «فانغواردیا» الليبرالية في بوكارامانغا، وقتلت أربعة صحفيين.

وفي ٨ نوفمبر ١٩٨٩، قتلت عصابة إسكوبار القاضي «هيكتور خيمينيز رودريغيز» والصحفي «خورخي إنريكي بوليدو»، حيث تلقى تهديدات قبلها عندما كان في طريق العودة إلى برنامجه «موندو فيجين» الإخباري، وبعد بث البرنامج تلقى عدة طلقات. وقُتِل أيضًا «لويس فرانسيسكو ماديرو» (عضو مجلس النواب). وبحلول نهاية أكتوبر قُتِل سبعة من رجال الشرطة في ميديلين، خمسة منهم في انفجار حافلة أمام نادي الضباط.

أما في الثالث والعشرين من نوفمبر لعام ١٩٨٩، انطلقت عملية الصاعقة متجهة إلى مزرعة «إل أورو» في كوكورنا (أنتيوكيا) التي يقطن فيها كل من إسكوبار وخورخي أوتشوا، وكانت تستهدف قتل إسكوبار للحد من جرائمه والإرهاب الذي سببه للجميع.

ولكن كعادة الحظ الذي يخدم أرباب المشكلات أو الذين يطلقون عليهم ذوي النشاطات القاتلة، تمكن إسكوبار في آخر لحظة من الفرار، لكن اثنين من أخلص رجاله قُتِلوا؛ أحدهما كان شقيق زوجته «فابيو هيناو»، وتم اعتقال خمسة وخمسين شخصًا آخرين. وبعد أربعة أيام تحديدًا في يوم السابع والعشرين من نوفمبر، قامت عصابة إسكوبار بالرد على هذا الهجوم بتفجير طائرة أفيانكا في رحلتها رقم ٢٠٣ عندما كانت متجهة من بوغوتا إلى كالي، وكان على متنها عدد ١٠١ راكب و٦ من أفراد الطاقم، وكان الهدف من هذه العملية بالإضافة إلى ترهيب رجال الحكومة هو قتل سيزار جافيريا، والذي كان مرشحًا لرئاسة كولومبيا عام

١٩٩٠ خلفًا لغالان، لكنه ولحسن حظه لم يكن على متن تلك الطائرة بناءً على نصائح مستشاريه.

قُتِل في تلك العملية الإرهابية جميع الركاب البالغ عددهم ١٠٧، اثنان منهم من الجنسية الأمريكية، وفي السادس من ديسمبر لعام ١٩٨٩، وضعت عصابة إسكوبار حافلة مفخخة أمام مبنى إدارة الأمن محاولة قتل مديرها الجنرال ميغيل مازا ماركيز، لكنه لم يصب بأذى خلال الانفجار، بالرغم من أن المبنى قد دُمِّر نصفه. كما أن الانفجار قد دمر أكثر من ٢٠٠ مؤسسة تجارية حولها، وقتل ٦٣ مدنيًا وجرح ٥٠٠ آخرين.

في الخامس عشر من ديسمبر ١٩٨٩، تمكنت حكومة باركو من قتل الزعيم الثاني لكارتل ميديلين والقائد العسكري لها، الملقب بـ«المكسيكي» (رودريغيز غتشا) بنفسه، حتى بدا للجميع أن الساحة سوف تفرغ من المافيا في النهاية. فقد تم تحديد موقعه على يد أحد المخبرين الكولومبيين في الساحل الشمالي للبلاد، كان يختبئ وقتها عن أعين السلطات في الشمال؛ لأنه كان المسئول الأول عن أكثر من ٢٠٠٠ جريمة قتل، وتبنى الهجوم على مبنى إدارة الأمن.

وقُتل بعد مطاردة شرسة بين بلديات تولو وكوفيناس في إدارة سوكري، وقد كان بصحبة ابنه «فريدي رودريغيز سلاديس»، وكبير الملازمين له «جيلبيرتو ريندون هورتادو»، وأربعة من القتلة في جهازه الأمني، وتعود إليه معظم الهجمات الإرهابية التي نفذتها الكارتل، والتي وقعت في الأشهر الأخيرة من نفس العام.

عند ذلك الحدث تحديدًا وبعد ظهور بعض الضعف بداخل الكارتل خاصة بعد مقتل الرجل الثاني بداخل العائلة، حاولت جماعة

«المعرضين للتسليم» نهج استراتيجية جديدة للحوار والتفاوض مع الحكومة محاولين الضغط عليها.

في السادس عشر من ديسمبر ١٩٨٩ قاموا باختطاف «ألفارو دييغو مونتويا» الابن الأكبر للأمين العام للرئاسة آنذاك، «جيرمان مونتويا فيليز»، بالإضافة إلى اثنين من أقارب رئيس الجمهورية. ثم تم اقتراح تشكيل لجنة من شخصيات بارزة للتفاوض مع الإرهابيين من قبل الرئيس السابق ألفونسو لوبيز ميكلسين، بدعم من الرئيسين السابقين خوليو سيزار توروباي، وميسايل باسترانا بوريرو، و«الكاردينال ماريو ريبولو برافو»، ورئيس الاتحاد الوطني «ديجو مونتانا كويلار». في ١٧ يناير ١٩٩٠، استجابوا لهذا الاقتراح الذي ظهر في بيان على أنه طموح شرعي للتسامح القضائي، وعبروا عن «إرادة حقيقية للتفاوض». وفور إطلاق سراح الرهائن قاموا بتسليم حافلة محملة بطن من المتفجرات، وأحد أكبر مختبرات معالجة المخدرات في شوكو. وفي المقابل، توقع تجار المخدرات إنشاء لجنة رفيعة المستوى تتولى الإجراءات القانونية التي تسمح باستسلامهم. ومع ذلك، لم يحدث شيء من ذلك أبدًا، وانتهت محاولة الحوار والتفاوض بموجة جديدة من الإرهاب. وتم خداعهم من قبل الحكومة، وواجهوا هجومًا عسكريًا قويًا في إنفيغادو، منطقة العمليات العسكرية المعلنة من قبل اللواء الرابع بقيادة الجنرال هارولد بيدويا بيزارو، وقد وضعت جماعة «المعرضين للتسليم» حدًّا للهدنة في يوم ٣٠ مارس، ووضعت مبلغًا ماليًا على كل رأس شرطي ميت. شاركت ميديلين وضواحيها في حرب حضرية حقيقية بعد أول إعدام للقوات النظامية، وبعد الهجوم على شاحنة مجموعة النخبة التي وقعت على جسر إيتاجوي في يوم ١١ أبريل. أسفر هذا

الهجوم عن مصرع ٢٠ شخصًا وإصابة ١٠٠ آخرين، وهو الهجوم الأول من أصل ١٨ التي تلت بعضها البعض حتى نهاية يوليو، حيث أصبحت الحصيلة حينها ١٠٠ قتيل و٤٥٠ جريحًا. يوم ١٢ مايو عشية الاحتفال بيوم الأم، أودى انفجاران بحياة ٢١ شخصًا في اثنين من مراكز التسوق في بوغوتا. وفي نفس اليوم في كالي أدى عمل إرهابي آخر إلى مقتل ٩ مدنيين. في نهاية الشهر حدث انفجار أمام فندق إنتركونتيننتال في ميديلين، أدى إلى مقتل ٦ من رجال الشرطة و٣ من المارة، وقُتِل السناتور «فيديريكو استرادا فيليز» وسائقه بإطلاق النار. وزادت حدة العنف وأصبح ضحاياها يعدون بالآلاف، وانتقامًا على مقتل ٢١٥ من الضباط النظاميين الذين أُعدموا بين أبريل ويوليو ١٩٩٠، كانت فرق الموت تهجم كل ليلة على الكوميونات، وتطلق النار على العشرات من الرجال، بعضهم قاصرون. وبعد فترة وجيزة من مقتل قائد جيش إسكوبار بينينا (جون خايرو أرياس تاسكون) في ١٤ يونيو، جاءت سلسلة أخرى من الأعمال الحربية؛ قُتِل ١٩ من الشباب في أنتيوكيا في بار أوبورتو، وانفجرت سيارة مفخخة أمام مركز شرطة ليبرتادوريس أسفرت عن مقتل ١٤ مدنيًا. وأخيرًا، في نهاية شهر يوليو، بعد عملية كبيرة في ماجدالينا وسط أنتيوكيا التي هرب منها إسكوبار مرة أخرى، أصدرت جماعة «المعرضين للتسليم» هدنة جديدة، وأصبحت دفاعية في انتظار القرارات التي يمكن أن تتخذها الإدارة القادمة من غافيريا. وفي أية حال، فإنهم يؤكدون استحالة تسليمهم إلى العدالة إلى حين إعادة هيكلة أجهزة أمن الدولة. ولم تنشأ آليات قانونية ملائمة لتجنب تسليم المجرمين.

في خلال تلك الهدنة التي تم فرضها بين الكارتل والحكومة، وإلى جانب عملية السلام تلك غير الحاسمة، ورث الرئيس الجديد سيزار جافيريا «الحرب ضد تجار المخدرات»، التي قد سعى فيها سلفه إلى محاصرة كارتل ميديلين وشبكتها وعائلتها من القتلة والتجار والمتعاملين في تجارة الكوكايين، معلنًا أنهم أعداء للدولة.

وعلى الرغم من أنه خلال حملته الرئاسية قد أظهر الدعم الكامل للهجوم والتدابير التي اتخذها، إلا أنه كان من بين أكثر الناس تخوفًا من إرهابيي المخدرات ومناطق نفوذهم، وأظهر أن التسليم سيكون بطرق إدارية أضمن وأكثر احترازًا، مما لو استخدموا العنف بالفعل، فالعنف قد أظهر أنه لا يردع أيًا من كل تلك العمليات السابق ذكرها.

في لحظة تسلمه للمنصب أظهر اهتمامًا بشكل غير مباشر إلى أن التكلفة التي ستُصرف وقت تسليمهم إلى الولايات المتحدة ستكون

عالية، ويستحق الإنسان في هذه الحرب أن يبحث عن مخرج بديل يكون فيه تعزيز العدالة عنصرًا رئيسيًا بعيدًا عن الدماء والحرب.

وفي الثاني عشر من أغسطس لنفس العام، حدث ما لا تُحمد عقباه، حادث مهم سيغير مجريات الحرب تمامًا بين الحكومة وبين بابلو إسكوبار والكارتل، وهو أن رجال مجموعة النخبة الذين تم اختيارهم من قبل قد قتلوا غوستافو غافيريا ابن عم بابلو إسكوبار ويده اليمنى في كل أعماله منذ نشأته، وهو ما حسم الحركة الإرهابية في الكارتل لمسار لم يكن في الحسبان.

أعلن «المعرضون للتسليم» أو رجال الكارتل هدنة أحادية الجانب في يوليو لم تحدد مدتها، عندها استغل وزير العدل خايمي جيرالدو أنخيل هذا الموقف، وأسس قانونًا تشريعيًّا للدولة، ونشره بمبدأ سياسة التقديم للعدالة. رفعت هذه السياسة التي تحققت في خمسة مراسيم بعد التصحيح إلى التشريع الدائم في قانون الإجراءات الجنائية الجديد، التي تطمح إلى شروط مبسطة تسعى لتخفيض العقوبة على تجار المخدرات الذين يستسلمون طوعًا، ويعترفون بجريمة واحدة على الأقل، مع ضمان بعض الشروط كمحاكمتهم في البلاد، وحجزهم في أجنحة أمنية مشددة.

كان عرضًا مغريًا يضمن الهدنة المؤقتة في تلك الحرب العنيفة التي شهدتها البلاد، أول من قبل هذا العرض، بين ديسمبر ١٩٩٠ وفبراير ١٩٩١، كانوا الإخوة أوتشوا «خورخي لويس» و«خوان ديفيد» و«فابيو».

أما عن الكارتل ميديلين، فقد كان شركاء إسكوبار المقربين متشككين في نوايا الحكومة التي لم تتوافق معهم في السابق، وقاموا بتنظيم سلسلة من عمليات الاختطافات الانتقائية للصحفيين المشهورين

والشخصيات المؤثرة في حياة البلاد. وخطط إسكوبار لاختطاف أقارب أعضاء الحكومة والصحفيين، ومن بعض أسماء الرهائن المشهورين الآتي ذكرهم:

رئيس تحرير صحيفة «إل تيمبو» فرانسيسكو سانتوس كالديرون، الصحفية وزوجة السياسي والدبلوماسي ألبرتو فيلاميزار كارديناس ماروجا باشون دي فيلاميزار، شقيقة ألبرتو فيلاميزار بياتريز فيلاميزار من غريرو، مديرة برنامج «كريبتون» التلفزيوني ومجلة «هوي إكس هوي» وابنة الرئيس السابق للجمهورية خوليو سيزار توروباي أيالا ديانا توروباي، والتي توفيت في أحداث مريكة أثناء محاولة إنقاذها من قبل الشرطة، شقيقة الأمين العام للرئاسة السابق، جيرمان مونتويا، مارينا مونتويا دي بيريز، والتي خطفت انتقامًا لمقتل الأخوين «أرماندو» و«ريكاردو بريسكو لوبيرا» قادة منظمة «لوس بريسكوس» الذراع المساعد للكارتل وبابلو إسكوبار.

الابن الأكبر للأمين العام للرئاسة السابق جيرمان مونتويا، ألفارو دييغو مونتويا، قريبات الرئيس السابق فيرجيليو باركو فارغاس باتريشيا إشيفيري وابنتها ديانا إشيفيري؛ للضغط على الرئيس المنتهية ولايته ومعاملته كمجرم سياسي؛ لتستفيد العصابة من العفو المقدم وقتها، وغيرهم الكثير والكثير الذين خُطِفوا تحت التهديد من بابلو وعائلته.

سعى إسكوبار أيضًا في تلك الآونة لانتزاع اتفاق السلطة التنفيذية بالضغط مرة أخرى بقوة السلاح، والتهديد بإعدام الرهائن مع استئناف الهجوم الإرهابي.

في الثالث عشر من ديسمبر ١٩٩٠، قتل إسكوبار ٧ من رجال الشرطة في ميديلين بانفجار قنبلة، بالإضافة إلى ٧ آخرين قُتِلوا على يد العصابة في الثلاثة أيام الأولى من شهر يناير للعام التالي، ثم بدأت

موجة جديدة من الهجمات.

فقد قُتِل اثنا عشر ضابطًا من الشرطة من قبل قتلة مأجورين يعملون مع بابلو إسكوبار، وانفجرت حافلة خلفت ٦ من القتلى. وفي ١٦ فبراير وقع انفجار كبير لدورية في ميديلين أمام حلبة مصارعة الثيران في المدينة، وقُتِل إثرها ٢٢ مدنيًا. بعد شهرين، في بوغوتا قتلت عصابة إسكوبار وزير العدل السابق «إنريكي لو مورترا». اضطرت الحكومة للامتثال لمطالب إسكوبار، الذي أطلق سراح بقية الرهائن كبادرة «حسن النية»، لكن فقط حتى يتأكد من أن الجمعية الوطنية التأسيسية قد صوتت ووافقت على المادة التي تحظر تسليم الكولومبيين الأصليين في ١٩ يونيو ١٩٩١.

وقد تم تسليم إسكوبار إلى وسطاء الاستسلام «القس رافائيل غارسيا هيريروس» و«ألبرتو فيلاميزار»، ثم نقل إلى سجن «لا كاتدرال» الشهير في إنفيغادو. ومن داخل السجن، وبالرغم من وعوده لوقف الجرائم، استمر في إدارة أعماله غير المشروعة من خلال حليفين آخرين لم يستسلما بعدُ، وهما: «فرناندو غاليانو» الملقب بالأسود، و«جيراردو مونكادا» أو كيكو، بالإضافة إلى العديد من القتلة الآخرين الذين ظلوا على نشاطهم حتى بعد سجن إسكوبار.

وبما أن سياسة التفاوض على العقوبات تحمي أيضًا الجماعات شبه العسكرية، وعددًا من أعضاء المنظمات التي تقطن في قرطبة، ووسط ماجدالينا، وسييرا نيفادا، وبوياكا، وفالي ديل كاوكا والسهول الشرقية، فقد داهمتها السلطات، واعترفوا فقط بجريمة حمل السلاح غير المرخص، وقامت أكبر مجموعة بقيادة «أرييل أوتيرو» بتسريح ٤٠٠ من أعضائها في بويرتو بوياكا.

وفي قرطبة سلمت جماعة «الموت لثوار شمال الشرق» بقيادة

فيدل كاستانو ٦٠٠ من الأسلحة والبنادق، وبعض الأراضي كتعويض للفلاحين الذين جُرِّدوا من أراضيهم. بالإضافة إلى نحو ٢٠٠ من الرجال كان يقودهم «رودريغيز غاتشا» قبل العفو في مدينة باشو (كوندينامركا).

ونتيجة لذلك، قلَّت عمليات قتل المدنيين بشكل كبير في العام ١٩٩٢، ويعود الفضل إلى جماعة «الدفاع عن النفس» في السنوات السابقة.

وفي وسط ماجدالينا شاركت أيضًا جماعة الدفاع عن النفس بصراع وحشي مع شركائها السابقين في تجارة المخدرات عام ١٩٩٠. قُتِل القائد الأول «هنري بيريز» على يد مسلح خلال احتفال سيدة جبل الكرمل في يوليو ١٩٩١، ولاقى خليفته «أرييل أوتيرو» حليف كارتل كالي نفس المصير في بداية عام ١٩٩٢. تفككت القوات المتبقية، ودخل بعضهم في خدمة إسكوبار، في حين أن الجماعات الأخرى التي يقودها «رامون إيزازا « تراجعت من المنطقة. وفي نفس الوقت وفي الجزء الجنوبي من المنطقة بالقرب من هوندا، توليما، أخذ القيادة «خايمي رودا» الذي قتل «غالان»، وهرب من السجن قبل عام، وأصبح قائد عصابة مكونة من ١٥٠ مجرمًا، وكان يبحث عن منصب أعلى. وفي مارس ١٩٩٢ قُتِل رئيس بلدية بويرتو بوياكا، ثم رُمِي جسده مع ٤ من رفاقه في نهر ماجدالينا. لكن لم يستطع نيل ما كان يطمح إليه، في ١٤ أبريل من نفس العام تم إطلاق النار عليه من قبل دورية جماعة العمليات الأمنية الخاصة مع ٦ من أنصاره في مطعم هوندا. بعد موته، قلَّت أنشطة جماعات الدفاع عن النفس في المنطقة بشكل كبير.

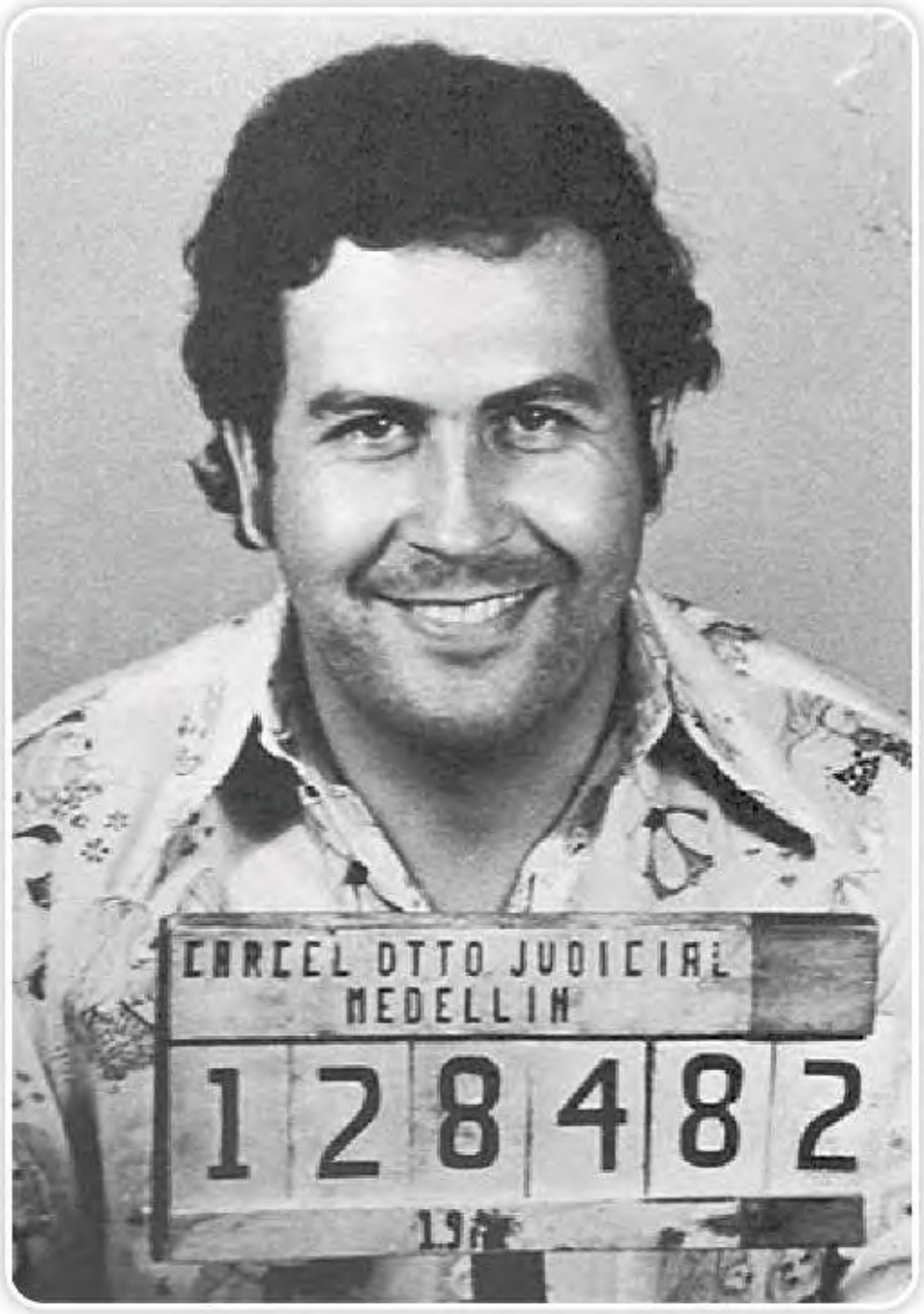

في العشرين من يونيو لعام ١٩٩١م، دخل إسكوبار السجن طوعًا بإرادته الخاصة في كولومبيا، في مقابل عدم تسليمه إلى الولايات المتحدة، ويا له من سجن هو الذي سُجِن فيه بابلو إسكوبار، فلم يكن

مجرد سجن عادي من الذي تعوّده البشر.

فقد طلب إسكوبار من الحكومة أن يكون في سجن حصري على أمره ومزاجه هو؛ بحجة أنه مهدد بالموت إذا دخل إلى منشأة إصلاحية عادية. وقد أذنت له الحكومة بإنشاء الموقع على حسب متطلباته، والتي أصبحت فيما بعد أسوأ مثال على نظام السجون الكولومبي؛ لما به من رفاهيات.

فقد أطلق على الموقع الذي يسمى سجنًا اسم «لا كاتدرال». وتم بناء السجن في أراض اختارها إسكوبار بنفسه مساحتها تتعدى الثلاثين ألف متر مربع، وقد كانت الأرض استراتيجية بحتة ومناسبة بشكل قياسي لملياردير مثل إسكوبار، حيث تقع الأرض على منحدر جبلي فوق وادي العسل في كولومبيا، على ارتفاع ٧,٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر، والتي من شأنها أن تعطي الحراس نظرة واضحة من الأعلى لأي تهديد يتعرض له المسجون. وتتميز المنطقة أيضًا بالضباب الكثيف في المساء وعند الفجر، الأمر الذي يجعل الغارات الجوية المفاجئة الآتية من الجو أكثر صعوبة، والهروب «والذي لجأ له إسكوبار عدة مرات» يكون بسيطًا إذا ما تطلب الأمر ذلك دون أن يلاحظ أحد.

وتساعد الغابات الكثيفة التي تغطي كل شيء والمحيطة بها في الاختباء، وكما قلنا سابقًا، فلم يكن هذا السجن سجنًا بالمعنى الحرفي، إنما عبارة عن منتجع كبير يسكن فيه إسكوبار كالعطلة الصيفية، حيث تتوفر في السجن كل الكماليات الترفيهية التي قد يحتاج لها إسكوبار وأصحابه المسجونون معه، كالفندق الضخم الذي يحوي المأكل والملبس عاش إسكوبار والاسم مسجون، ويعتقد أيضًا أن غالبية حراس السجن كانوا من عصابته وعائلته، ولكن متنكرين بزي حراس سجن.

أما عن الفعلة نفسها، فقد استغلها إسكوبار لصالحه، حيث ادَّعى

إسكوبار أن سجنه يعتبر تضحية شخصية؛ لما فيه من خير لجميع المتاجرين -الذين تخلصوا «بمفردهم» من عملية التسليم للمجرمين. وبسبب الفوائد التي يتلقونها، كانوا يتوقعون تعويضه عن طريق دفع الضرائب.

كان إسكوبار وقتها في السجن يعرف كل ما يجري بالخارج، بفضل شبكة اتصالاته الواسعة بالخارج، وقد تعامل بقسوة مع الذين حاولوا غشه بالضرائب أو أي شكل من أشكال الخداع، حتى وهو خلف القضبان، وإن كانت مزيفة لا تقوى على حبس حشرة.

وعلى رأس من خدعوه في الأموال التي كان يتحصل عليها إسكوبار، كان صديقا إسكوبار «فرناندو غاليانو» (الأسود) و«جيراردو مونكادا» (كيكو) واللذان يديران أكبر مجموعات الاتجار التي تخضع لضرائب إسكوبار وهو بالسجن، وكانا يقومان بتهريب الكوكايين إلى أمريكا بأنفسهم بالطرق المعتادة، عبر طريق أنشأه إسكوبار مرورا بالمكسيك.

وصل خبر الخدعة إلى سجن إسكوبار المسمى بـ«لا كاتدرال» وتبين لبابلو أن المبلغ الذي تلقاه أقل قليلًا من المعتاد، وشعر إسكوبار بأن قلة المبلغ المستحق تقليل منه شخصيًا، وأن خداعهم هذا ما هو إلا تمهيد للاستيلاء على منظمته لصالحهم.

فقام إسكوبار بالعمل على الانتقام من هؤلاء الذين يريدون خيانته واستبعاده عما تعب فيه خلال كل تلك الأعوام، وهل السجن يقوى على رجل بحجم إسكوبار؟ بالطبع لا.

من خلال شبكة اتصالات ونفوذ إسكوبار خارج سجنه، والتي تتعدى رؤساء وحكومات، عرف إسكوبار المكان السري الذي خبأ الرجلين فيه أموالهم كلها، من أول لآخر دولار، فأمر رجاله بالهجوم على هذا المكان، ثم مصادرة مبلغ ٢٠ مليون دولار من تلك الأموال.

وصلت أخبار الاستيلاء للرجلين، الذين غضبا، ثم شعرا بالخوف من إسكوبار، فقاما بالتواصل مع بابلو، ومن ثم أنكرا غاليانو ومونكادا

ادّعاءات إسكوبار في محاولة منهما لإثبات حسن النية، وأنهما من السرقة والخيانة براء.

وطلبا منه إعادة أموالهم التي أخذها إسكوبار بكل تلك السهولة، فأخبرهما إسكوبار بأنه يريد أن يكون النقاش بينهم بشكل شخصي في السجن لديه.

وبالفعل ذهبا إلى إسكوبار في السجن، وعندما التقى غاليانو ومونكادا بإسكوبار ألقى عليهما محاضرة بخصوص كل ما كان يفعله بالنسبة لهما من تسهيلات ومساعدات بل إنه واجههما بالحقيقة أنه هو من صنع لهم اسمًا في سوق الكوكايين.

أخذ الرجلان تلك المحاضرة على مضض، خافا من كل تلك الاتهامات والحقائق التي واجههما بها إسكوبار، ثم بعد أن غادر الاثنان «لا كاتدرال»، أمر إسكوبار باغتيالهما.

جون خايرو فيلاسكيز الملقب «بوباي» قتل «مونكادا»، وخيسوس غونزاليس فرانكو الملقب «أوتو» أطلق النار على «غاليانو»، وليس هذا فحسب، فقد تم اغتيال إخوانهم خلال أيام من اغتيالهم الشخصي؛ ليتم القضاء على دابرهم إلى الأبد، لتنتهي المنظمات التابعة لهم هي الأخرى.

بعد مقتلهم، كان إسكوبار يريد الاستحواذ على جميع ممتلكات منظماتهم، فأرسل إلى موظفيها بأنهم يعملون لصالح إسكوبار. وتم تهريب أهم الأشخاص إلى «لا كاتدرال» من خلال نفق سري؛ لحضور اجتماع قرر إسكوبار أن يعقده مع موظفي المنظمتين، وكان أغلب من توجهت له الدعوة يعتقد أنه سيُقتل بأمر من إسكوبار، ولكن أخبرهم إسكوبار بأنه يعلن حالة الطوارئ، وقال لهم: «رؤساؤكم تم قتلهم. عليكم الآن تسليم جميع ممتلكاتهم لي. إذا كذبتم، ستموتون شر ميتة».

وذكَّرهم بأنه هو الرئيس، وأخبرهم بأنهم سيكونون آمنين ما داموا يدفعون له الضرائب بانتظام.

دونت إدارة مكافحة المخدرات نسخة من الأحداث، مستندةً إلى بيان المخبر: في محاورة بين إسكوبار وشركائه المقربين عندما كان بالسجن، تبين أنهم يحتاجون المال؛ لحربهم الباهظة الثمن مع كارتل كالي، وقد فضل كل من غاليانو ومونكادا حفظ المال حتى يتعفن بدلًا من استخدامه لمساعدة أصدقائهم، وأقنع إسكوبار أعضاء الكارتل الذين كانوا يحبون مونكادا وغاليانو أنه إذا لم يقتل الرجلين، فإن كارتل ميديلين ستخوض حربًا مع نفسها، وأنهم سيهلكون جميعًا.

جعل مقتل غاليانو ومونكادا من إسكوبار ضعيفًا في حال عدم اتخاذه لأي إجراء. أكبر عدوين لإسكوبار -جورج بوش الأب رئيس الولايات المتحدة بنفسه، وكارتل كالي- كانا يمارسان ضغطًا لا هوادة فيه ولا رحمة على الحكومة؛ لاستبعاد إسكوبار إلى الأبد من خلال نقله إلى سجن آخر، يكون حينها معرضًا للاغتيال، أو بتسليمه إلى الولايات المتحدة، حيث لن يخرج من السجن أبدًا.

يبدو أن السياسة الأمريكية في ذلك الوقت قد توجهت صوب القبض على إسكوبار لا محالة أو الإجهاز عليه، فقد أعلنت أمريكا صراحة بأنها بصدد القبض على إسكوبار بقيادة جورج بوش الأب.

فقد وصلت رسالة لإسكوبار في ذلك الوقت من شقيقه روبرتو بأنه يشعر بشيء سيئ تجاهه، وتجاه الكارتل على وشك أن يقع، وطلب منه اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة إذا ما ساء الأمر.

أخبرت الحكومة والجيش الموالين لإسكوبار له شخصيًا بأنه يجب عليه أن يتخلى عن سجن أو منتجع «لا كاتدرال»؛ لأن جورج بوش الأب بنفسه يهدد بغزو أرضي من المشاة على كولومبيا إذا لم تستطع الحكومة تسليم إسكوبار، بحيث يستلمونه هم بمعرفتهم الشخصية.

وقد تم رصد شاحنات عسكرية متجهة إلى «لا كاتدرال» من الولايات المتحدة، وتلقى إسكوبار رسالة تفيد بأن المسئولين سيأتون

للتحدث معه؛ بهدف نقله إلى بوغوتا.

وبالفعل ودون تكذيب وتأخير للخبر، تمت محاصرة السجن من قبل الجيش أرضًا وجوًّا، وكان لإسكوبار خياران؛ إما أن يسلِّم نفسه، وهذا ما كان يخشاه طيلة حياته، أو عليه فقط الهرب.

عند الساعة الثانية صباحًا كان الضباب كثيفًا، وأصبحت الرؤية صعبة على الجميع خصوصًا المحاصِرين، وكانت فرصة لإسكوبار، حيث إنه لا أحد يستطيع أن يراه، فقد استغلها، واتجه مع رجاله إلى السياج المحيط بالسجن، وأغلق أحد الحراس الموالين له إضاءة السجن بأكمله؛ كي يكمل الظلام، بالتعاون مع الضباب الطبيعي الذي يغطي كل شيء، وبمجرد أن غرق كل شيء في الظلام الدامس، فتح الرجال حفرة في الجدار المبني من الطوب الأحمر (كان قد أعده إسكوبار قبلها خصيصًا للهرب في الحالات الطارئة إذا ما ساءت الأحوال) وزحفوا من خلالها خارج حدود السجن.

بعد ساعتين، عندما تحسَّنت الرؤية، وصلوا إلى حي يسمى «إل سالادو»، كان الناس وقتها متجهين للعمل، والأطفال إلى المدرسة، ظهر إسكوبار ورجاله بملابسهم الممزقة القذرة كالمشردين أمام الجميع، وتوجهوا إلى مزرعة أحد الأصدقاء الموثوق به، والذي يدعى «ميمو».

أحرج هروب إسكوبار الرئيس الكولومبي الذي كان يظهر على شاشة التلفزيون يوميًّا لتبرير موقف الهروب، وأكد للسفير الأمريكي أنه لا مانع من وجود القوات الأمريكية في الأراضي الكولومبية؛ للحدِّ من جرائم بابلو إسكوبار المتكررة في البلاد.

لقد كان يريد المساعدة قدر الإمكان لحل مشكلة إسكوبار، فتم استدعاء الأمريكان بشكل عاجل، وكانوا سعداء باستئناف البحث عن إسكوبار؛ لأنها كانت فرصة لجورج بوش أن يصرف انتباه جمهوره عن القضايا المحلية التي هددت مسيرته الرئاسية في أمريكا خاصة بعد

حرب الخليج الأولى وغيرها من الأحداث، وأن يعزز شعبيته باصطياد الشخص الوحيد الذي أرَّق القيادات الأمريكية في نومها، والذي وصفه جورج بوش الأب بأنه أكبر مهرب كوكايين في العالم، والتي إذا ما نجحت فإنها ستزيد بالتأكيد فرص نجاحه في الانتخابات لولاية ثانية.

أرسلت إدارة مكافحة المخدرات في بوغوتا برقية إلى واشنطن تقول فيها ما يلي: «ترى السفارة الأمريكية المحلية أن إسكوبار قد تجاوز حدوده، ووضع نفسه في موقف محفوف بالمخاطر. قد يؤدي تباهي إسكوبار وتكبره إلى انهياره».

أرسل بعدها وعلى وجه السرعة جورج بوش الأب تعزيزات لكولومبيا جعلت إسكوبار يعيش في تهديد مستمر باغتياله، والتي سوف تسبب مشاكل داخل الولايات المتحدة، وشارك في هذه التعزيزات كل من: قوة دلتا، و(سنترا سبايك) نشاط دعم الاستخبارات، وإدارة مكافحة المخدرات، ومكتب التحقيقات الفيدرالي، والمقاتلات التكتيكية المتقدمة، ووكالة المخابرات المركزية، ومكتب الكحول والتبغ والأسلحة النارية والمتفجرات، والجيش والقوات البحرية والقوات الجوية. استطاعت فرقة «سنترا سبايك» أن تحصل على نتائج من طائرات كانت تحلق فوق ميديلين بتقنية لالتقاط مكالمات إسكوبار.

وجاء ردُّ بابلو إسكوبار والذي كان هاربًا يحيطه الخوف من كل الجهات بما يلي بالفاكس.

نعلن نحن «المعرضين للتسليم»: أنه إذا حدث أي شيء للسيد بابلو إسكوبار، سنحمل الرئيس غافيريا المسئولية، وسنكرر الهجمات مرة أخرى على جميع أنحاء البلدة. وسوف نستهدف سفارة الولايات المتحدة في البلاد، حيث إننا سنزرع أكبر كمية متفجرات من أي وقت مضى. بموجب هذا نعلن: أن اللوم على هذه الفوضى كلها على عاتق الرئيس غافيريا. إذا قُتِل بابلو إسكوبار أو أي أحد آخر، سنشن هجماتنا

على الفور في جميع أنحاء البلاد.
شكرًا جزيلًا».

كان ذلك التهديد بمثابة الصفعة على خد كل أمريكي كما وصفه الخبراء وقتها، وقد تحول الأمر من مطاردة لمجرم شديد الخطورة إلى الدفاع عن كرامة دولة عظمى كالولايات المتحدة، فعرض جورج بوش الأب مكافأة قدرها مليونا دولار أمريكي لمن يدلي بأي معلومات ولو بسيطة تفيد القبض على إسكوبار.

وعرضت السفارة الأمريكية في كولومبيا مبلغًا يقدر بمائتي ألف دولار أمريكي لمن يحصل على أي معلومات مفيدة. وتم الإعلان عن المكافأة على شاشة التلفزيون الرسمي للدولة، ببرنامج يعرض صورًا لإسكوبار وأتباعه متتابعة على مدار الساعة.

قامت الشرطة الكولومبية بتحويل سجن «لا كاتدرال» إلى مقر لها بعد السيطرة على ذلك المنتجع المسمى بالسجن، واستخدم أعضاء قوات دلتا برج المراقبة الخاص بإسكوبار في السجن للمراقبة والاتصالات بين الولايات المتحدة وكولومبيا.

تم تغذية إحداثيات الخريطة من قبل فرقة «سنترا سبايك» عندما حصل إسكوبار على هاتف لأول مرة، وأجرى مكالمة، فبدأوا في تحديد منزل بحي يطلق عليه الزوايا الثلاثة.

عندما أجرى إسكوبار مكالمة ثانية تم تحديد وتصوير الموقع بشكل دقيق، رفض القائد الكولومبي المعلومات التي تلقاها من قوات دلتا، واتصل الأمريكيون بالرئيس يقترحون إرسال وحدة سرية صغيرة للسيطرة على الموقف، وبدلًا من هذا، أمر الرئيس بهجوم شامل من قبل قوات كتلة البحث الخاصة على الموقع، رصدت قوة دلتا من «لا كاتدرال» مصابيح أمامية لقافلة القوات الخاصة، وهي تصعد التلة متجهة ناحية حي الزوايا الثلاثة، بينما مجموعة أخرى من المصابيح

الأمامية تنحدر من الجانب الآخر، افترضوا أنه إسكوبار ورجاله يهربون عندما شاهدوا تلك المصابيح تتلألأ في كل مكان في الأمام والخلف، وقد أمضت القوات أربع ساعات كاملة في البحث داخل مزرعة فارغة، بغض النظر عن المعلومات التي قدمها الأمريكان إلى الكولومبيين فقد كانت الاستجابة بطيئة، مما سمح لإسكوبار بالهرب مرارًا وتكرارًا، يبدو أن الحكومة كانت متواطئة بشكل أو بآخر مع إسكوبار وعائلته.

ومع انشغال الجنرال «مازا» كان الأمريكان بحاجة إلى شخص آخر للتنسيق معه، وكان هذا الشخص هو الكولونيل «مارتينيز» رئيس كتلة البحث، التي قتلت قواته ابن عم إسكوبار المحبوب «غوستافو» من قبل.

من هو الكولونيل مارتينيز إذن؟

قبل دخول إسكوبار سجن «لا كاتدرال» كان الكولونيل «مارتينيز» يطارده بشكل رسمي في كل أركان البلاد مدة عامين؛ آملا في القبض عليه دون أن يتم له هذا، ولم يلقَ مارتينيز التشجيع الحكومي والدعم المتوقع الذي كان يطمح إليه، كما حصل مع «مازا» بعده، وعلى صعيد آخر فقد كان إسكوبار يحاول عدة مرات اغتياله هو أيضًا، وفي العام ١٩٩١، كان مارتينيز في عطلة قصيرة إلى إسبانيا مع عائلته؛ ليبحث عن الهدوء والاستجمام بعيدًا عن أجواء الجريمة والمطاردات، ليتم العثور على قنبلة تستهدفه في تلك الرحلة، مما جعل الطائرة تضطر إلى الهبوط اضطراريًّا دون خسائر تُذكر.

وفي العام ١٩٩٢ بينما كان الكولونيل في طريقه إلى العمل صباحًا، عثرت السفارة الكولومبية على سيارة مفخخة في طريق «مارتينيز» كانت تستهدفه أيضًا.

بعد ذلك، طلبت السفارة من «مارتينيز» الابتعاد عن مبناها إذ ما زال إسكوبار طليقًا زيادةً في الأمان، ما دام الكولونيل يشكل مصدر تهديد

متتال على كل مَن حوله، وقد سنحت الفرصة لمارتينيز في إنهاء المهمة أخيرًا حين قدَّم له الأمريكان معلومات تلقوها من خلال برنامج المكافأة التي قدمتها الولايات المتحدة للقبض على إسكوبار.

كان أحد المخبرين التابعين للشرطة الكولومبية قد حدد مكان أحد أفراد عصابة إسكوبار اسمه «برانسس أليكساندر مونوز موسكيرا»، ويلقب بـ«تايسون» (لأنه كان يشبه الملاكم الأمريكي الشهير مايك تايسون).

بدأ الهجوم مع قوات كتلة البحث عن تايسون، وتم احتجازه بعد انتهاء المعركة، وإعدامه بعيار ناري بين عينيه، وقد سجلت وفاته رسميًّا بأنها بسبب معركة إطلاق نار مع الشرطة الوطنية ليس أكثر، ولكن هذا لم يقنع إسكوبار أبدًا.

فردَّ إسكوبار على ذلك الهجوم في نفس اليوم، حيث أطلق رجاله النار على أربعة من أفراد الشرطة القابعين على ناصية أحد الشوارع، وفي اليومين التاليين قُتِل خمسة آخرون من الشرطة.

ودفع إسكوبار مبلغ ٢,٠٠٠ دولار مكافأة لكل قتيل، وخلال ستة أشهر قتل إسكوبار ٦٥ شرطيًّا في ميديلين وحدها، منهم عدد من الرجال يعملون لصالح «مارتينيز» نفسه. وبالرغم من أن هوياتهم يفترض أن تكون سرًّا من أسرار الدولة، إلا أنه قد تم إعدام العديد منهم في منازلهم أو بالطريق إلى عملهم، فلم يكن إسكوبار يمزح أبدًا، قد قرر الحرب إذن فالحرب ستكون هي اللغة.

قرر إسكوبار التسلل بعدها إلى مقر كتلة البحث، وعلى الفور أرسلت فرقة «سنترا سبايك» معلومات عن موقع إسكوبار إلى «مارتينيز»، والتقطت مكالمة من المقر كانت متجهة إلى أحد رجال إسكوبار، يقول فيها: «إنهم في طريقهم إليك»، وتم إرسال تسجيل المكالمة إلى مارتينيز، لكنه لم يتمكن من التعرف على الصوت الذي

كان يحادث إسكوبار، ويحذِّره من هجوم القوات.

وما زالت التحذيرات إلى إسكوبار مستمرة لا تنتهي، وكان مارتينيز يود الاستقالة؛ لأنه لم يتمكَّن من إحراز أي تقدم في هذا الوضع الذي خرج عن سيطرته، والذي من الجلي والواضح أن إسكوبار دائمًا متقدم عليه بخطوة، فلا يحرز أي تقدم يُذكر.

قوبلت استقالته بالرفض التام، والأمر باستكمال ما بدأه في مطاردة إسكوبار، فأمل الولايات المتحدة وكولومبيا بل والساحل الأمريكي كله معلق على رقبته؛ للتخلص من ذلك الشر المسمى بـ«المافيا».

بعد عودة مارتينيز إلى مقره، اكتشف بالمصادفة أن أحد حراس محيط القاعدة كان يخونه، وقد كانت بعض المعلومات التي يتلقاها عن إسكوبار كاذبة يتعمد إسكوبار تسريبها إلى مارتينيز ليضلله، أصبح مارتينيز وإسكوبار كلاعبي شطرنج يتقصى كل منهما خطوات الآخر ويحاول كل طرف أن يصل لتفكير اللاعب الثاني ليسبقه بخطوة وينتصر.

أشرف مارتينيز على قطع الاتصالات الخلوية في ميديلين في محاولة لحصر اتصالات إسكوبار، لكن إسكوبار كان داهية لا يوقفه شيء، فتحول إسكوبار إلى المذياع والرسائل، وكان مارتينيز يلتقط اتصالاته ورسائله، لكن إسكوبار كان يستخدم الشفرات والأرقام مع عصابته والتي لا يفهمها من هم دون العائلة، وكان مارتينيز في كل مرة يحاول فيها شيئًا جديدًا، كان إسكوبار يتحول إلى استراتيجية اللامبالاة مع الدهاء المطلق، ذئب هو إسكوبار لا يخسر معركة أبدًا.

عجزت الولايات المتحدة عن القبض على إسكوبار، وبسبب فشلهم في القبض عليه، فقد صعَّدوا الأمور لشكل غير مسبوق من خلال استراتيجية ذات شقين.

وبما أن إسكوبار استهدف أفراد أسر أعدائه، فقد اقترحت وكالة المخابرات المركزية فعل الشيء نفسه مع إسكوبار؛ لأنه يبدو أن لديه

مشاعر أبوية حقيقية لأطفاله، وهذا ما وضح للجميع في أكثر من مناسبة؛ فقد اختُطِف والداه في إحدى المرات على يد جماعة منافسة، وعلى ما يبدو أن إسكوبار لم يدَّخر أي جهد أو نفقات لإنقاذهما، لكن قلقه على والديه أو أولاده ليس مؤكدًا بأن يتغلب على إدْراكه الأمني الصارم. وكان الشق الآخر هو استخدام طريقة كانت وكالة الاستخبارات المركزية قد استخدمتها لعقود في أمريكا الجنوبية، وهي تسليح وتدريب فرق الموت، وفي ٣٠ يناير ١٩٩٣، قام إسكوبار بتفجير سيارة مفخخة عند مكتبة في بوغوتا، دُمِّر جزء من المبنى بسببها، وتوفي ٢١ شخصًا وجرح ٧٠. في اليوم التالي، تم حرق مزرعة تابعة لأم إسكوبار؛ كردٌّ على التفجير الذي قام به إسكوبار، وقصفت مساكن تملكها أسرته أدت إلى إصابة والدته وعمته، بعد أيام، أحرقت إحدى مزارعه، وعلى ما يبدو أن كل تلك الأحداث التي تخصه هو وعائلته لم تكن من تدبير الفرق الحكومية، ويعتقد أن من قام بهذه الأعمال التخريبية لإسكوبار جماعة قد تعهَّدت بالانتقام منه ومن عائلته وشركائه، وكانت تطلق على نفسها اسم «لوس بيبيس»، انضم إلى «لوس بيبيس» بعض الأعضاء السابقين المنشقين في كارتل ميديلين وخاصة عائلات مونكادا وغاليانو.

وانضمت أيضًا كارتل كالي مع «لوس بيبيس» من خلال الدعم المالي والاستخباراتي واللوجستي.

اكتسبت «لوس بيبيس» أساليب إرهابية، وبدأت بالهيجان والخطف، والتفجير وتعذيب وقتل أي شخص مرتبط بإسكوبار، سواء كان مجرمًا أو بريئًا، وكانت أهدافها الرئيسية أفراد أسرته ومحاميه ومحاسبيه، وبسبب ذلك انشقَّ العديد من موظفيه، وانتقلوا إلى كارتل كالي التي كانت تزدهر وتشدد قبضتها على الحكومة الكولومبية من خلال الرشوة. وكان الإعلام الأمريكي يدَّعي أن قواتهم في كولومبيا تشنُّ حربًا على المخدرات، لكنهم بالواقع كانوا يتعاونون مع «لوس

بيبيس» وكارتل كالي، التي كانت وقتها تزدهر في إمدادات الكوكايين إلى أمريكا.

ثم توالت أعمال لوس بيبيس، ففي فبراير لعام ١٩٩٣، تم العثور على أحد مديري الكارتل مقتولًا، ومعلقًا على عنقه ملاحظة مكتوب عليها: «للعمل من أجل إرهابي المخدرات والطفل القاتل بابلو إسكوبار. لكولومبيا. لوس بيبيس».

ثم شرعوا في قتل ما يصل إلى ستة من موظفي إسكوبار ومرافقيه في اليوم، بما فيهم مدير الشرطة الوطنية الكولومبية الذي كان يتقاضى راتبًا من إسكوبار. وأطلقوا النار على الرجل المسئول عن عمليات التمويل في رأسه عدة مرات. وتم حرق مستودع لإسكوبار يحتوي على سيارات قديمة تقدر قيمتها بقيمة أربعة ملايين دولار كاملة.

وفي الثامن والعشرين من فبراير لعام ١٩٩٣، قتلت «كتلة البحث» صهر إسكوبار؛ للحدِّ من نفوذه ورجاله، حاول إسكوبار أن يُخرج عائلته من البلاد؛ لأن تهديد «لوس بيبيس» بدأ يقترب من كل فرد في عائلته، فتدخلت السلطات الأمريكية؛ لمنعهم من المغادرة، وقتلت «لوس بيبيس» شقيق رجل كان يتعامل بالعقارات مع إسكوبار، وقاموا بقصف ممتلكات المصرفيين والمحامين للإمبراطور.

يبدو أن إسكوبار كان حنونًا على عائلته لآخر نفس، فقد كان مشهورًا عنه أنه قد أوقد النار في مليوني دولار؛ لكي يدفئ ابنته فقط حينما شعرت بالبرد وقت الحصار الحكومي على منزله، إذن فعائلته كانت تستحق مثل تلك التضحية.

في الرابع من مارس لعام ١٩٩٣، تم العثور على جثة أحد المحامين الرئيسيين لإسكوبار، ومعه مذكرة من «لوس بيبيس» تهدد بقية المحامين الذين يتعاملون معه.

ثم إن اثنين منهم قُتِلا بشكل سريع، وقتلوا أيضًا محامي روبرتو

إسكوبار عندما خرج من السجن الذي كان يزوره فيه، وقاموا بتعذيب وقتل أحد محامي إسكوبار وابنه البالغ من العمر ثمانية عشر عامًا فقط، فخاف المحامون الباقون على حياتهم واستقرارهم، واستقال بقية المحامين واحدًا تلو الآخر.

فبدأ إسكوبار بالرد عن طريق القنابل، لكنه كان يفقد قدرته على الانتقام مع تصاعد العنف الذي يخرج عن سيطرته حتى آلت إمبراطوريته على التآكل شيئًا فشيئًا.

أجرى قائد «لوس بيبيس» فيدل كاستانو اتصالًا هاتفيًا مع الإخوة أوتشوا المسجونين (خورخي وفابيو، وخوان ديفيد)، وطلب منهما صراحة التخلي عن إسكوبار، والانضمام إلى جانبه هو، وأوضح لهما أن إسكوبار سيقضي عليهم تمامًا كما فعل مع مونكاداس وغاليانوس من قبلهما. وأوضح للإخوة أنهم قدموا لإسكوبار مؤخرًا مبلغ نصف مليون دولار، ومع ذلك، فقد كانوا يفكرون في التخلي عنه من أنفسهم؛ لما ظهرت من علامات النهاية لتلك الإمبراطورية التي بناها إسكوبار على مدار أعوام.

وبسبب ضجة المجتمع حول ما تفعله جماعة «لوس بيبيس» تظاهرت الحكومة الكولومبية أنها تضيِّق الخناق على «لوس بيبيس» لمجرد أن تمحو الشكوك في أنها تمولهم أو تسهِّل لهم الطرق للقضاء على الكارتل ميديلين وزعيمها، وكردٍّ على ذلك أعلنت «لوس بيبيس» أنهم حلوا المنظمة على الورق وأمام الجميع، لكن عمليات القتل لم تتوقف أبدًا، واستمروا في عملياتهم لردع وانتهاء إسكوبار إلى الأبد.

كان إسكوبار في نفس ذلك الوقت يهدد الكولونيل مارتينيز بأنه سيقتل كل أفراد عائلته حتى الجيل الثالث من نسله؛ ليقوم بالتوقف عن تتبعه، ورغم ذلك رفض مارتينيز التراجع.

كان أحد أبناء مارتينيز يدعى «هوغو»، وكان عضوًا في الوحدة

الخاصة للشرطة الكولومبية، وقد كان يعمل على تقنية جديدة لتحديد موقع إسكوبار.

لم يكن مارتينيز يريد من ابنه هوغو أن يعمل في قضية ميديلين؛ لأن أفراد شرطتها كانوا يُقتلون باستمرار؛ بسبب مبلغ ٢,٠٠٠ دولار التي يقدمها إسكوبار نظير كل رأس لشرطي، إلا أن هوغو أصر على المساعدة في التخلص من التهديد الذي تتعرض له أسرته من خلال تتبع إسكوبار عن طريق جهاز تقدمه وكالة المخابرات المركزية.

في وقت الهجوم على إسكوبار عن طريق ذلك الجهاز، خرج فريق هوغو متخفيًا في عربات نقل، ثم توقفت العربات فوق تلال، ومعهم هوائيات قد رُفِعت للأعلى، وصنعوا بالعربات شكل المثلث على مساحة الموقع. وبمجرد أن تلقى هوغو إشارة من قواته، انطلق بسيارته السرية مسرعًا ومعه جهاز المراقبة الذي أصدر ضجيجًا عندما التقط إشارة قوية. وانتهت مطاردة الإشارات دون العثور على نتيجة؛ لأن التكنولوجيا كانت جديدة، وكان الفريق يواجه صعوبة في التعود عليها، فلم تؤتِ بثمار.

كان إسكوبار يشعر بالتهديد، فكانت اتصالات إسكوبار بأسرته أكثر من المعتاد؛ بسبب «لوس بيبيس» وتهديداتها المستمرة للكارتل ولبابلو. حينها كانوا يقيمون في مبنى حكومي بعد منعهم من مغادرة البلاد.

وكان الكولونيل مارتينيز وابنه يعتمدان على اتصال إسكوبار بأسرته؛ لكي يتمكنا من تتبع المكالمات، وكان أغلب اتصاله مع ابنه «خوان بابلو»؛ للاطمئنان عليه.

ضبطت «سنترا سبايك» و«كتلة البحث» القائمان على الاتصالات مكالمات إسكوبار لابنه، في البداية كانت الكلمات المستخدمة مشفرة

والترددات الراديوية كانت متغيرة، مما سبب لهم المشاكل، وكان هوغو يقود فريقه في كثير من المطاردات، والتي باءت كلها بالفشل، والتي جلبت لهم الإحباط. وبمساعدة وكالة المخابرات المركزية، علم هوغو أن إسكوبار يتحدث مع ابنه مدة ساعة كل مساء، وكانت تبدأ حوالي الساعة ٧:١٥ مساء. فك هوغو أخيرًا ومن خلال الاستماع إلى المحاورة الكلمات المستخدمة للإشارة. ولكنه في النهاية أدرك أن تحديد موقع إسكوبار كان خاطئًا ومضللًا، وخسر هوغو منصبه كقائد لفريق المراقبة.

لم يقدِّر الجميع جهود مارتينيز، وهاجمته الصحافة بشدة؛ بسبب التأخُّر في العثور على إسكوبار والقبض عليه. وأراد النائب العام إبعاد الكولونيل مارتينيز ومحاكمته مع «لوس بيبيس»؛ بسبب الفوضى وعمليات القتل التي اتهمهم بها إسكوبار شخصيًّا.

وفيما بعد علمت إدارة مكافحة المخدرات أن مارتينيز كان مرتشيًا مثله مثل غيره، وكان يتقاضى مرتبًا من كارتل كالي. وتبين لإدارة المكافحة من أحد الواشين أن زعيم كارتل كالي غيلبرتو رودريغيز أوريجويلا يقول إن قطّاع طرق يعملون داخل كتلة البحث أصلًا. وأفاد الواشي بأن رودريغيز أوريجويلا أعد ترتيبات مع الجنرال فارغاس والعقيد مارتينيز من الشرطة الوطنية الكولومبية فيما يتعلق بمكافأة القبض على إسكوبار حيًّا أو ميتًا، والتي تبلغ ١٠ ملايين دولار، وكانت حصة كتلة البحث ٨ ملايين دولار ومليوني دولار للواشين الذين يقدمون معلومات تؤدي إلى عملية ناجحة في القبض على زعيم الكارتل ميديلين.

لم يسْلَم الكولونيل نفسه من الفساد، كانت تلك بمثابة الصفعة الأخيرة والقوية على خدِّ الولايات المتحدة، وأيقن الأمريكيون أنه إذا تسربت هذه المعلومات إلى العامة فإنها ستُحرج إدارة مكافحة

المخدرات ككل، لكنها تستحق المخاطرة. وضغطوا على النائب العام لإزاحة مارتينيز عن الصورة، وتسريب الخبر لربما كان في صالحهم في النهاية.

وفي أكتوبر لعام ١٩٩٣، هددت الحكومة بسحب الحراس الذين يحمون أسرة إسكوبار، وتركهم تحت رحمة «لوس بيبيس». طلبت زوجة إسكوبار من النائب العام إعطاءه المزيد من الوقت للاستسلام؛ لأنها كانت تشجعه على ذلك، وتريد منه أن يسلِّم نفسه في النهاية.

في نوفمبر، تفاوض خوان بابلو مع النائب العام لاستسلام إسكوبار. وتم نقل روبرتو إسكوبار من الحجز إلى جزء من سجن إيتاجوي الذي يضم الأخوة أوتشوا وغيرهم من مهربي ميديلين.

عند الاستسلام، أراد إسكوبار أن يكون مقره مع روبرتو، وأن يُسمح لأسرته بأن تزوره ٢١ مرة كل عام، وكان شرطه النهائي هو نقل زوجته وأطفاله خارج البلاد.

ووعد النائب العام بمساعدتهم على الانتقال إلى بلد آمن، شريطة أن يستسلم إسكوبار، ووافق إسكوبار بأنه سيستسلم بمجرد انتقال عائلته إلى الخارج، وبدأ النائب العام بترتيبات نقل عائلة إسكوبار خارج البلاد.

يئس الأمريكان في منع إسكوبار من الاستسلام، وحاول إسكوبار صرف انتباههم من خلال شائعات بأنه في هايتي، بينما يقوم بترتيب عائلته للسفر إلى لندن أو فرانكفورت. وكانت السلطات قد طلبت من السفراء في كل من إسبانيا وبريطانيا وألمانيا رفض دخول عائلة إسكوبار إلى بلادهم؛ فهي تريد الثأر في النهاية لكرامتهم كحكومة مركزية لأكبر دولة في العالم، الموضوع قد تخطى القبض على مجرم؛ لكونها صفعة عليهم أن يلملموا أشلاءها.

في الأول من ديسمبر ١٩٩٣ قضى إسكوبار عيد ميلاده الرابع والأربعين في منزل يملكه مكون من طابقين فقط، وكان لديه حارس شخصي واحد يدعى «ألفارو دي خيسوس أغوديلو» ويلقب (إل ليمون)، وكان ابن عمه «لوزميلا» طباخه الخاص.

عندما كان يريد إسكوبار إجراء مكالمات هاتفية في مخبأه الجديد، كان يركب سيارة أجرة صفراء للتمويه كان يقودها «إل ليمون»، وهذا ما فعل حرفيًّا، حيث إنه كان عيد مولده وهو من المهتمين بتلك المناسبات، حتى وإن كان تحت الحصار والتهديد، وكانت تهنئة عيد ميلاده على الهاتف فقط، وكانت فترة اتصالاته مع عائلته أطول من المعتاد، فيبدو أن عائلته قررت تهنئته بعيد ميلاده هاتفيًّا.

لكي يجري إسكوبار تلك المكالمة الطويلة، قرر الاختباء في الغابة؛ لإبعاد مطارديه عن طريقه، وكان يودُّ توديع أمه أولًا، لكنه خشي الذهاب إلى شقتها في الصباح الباكر، وأخبرها بأنها المرة الأخيرة التي يراها في ميديلين.

وكانت خطته في الهرب والبدء بحياة جديدة ضربًا من الخيال إلى حد ما، فقد كان يخطط لتشكيل مجموعة جديدة، وإنشاء دولة مستقلة على جزيرة نائية يكون هو رئيسها كما حلم صغيرًا.

وفي الثاني من ديسمبر لعام ١٩٩٣ أي في اليوم التالي، أرسل إسكوبار ابن عمه لشراء الإمدادات التي يحتاجها في الغابة، وأجرى بعض المكالمات الهاتفية داخل سيارة الأجرة، خرج من سيارة الأجرة، وعاد إلى الشقة وهو لا يزال متصلًا بالهاتف، واستغرق اتصاله مدة أطول من خمس دقائق، وكانت هذه هي مهلكته، الغلطة الفادحة الوحيدة التي ارتكبها في حياته والتي هي الأكبر.

هرع هوغو إلى فريقه، وكانت كتلة البحث تحاول تحديد موقع المنزل بدقة. تتبعت كتلة البحث و«سنترا سبايك» المحادثة، وقادتهم إلى لوس أوليفوس، وانتظروه أن يجري مكالمة أخرى. الساعة ٣ مساء، اتصل إسكوبار بابنه، ثم بدأ أعضاء كتلة البحث التفتيش من شارع إلى شارع. قاده جهاز مسح هوغو إلى مبنى مكاتب، وأصبح واثقًا بأن إسكوبار في الداخل، واقتحمت القوات المكان على إسكوبار، ولكنه كان لا يزال يتحدث، كما لو أن شيئًا لم يحدث، وكأنه لا يكترث.

نظرًا للوقت الطويل نسبيًّا الذي استغرقه إسكوبار في المحادثة بالهاتف، كانت معدات المسح الخاصة بهوغو تُضيق مساحة البحث شيئًا فشيئًا، ووصلت فرقة كتلة البحث بقيادة هوغو إلى منزل إسكوبار الذي كان يختبئ به.

توقف هوغو عن استخدام معدات المسح، وبدأ في مراقبة المنازل، ولاحظ رجلًا ملتحيًا خلف نافذة في الطابق الثاني والهاتف في يده، وهو يشاهد حركة المرور. بعد ثوانٍ اختفى الرجل في المنزل. شك هوغو في أن إسكوبار قد لاحظ سيارته البيضاء، وقال للسائق أن يستمر، واتصل هوغو بوالده يخبره بأنه وجد إسكوبار.

أراد هوغو أن يغادر؛ لأنه توقَّع أن عصابة إسكوبار في طريقهم إليه، لكن العقيد مارتينيز رفض أن يغادر، وطلب من ابنه أن يراقب المنزل من الأمام والخلف، في ذلك الوقت سعت جميع وحدات كتلة البحث مسرعة إلى المنزل، وتوقف هوغو خلف المنزل.

اقتحم ستة من أعضاء كتلة البحث، وأطلقوا النار على المرآب، سمعوا من المراقبين أن «إل ليمون» هرب من خلال نافذة متسلقًا سطح قرميد برتقالي، أطلق أعضاء كتلة البحث عليه النار وأردوه قتيلًا.

قفز إسكوبار إلى السقف، وبقي خلف جدار يحميه. كان يريد الهرب عن طريق الشارع الخلفي، وسارع على طول الجدار، وكان إطلاق النار كثيفًا من جميع جهات المنزل، والذي حطم الطوب والسقف، وهو يجاهد كي ينفذ بجلده من تلك الرميات الطائشة التي تستهدف روحه.

ثم أطلقت بعض طلقات الرصاص من جهات أخرى غير فريق البحث، اعتقد بعض أعضاء كتلة البحث أنهم يتعرضون لهجوم من حراس إسكوبار، وطلبوا المساعدة، لكنهم فوجئوا بما أدهشهم لأعوام بعدها، فوجئوا بسقوط إسكوبار ميتًا، وبعد لحظات مرَّت كالأعوام من الاندهاش والصمت، بدأت صيحات الفرح بالنصر، ثم تلاها التمثيل بالجثة، والتصوير معها للفخر، وانتهى إمبراطور الكوكايين ومؤسس الكارتل ميديلين، ولكن يبقى السؤال: من هو قاتل إسكوبار؟

يقال إنه حينما صعد إسكوبار إلى السطح، واكتشف أنه محاط من كل الجهات، وكان قد عاهد نفسه بعدم تسليم نفسه أو أن يسمح لهم بقتله، عندها أطلق النار على نفسه في رأسه؛ ليحرم الحكومة من ادِّعائهم بأنهم قتلوه.

ولكن هنالك معضلة بعد فحص الجثة، فقد تلقى إسكوبار ثلاث طلقات: في ظهره وساقه وفوق أذنه اليمنى، ويعتقد روبرتو أن التي

فوق الأذن هي الطلقة الانتحارية، أما الباقيتان فهما جراء الهجوم عليه، وتوفي بابلو إسكوبار في ٢ ديسمبر ١٩٩٣ بعد ١٦ شهرًا من هروبه من «لا كاتدرال».

بالرغم من تأكيد وفاة إسكوبار الأسطورة في النهاية، إلا أن هنالك عدة فرضيات على وفاة إسكوبار المفاجئة وهي كالتالي:

انتحر بإطلاق النار تحت الأذن، كما هو واضح من الجثة. وهذا يتزامن مع شعار «المعرضين للتسليم» الذي يقول: «نحن نفضِّل مقبرة في كولومبيا على السجن في الولايات المتحدة»، وهو الشعار الذي تدافع عنه عائلته.

أطلق عليه النار قناص من جماعة «لوس بيبيس».

أطلق عليه النار ضابط من مديرية التحقيقات الجنائية والإنتربول، وكان ملتحقًا بكتلة البحث.

أطلق عليه قناص من قوة «دلتا».

أطلق عليه رصاصة الرحمة العقيد هوغو أغيلار، الذي قاد مجموعة الاقتحام التي جاءت إلى المنزل.

أطلق عليه النار كارلوس كاستانو جيل، القائد الأعلى لمجموعات الدفاع الذاتي المتحدة الكولومبية (AUC)، وفقًا لاعتراف من «أنطونيو هرناندیز»، المعروف باسم «جون» من القوات شبه العسكرية.

أطلقت عليه النار فرقة كتلة البحث. ويصور هذا المشهد في لوحة شهيرة رسمها الفنان فرناندو بوتيرو.

وتقول إحدى الشائعات كما يرويها «أندريس فيلاميل»: «أنه لم يمت، وأنه استأجر شخصًا شبيهًا له. وهو الآن يختبئ ويتمتع بأمواله».

في النهاية انتهت سيرة أكبر رؤوس المافيا في التاريخ، مخلفًا ملايين الدولارات لم يعثر عليها أحد. وأصولًا ومباني وقصورًا تآكلت بفعل الزمن، وسيرة فيها الكثير من الأعمال الخيرية بجانب القتل والتجارة

في المخدرات، ولكن في النهاية الذي سبَّب الرعب للعالم وللولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية لعقود، لتُطوى صفحة جديدة من صفحات الجريمة المنظمة وعائلة من عائلات المافيا.

أما وقد انتهى الجزء الخاص بي من البحث، أتوجَّه بالشكر إلى كل من أسهم في المساعدة التي قدمها لي بلا مقابل في سبيل أن أقف اليوم على تلك المنصة؛ لألقي حروف وكلمات البحث أمام كل هؤلاء القامات والساسة، والذي تشرفت بالوقوف أمامهم..

جزيل الشكر.

صوت تصفيق حاد، فحييتُ الجمهور ثم تنحيتُ جانبًا، ثم أعلن المقدم عن الجزء الثاني من المبحث والذي يقدمه «ماركو»، تقدَّم «ماركو»، فتبادلنا نظرات التحدي التي تغني عن أي حديث كان، وقد شعرت بأن «ماركو» يشعر بالتوتر، لربما كان هذا من قوة خطابي أو بحثي الذي أهانه هو من قبل، لا أدري حقًّا، على العموم قد حان دور «ماركو»؛ لمناقشة الجزء الخاص به من البحث، وكنت أنا أقف على مقربة منه متشوقًا لما سيقوله «ماركو»، وهل هو في النهاية من سينتصر أم إن بحثي عن المافيا الكولومبية هو من سيفوز؟

حيا «ماركو» الجمهور وشكره، ثم شرع في الحديث بعدما رتب أوراقه وابتلع ريقه لوهلة، ثم التفت إلى الحضور واقترب من الميكروفون.

المبحث الثاني
الياكوزا اليابانية

بصوت: ماركو ميكائيل

وماذا عن قارة آسيا؟ تلك القارة شديدة الغموض التي تقبع في آخر الكوكب كما يقال، حيث كل البشر متشابهون، والقلوب لا تعرف إلا القسوة والديكتاتورية الشاملة، هؤلاء البشر الذين قاسوا الأمرَّيْن، حياة معيشية ضنكة، وحكم ديكتاتوري أدى إلى الكثير من المذابح على مر التاريخ، هنالك ذلك الأرخبيل الذي يكوِّن اليابان، تلك الدولة التي لا تزال تحت حكم نفس السلالة التي حكمتها قبل التاريخ، الإمبراطورية الأخيرة في العالم، والتي استفحلت، فذاقت مرار الانفجار النووي

لمرتين متتاليتين خلال الحرب العالمية الثانية، تلك الدولة التي عادت الولايات المتحدة في أوج قوتها، وحاربت مع دول المحور بآخر قطرة من دماء أبنائها.

اليابان غالبا كما قلنا سلفًا هي الدولة الوحيدة في العالم التي لا تزال إمبراطورية ويحكمها إمبراطور، نظام حكم يرجع لعهود الرومان والبطالمة قد تم إلغاؤه في كل المجتمعات، إلا اليابان وحدها هي التي لا تزال على نفس النهج منذ نشأتها، بالطبع فإن الإمبراطور الآن هو شكل أو رمز دون سلطة سياسية حقيقية، هي دولة دستورية كسائر الممالك بعد الحرب العالمية الثانية، وهو ما حدث مع اليابان العام ١٩٤٧م.

ليس هذا وحسب، فلكم أن تعرفون أنه إمبراطور اليابان الحالي، إكيهيتو الذي نُصِّب إمبراطورًا منذ العام ١٩٨٩م، يكون هو حفيد مؤسس اليابان نفسه، بمعنى آخر فإن الإمبراطورية اليابانية منذ أن تم إنشاؤها حتى وقت خطبتي تلك، سلالة واحدة فقط هي التي تحكم اليابان أو تشغل ذلك المنصب، تقريبًا منذ أن كان الإمبراطور في اليابان هو إله الشمس، بمعنى أن الإمبراطور جينمو الذي أسس اليابان عام ٦٦٠ قبل الميلاد «يقال إنه أسطوري أو قصة أسطورية؛ بسبب أن التاريخ بدأ تدوينه بعدها»، يكون هو الجد الأكبر لأكيهيتو المباشر، وأكيهيتو هو الإمبراطور رقم مائة وخمسة وعشرين من حاكمي اليابان في التاريخ المكتوب والمدون.

أي أنها نفس ذات السلالة منذ ٢٦٧٩ عامًا، أي قبل ظهور السيد المسيح في الناصرة في أورشليم بسبعمائة عام تقريبًا.

جينمو عندما أرسى رواسخ اليابان ثم حكمها، كان وقتها هو زمن حكم بسماتيك الأول في مصر، وقت حروب مصر الفرعونية ضد الآشوريين، أما عن دولة اليابان فكانت تتسلى في أوقات الفراغ باحتلال الصين، جارتها غير المتوافقة معها على الرغم من تشابه الصفات

الوراثية، إلا أنهم تحاربتا كثيرًا أكثر مما قد تتصور.

أكثر الدول التي تتعرض للكوارث الطبيعية هي اليابان، التسونامي والزلازل والبراكين، يمكن أن نعزو الطبيعة الوحشية أو الدموية التي كانت تسود اليابانيين في ذلك الوقت إلى كل تلك الظروف الطبيعية التي واجهت اليابان على مر التاريخ.

في العام ١٦١٦م. وصل المبشرون المسيحيون البرتغاليون والإسبان إلى السواحل اليابانية؛ ليبشروا بالدين المسيحي بين اليابانيين، ثم مع الوقت بدأ الكثير في الدخول إلى ذلك الدين الجديد؛ لما بيد الكهنة والرهبان من وسائل للإقناع، وبدأ نفوذهم يكبر رويدًا رويدًا، فأحس شوغونات اليابان بالخطر بعدما تدين بعض اليابانيين بالمسيحية وتركوا دين الأجداد الذي هو عبارة عن بعض الفلسفة والوثنية، الشنتو والكونفشيوسية، وكان ذلك في فترة أسرة توكو جاوا. فحتى يتنسى للسلطات وقتها السيطرة التامة على اليابان من ذلك الدين الجديد الذي يهدد الاستقرار هناك، قاموا بتفعيل بعض الإجراءات الوقائية في كل أنحاء البلاد.

فقطعت اليابان علاقتها بالعالم بأسره، أغلقت على نفسها بالمفتاح من الخارج كما يشاع، طردت جميع الرعايا الأجانب، وأعدمت المبشرين المسيحيين وعددهم فاق الـ ١٢٠ مبشرًا أجنبيًا، ثم أجبرت اليابانيين المسيحيين الجدد على ترك المسيحية والعودة إلى الدين الياباني بالإجبار، وانغلقت اليابان على نفسها منعزلة انعزالًا تامًّا عن أي بلد أجنبي قرابة الـ ٢٥١ سنة معزولة عن العالم، لا يدري عن وجودها إلا من لديه خرائط قديمة فقط، ومن يفكر في الزيارة فليودِّع حياته إلى الأبد.

وكان هنالك مقولة مشهورة عن الحاكم الياباني توكو جاوا تقول إنه ليس لديه أي اعتراض على المسيحية كدين، لكنه في النهاية دين

أجنبي وليس يابانيًّا، فقد كانوا عرقيين إلى أقصى حد، يوقرون جنسهم وسلالتهم دونًا عن باقي الأجناس، واليابان إلى وقتنا هذا تدين وتؤمن بالكنفشيوسية التي هي دين الحكماء القديم ما قبل الميلاد.

يكفي أن الإسلام الذي انتشر في كل ربوع الكوكب كما يدَّعي أصحابه، ولم يصل إلى اليابان إلا في أواخر عشرينيات قرننا هذا، قبل وخلال الحرب العالمية الأولى والثانية عن طريق الجنود الأتراك والهنود المسلمين، وقبل هذا لم يجرؤ فاتح أو غازٍ عربي على دخول هذه المستعمرة.

الحاكم في اليابان منذ ظهور المؤسس جينمو حتى آخر إمبراطور اليوم من المفترض أنهم منحدرون من إله الشمس، وإمبراطور اليابان حاكم ديني، نصف إله، عنده سلطة سماوية، وحاكم إلهي بمعنى أدق، وهذا بالطبع قد انتهى بعد دخول زمننا إلى العولمة، وتحول الكوكب إلى قرية صغيرة، خاصة بعد أن ضربت الولايات المتحدة هيروشيما وناجازاكي بالقنبلة الذرية، والتي كانت بمثابة صفعة الاستيقاظ لكل معتقد قد آمنوا به من قبل، وتحول الدستور إلى دستور يضمن لرئيس الوزراء الحكم الفعلي للبلاد.

وفيه تم تحديد صلاحيات الإمبراطور، وتحول لرمز الدولة ليس أكثر، يفتتح البرلمان، ويصدِّق على رئاسة الحكومة المنتخبة، ويقابل الوفود، تمامًا مثل ملكة إنجلترا، وهذا هو ما نجحت فيه دول الحلفاء بعد الحرب، في أنها تنهي الملكية المطلقة العسكرية، وتبدلها بالديمقراطية الليبرالية.

اليابان دولة مثيرة للجدل كثيرًا، لا تزال إمبراطورية، سلالة ملكية لا تتغير منذ آلاف السنين، نفس العائلة بلا ثورات وبلا شعارات، لها الكثير من المذابح الوحشية وأسطورة تقول إن شعب اليابان لا يُهزم أبدًا، في الحقيقة هي لم تهزم أمام أي جيش مطلقًا مهما كان عدده

وقدرته إلا أمام الولايات المتحدة عن طريق القنبلة الذرية ليس أكثر، بل إنها كانت قد رفضت الاستسلام إلى دول الحلفاء بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد وفاة هتلر، مما أجبر الولايات المتحدة على إلقاء القنبلتين الحارقتين في شهر أغسطس عام ١٩٤٧م لتقتل الملايين، إما بالاحتراق الفوري، وإما على المدى البعيد بالإشعاع الذري، وفي تلك البيئة كان لا بد أن تنشأ عائلة تقوم بالتوارث من تلك العادات التي دخلت في الوجدان الياباني، فشربوها، وتحللت لتدخل في جيناتهم الوراثية، فتخرج من عباءة اليابان واحدة من أقوى عائلات المافيا في التاريخ، والتي لا تزال تمارس نشاطها إلى اليوم، في جميع أنحاء العالم، وهي «الياكوزا» اليابانية.

مما لا شك فيه أن المافيا اليابانية هي أقوى أنواع المافيا في العالم تقريبًا، وأكثرها تنظيمًا وعددًا للأعضاء، الترابط العائلي للياكوزا ممتد منذ القرون الوسطى، وحتى يومنا هذا ولحظتنا هذه..

Yakuza

الياكوزا والتي تعني باليابانية «الطريق المدقع» هي واحدة من أخطر العصابات في التاريخ، وأكثرها غموضًا. وهم الذين ابتدعوا منطق الجريمة المنظمة قبل حتى بزوغها في صقلية وقت الحملة الفرنسية هناك.

يطلقون عليهم هناك اسم الجماعات العنيفة Bōryokudan بينما يطلقون هم على أنفسهم اسم «المنظمات المتنافسة»، تتميز الياكوزا بقواعد السلوك الصارمة، والتي تميزها عن غيرها، حيث إن الطاعة والولاء لا يمحوها إلا الدماء.

الياكوزا لها معنى آخر في الإنجليزية وهو رجل عصابات، وقد دخل المصطلح في القاموس الإنجليزي بهذا الاسم، مما يعني أن الفرد

من أعضاء تلك الجماعة يكون متورطًا في منظمة إجرامية تشبه المافيا إلى حد كبير.

تتميز الياكوزا بطبيعتها الإقطاعية المنظمة، والعديد من الممارسات الطقسية غير التقليدية؛ على سبيل المثل «يوبيتسومي»، غالبًا ما يتم وصف أعضاء ياكوزا بأنهم ذكور ضخام البنية لا يعرفون الرحمة، لديهم أجسام مليئة بالأوشام، وشعر كثيف وناعم، ومع ذلك، لا تزال هذه المجموعة تعتبر من بين أكثر المنظمات الإجرامية تطورًا والأكثر ثراءً بين الجميع.

في أوجها، حافظت الياكوزا على وجود كبير وظهور واسع في وسائل الإعلام اليابانية المختلفة، وتعمل على الصعيد الدولي بشكل مختلف. في الواقع، في أوائل الستينيات، قدرت الشرطة أن عدد أعضاء ياكوزا بلغ مائة وأربعة وثمانين ألفًا ومائة عضو بالكامل، وكانت ولا تزال أخطر المافيا العالمية، والتي لا تزال أنشطتها قيد العمل والتنفيذ.

ومع ذلك، في السنوات الأخيرة للمافيا اليابانية تضاءلت أعدادهم بشكل كبير، مع الرقم الأخير الذي تم تقديره في الستينيات، والسالف ذكرها من خلال وكالة الشرطة الوطنية التي تقدر أنه اعتبارًا من العام ٢٠١٦ كان عدد الأعضاء في جميع العصابات الـ٢٢ المعروفة يقدر بتسعة وثلاثين ألف عضو فقط.

يعزى هذا التراجع في كثير من الأحيان إلى تغير فرص السوق والعديد من التطورات القانونية والاجتماعية في اليابان، والتي تثبط نمو عضوية ياكوزا. ومع ذلك، على الرغم من أعدادها المتضائلة، لا تزال الياكوزا تشارك بانتظام في مجموعة من الأنشطة الإجرامية، ويظل العديد من المواطنين اليابانيين خائفين من التهديد الذي يشكله هؤلاء الأفراد على سلامتهم. وعلى الرغم من ذلك، لا يوجد حظر صارم على عضوية الياكوزا في اليابان اليوم، على الرغم من أن الكثير من التشريعات قد

أقرتها الحكومة اليابانية؛ بهدف زيادة المسئولية عن الأنشطة الإجرامية وإعاقة الإيرادات.

الأصل الحقيقي لاسم الياكوزا يرجع إلى لعبة الورق اليابانية التقليدية أوشيو كابو، وهي لعبة يكون فيها الهدف هو سحب ثلاث بطاقات تصل إلى ٩ نقاط. إذا تجاوز مجموع البطاقات ١٠، فيتم استخدام الرقم الثاني باعتباره النتيجة بدلًا من ذلك، وإذا كان المجموع هو ١٠ حقيقية تامة، فإن النتيجة هي ١. إذا كانت البطاقات الثلاث التي تم تعادلها هي ٨-٩-٣ أو يا-كو-سا باليابانية، يكون المجموع هو ٢٠، وبالتالي تكون النتيجة صفرًا، مما يجعلها أسوأ يد ممكنة يمكن استخلاصها.

على الرغم من عدم اليقين بشأن الأصل الوحيد لمنظمات الياكوزا، فإن معظم الياكوزا الحديثة مستمدة من تصنيفين ظهرا في منتصف فترة ١٦٠٨ لـ١٨٦٨م في العصور الوسطى في اليابان، في تلك الحقبة التي يطلق عليها اليابانيون الإيدو.

أولئك الذين كانوا يتاجرون بشكل أساسي في البضائع غير المشروعة أو المسروقة أو الرديئة بين السكان هناك، والبوكاتو الذين استخدموا القمار ولعبوه في تلك الفترة في بدايات المنظمة، كما بدأت كل حركات المافيا بالقمار ولعب الورق.

تعتبر تيكيا (الباعة المتجولون) واحدة من أقل المجموعات الاجتماعية خلال فترة إيدو. عندما بدأوا في تشكيل منظمات خاصة بهم، تولوا بعض الواجبات الإدارية المتعلقة بالتجارة، مثل تخصيص المماطلة وحماية أنشطتهم التجارية، خلال مهرجانات شنتو، فتح هؤلاء الباعة المتجولون الأكشاك، وتم التعاقد مع بعض الأعضاء للعمل كضمان. دفع كل بائع متجول الإيجار في مقابل مهمة المماطلة والحماية خلال المعرض.

كانت تيكيا مجموعة منظمة ومنتظمة للغاية، وذات تسلسل هرمي مع الأويابون «رئيس» في الجزء العلوي للهرم oyabun يليها الكوبون وهم أعضاء العصابات في قاع الهرم Kobun.. يشبه هذا التسلسل الهرمي هيكلًا مشابهًا للعائلة، حيث كان يُعتبر الأويابون غالبًا أبًا روحيًا بديلًا للمنظمة، أما الكوبون أطفالًا بديلين في عائلة المافيا اليابانية.

خلال فترة إيدو، تم الاعتراف رسميًّا بالتكية من قبل الحكومة. في هذا الوقت، تم تعيين الأوابون كمشرفين ومنحهم مكانة بالقرب من الساموراي، مما يعني أنهم سُمِح لهم بكرامة اللقب، وسيفين كما كان الساموراي يعامَلون وقتها.

كان لدى البوكاتو أو المقامرين مكانة اجتماعية أقل بكثير من المتداولين؛ لأن المقامرة كانت غير قانونية وكانحطاط مجتمعي، العديد من بيوت القمار الصغيرة كانت تبرز وتدار في معابد أو أضرحة مهجورة على حافة البلدات والقرى في جميع أنحاء اليابان.

كانت تدير معظم بيوت المقامرة هذه الشركات لتحصيل القروض والمديونيات للعملاء بفوائد، وعادة ما يحتفظون بأفراد الأمن التابعين لهم. كانت الأماكن نفسها، وكذلك باكوتو، ينظر إليها بازدراء من قبل المجتمع ككل، والكثير من الصورة غير المرغوب فيها للياكوزا تنبع من باكوتو؛ وهذا يشمل اسم ياكوزا نفسه.

نظرًا للوضع الاقتصادي خلال منتصف الفترة الوسطى وهيمنة فئة التجار فوق جميع الطبقات الأخرى، كانت مجموعات الياكوزا النامية تتألف من مجموعة من المحنكين والمنحرفين الذين انضموا أو شكّلوا مجموعات الياكوزا تلك؛ لابتزاز العملاء في الأسواق المحلية عن طريق بيع السلع المقلدة أو غير المطابقة للمواصفات.

على مر التاريخ، وخاصة منذ العصر الحديث، كانت جزيرة كيوشو أكبر مصدر لأعضاء ياكوزا، بما في ذلك العديد من الزعماء المشهورين

في ياماغوتشي غومي. كان إيزوكيشي يوشيدا بين ١٨٦٧ و١٩٣٦م من منطقة كيتاكيوش وهو أول ياكوزا في النوع الحديث Kitakyushu.

خلال عملية تشكيل الياكوزا في بداية الأعوام الأولى لوجودها، تبنوا الهيكل الهرمي الياباني التقليدي المسمى الأويابون- الكوبون، في فترة لاحقة تم تطوير مبدأ جديد تمت إضافته لتلك العائلة، وهو الجينجي أو العدالة، العدالة والواجب حيث يمثل الولاء والاحترام طريقة للحياة.

ذلك المبدأ يتم تشكيله على شكل علاقة خاصة بالياكوزا، ويعد من أهم مبادئه، إذ المشاركة الاحتفالية من فنجان واحد، وهو طقس ليس خاصًّا بالياكوزا فقط، بل إنها شائعة أيضًا في حفلات زفاف الشنتو اليابانية التقليدية، وقد تكون جزءًا من علاقات الإخوة اليمين الدستورية، أي أنه أمر شائع في اليابان ككل.

خلال فترة الحرب العالمية الثانية في اليابان، انخفض شكل منظمة الياكوزا ونشاطاتها، حيث تم تعبئة جميع السكان تقريبًا للمشاركة في المجهود الحربي والدفاع عن شرف اليابان والإمبراطورية، وخضع المجتمع لحكومة عسكرية صارمة. ومع ذلك، بعد الحرب، تكيفت ياكوزا مرة أخرى، وأعادت أنشطتها وجرائمها المختلفة.

الياكوزا المرشحون بقوة للانضمام إلى المنظمة اليابانية أو المافيا اليابانية المحتملون يأتون من جميع مناحي الحياة، حيث إن معظم القصص الرومانسية التي تروى عن الياكوزا تخبرنا بلهجة توحي بالطيبة كيف أنها تقبل الأبناء والأطفال الذين تم التخلي عنهم أو طردهم من قبل آبائهم. يبدأ العديد من الأطفال الذين انضموا إلى الياكوزا حديثًا من المدرسة الثانوية أو مثل البلطجية في الشوارع أو أعضاء عصابات اليابان المشهورة باسوزوكو Bōsōzoku.

ربما بسبب وضعها الاجتماعي والاقتصادي المنخفض، فإن العديد

من أعضاء الياكوزا ليسوا يابانيي الأصل، بل مختلفي الأعراق، وينتمون إلى تلك البلاد المجاورة، حيث لا مأوى فعليًّا لهؤلاء المجرمين الجدد، تحديدًا من بورما وشبه الجزيرة الكورية وما حولها.

وكأي مافيا في التاريخ، تتكون الياكوزا كالعائلة من رب للأسرة أو أب روحي أو كما يُعرف في اليابان بالكوميتشو، الذي بدوره يكون الحاكم الفعلي للعائلة، ويعطي الأوامر إلى كل من يعمل تحت إشارته الشخصية، والذين هم الكوبون، يشيرون إلى بعضهم البعض كأفراد في الأسرة آباء وإخوة أكبر سنًّا وأصغرهم سنًّا.

الياكوزا هم مجتمع ذكوري بحت، يتكونون بالكامل تقريبًا من قبل الرجال مع عدد قليل جدًّا من النساء المعترف بهن، وهن زوجات الزعماء، الذين يشار إليهم باللقب آني سان أو الأخت الكبرى، لا يحكمون في العائلة أبدًا إلا في بعض الحالات الشاذة، فعندما توفي مدرب ياماغوتشي غومي الثالث (كازو توكا) في أوائل الثمانينيات، تولت زوجته «فوميكو» رئاسة ياماغوتشي غومي، وإن كان لفترة قصيرة لا تُحسب.

ياكوزا لديها هيكل تنظيمي معقد. يوجد رئيس عام لنقابة المافيا أو الأب الروحي، وهو كوميتشو، وأسفله مباشرة سايكو كومون (كبير المستشارين)، وما إلى ذلك هم هونبوتشو honbucho أو رؤساء المقرات، والثاني في سلسلة القيادة هو واكاجاشيرا، الذي يحكم عدة عصابات في منطقة ما بمساعدة فوكو-هونبوتشو المسئول الأكبر عن عدد تلك العصابات متجمعين. تحكم العصابات الإقليمية نفسها بواسطة رئيسها المحلي المسمى بالشاتيجاشيرا.

أما عن التواصل مع بعضهم، فيتم ترتيب اتصال كل عضو من خلال التسلسل الهرمي لساكازوكي (تقاسم ساكي). كوميشو في القمة، ويتحكم في سايكو كومون أو كبار المستشارين، والسايكو كومون

بدورهم يتحكمون في شبكة الأعضاء من تحتهم الموزعين في المناطق والمدن المختلفة، كل مستشار لديه أتباعه، بما في ذلك الهيكل السفلي والمستشارون والمحاسبون والمنفذون الآخرون.

الكوبون هم جزء من العائلة المباشرة، ويتم تصنيفهم من حيث الإخوة الأكبر والأصغر سنًّا. ومع ذلك، يمكن لكل كوبون، بدوره، أن يتقدم درجة، وله الحق في الارتقاء بداخل المنظمة، ويمكن له أن يشكِّل منظمةً تابعةً له، والتي بدورها قد تشكِّل منظمات ذات مرتبة أدنى، والتي تسيطر على نحو أكثر من ٢٥٠٠ شركة و٥٠٠ مجموعة بداخل الياكوزا.

هناك طقوس بداخل الياكوزا اليابانية، وهي طقوس متوارثة قد تم إدراجها بداخل مبادئ المافيا اليابانية منذ إنشائها، وهي جزء لا يتجزأ من العادات اليابانية المؤصلة بداخل كل مواطن ياباني قديم، هي فقط قد أعطتها شكلًا وصفةً ونصًّا قانونيًا يسري على الكل في الياكوزا.

أهم طقس هو اليوبتسومي، أو قطع الإصبع الأيسر، وهو شكل من أشكال التكفير عن الذنب أو الاعتذار عند ارتكاب جريمة أولى تخالف قانون الياكوزا الساري على كل الأعضاء، حين يرتكب أحد أفراد العائلة جريمة أو خطأ، يجب على المخالف قطع رأس إصبعه الأيسر وتقديم الجزء المقطوع إلى رئيسه المباشر في العائلة. في بعض الأحيان، قد يقوم المدير الخفي للمنظمة بذلك بنفسه ككفارة إلى الأويابون إذا كان يريد تجنيب أحد أفراد عصابته الانتقام الإضافي غير قطع رأس إصبعه، فقد يصل الأمر إلى التصفية أو القتل، وقد كان هذا الطقس منتشرًا بين أفراد المافيا اليابانية حتى وقت قريب، حتى أوقفه الأعضاء الأصغر سنًّا؛ لأنه صار علامة تعريف لرجال الشرطة الذين يقومون بمطاردة الخارجين عن القانون من أعضاء العائلة، فخافوا من الانكشاف، فقرروا إيقافها إلى الأبد، وإن كانت لا تزال تُمارس بشكل بسيط لمن هم متمسكون بالعادات والتقاليد هناك.

أصل ذلك الطقس ينبع من الطريقة التقليدية للإمساك بالسيف الياباني. حيث تُستخدم الأصابع الثلاثة السفلية من كل يد في الإمساك بقبضة السيف بإحكام، ولكن تلك القبضة المعروفة تضعف بوجود إصبع الإبهام والسبابة، وتخفض من قوة الإمساك بمقبض السيف قديمًا. فكان الجنود يزيلون رأسَي الإصبع الصغير، والذي يؤدي إلى رفع اليد إلى السبابة، وتقوي وقتها قبضة السيف لدى الشخص المقطوع رأس إصبعه، ولكنها مع مرور الوقت دخلت الياكوزا كطقس تكفيري عن الذنوب.

الياكوزا ليست عصابة واحدة كما يخيل للبعض، إنما هي اتحاد من مجموعة من المنظمات التي اتحدت لتكون الياكوزا في النهاية، مكونةً في فترة من الفترات، وقبل تنفيذ قانون مكافحة الياكوزا منذ بضعة أعوام لمئات الآلاف من الأعضاء.

بشكل أساسي، تتكون الياكوزا من أربع مجموعات كبار وبعض المجموعات الصغيرة.

المجموعة الأولى هي مجموعة Yamaguchi-gumi الياماغوتشي غومي: وتعد تلك العائلة أو المجموعة هي الأضخم في الياكوزا، حيث تمثل نصف الياكوزا تقريبًا من إجمالي العدد الكلي للياكوزا، بعدد يتجاوز الـ٦٠ ألف عضو، وبعدد ثمانمائة وخمسين عشيرة، على الرغم من مرور أكثر من عقد من قمع الشرطة لليماغوتشي، إلا أنها استمرت في النمو ضد القمع، كانت ولا تزال تزيد في أعدادها وعملها.

يعد مقرها الرئيسي في مدينة كوب اليابانية، توجه الياماغوتشي جميع الأنشطة الإجرامية في جميع أنحاء اليابان، وتشارك أيضًا في عمليات في آسيا والولايات المتحدة. شينوبو تسوكاسا، المعروف أيضًا باسم كينيتشي شينودا، هو أويامون «الأب الروحي» لليماغوتشي غومي الحالي يتبع سياسة توسعية، وقد زاد من عملياته في طوكيو (التي لم تكن تقليديًّا أراضي ياماغوتشي غومي إلا أنه توسَّع بها).

تلك العائلة هي أنجح العائلات في المافيا اليابانية، إلى درجة أن أصبح اسمها مرادفًا للجريمة المنظمة اليابانية في أجزاء كثيرة من آسيا خارج اليابان. يعرف الكثير من الصينيين أو الكوريين الذين لا يعرفون اسم الياكوزا أن المافيا تسمى ياماغوتشي؛ نسبةً لنجاح وانتشار تلك العائلة بشكل كبير في آسيا.

أما العائلة الثانية هي السوميوشي كاي Sumiyoshi-kai، ويقدر عدد أفرادها بـ٢٢ ألف عضو، وعدد ٢٧٧ عشيرة فقط، وهي عبارة عن كونفدرالية تضم مجموعات الياكوزا الأصغر، لتكون تلك العائلة في المافيا اليابانية، وعلى اختلاف عن الياماغوتشي، فتتوزع رئاستها على عدد من الأشخاص، وليس شخصًا واحدًا فقط.

أما العائلة الثالثة، وهي الإنجاوا كاي Inagawa-kai، فيقدر عدد أفرادها بخمسة عشر ألف عضو، وعدد ٣١٦ عشيرة، تتمثل أهمية تلك العائلة في أن منطقة نفوذها تقع في يوكوهاما في العاصمة اليابانية طوكيو، وكانت أولى العائلات التي تتوسع أعمالها الإجرامية خارج اليابان.

أما العائلة الرابعة فهي إيزوكوتيتسو كاي Aizukotetsu-kai، وتتميز تلك العائلة بأنها ليست عائلة على الإطلاق، بل إنها مجموعة من مائة عصابة صغيرة متحدين باسم واحد، وهو الكوتيتسو والذي هو نوع من أنواع السيوف اليابانية، عدد أفرادها سبعة آلاف فقط.

تعتبر ياكوزا منظمات شبه شرعية. على سبيل المثال، مباشرة بعد زلزال كوب اليابانية، قامت ياماغوتشي غومي، ومقرها في كوب، بتعبئة نفسها لتقديم خدمات الإغاثة في حالات الكوارث (بما في ذلك استخدام طائرات هليكوبتر لإغاثة المتضررين)، وقد أبلغت وسائل الإعلام على نطاق واسع، وذلك على النقيض لتباطؤ استجابة واحتواء الحكومة اليابانية لتلك الكارثة الطبيعية، وهذا ما أكسب الياكوزا شهرة أكثر وشرعية أكبر في وجودها في اليابان.

العديد من عصابات ياكوزا، ولا سيما ياماغوتشي غومي، تمنع رسميًّا أعضاءها من الانخراط في تهريب المخدرات، في حين أن بعض

نقابات ياكوزا، ولا سيما دوجن كاي، متورطة فيها بشدة.

من المعروف أن بعض مجموعات ياكوزا تتعامل على نطاق واسع في الاتجار بالبشر، الفلبين على سبيل المثال، هي مصدر للشابات العاملات بالدعارة وتسيير الجنس. الياكوزا تخدع الفتيات من القرى الفقيرة إلى المجيء إلى اليابان، حيث يُعدونهنّ بوظائف محترمة بأجور جيدة. بدلًا من ذلك، يُجبرن على أن يصبحن عاملات في الجنس ومتعريات.

أما عن عمل الياكوزا في الجريمة فهو متفرع، وله أكثر من نوع وشكل، فتشارك الياكوزا بشكل متكرر في شكل فريد من أشكال الابتزاز الياباني المعروف باسم Sōkaiya في جوهرها، يمثل هذا العمل كشكل متخصص من الحماية بالإجبار، نوع من أنواع الحماية. فبدلًا من مضايقة الشركات الصغيرة، ياكوزا تضايق اجتماع المساهمين في الشركات الكبيرة. إنهم ببساطة يخيفون حامل الأسهم العادي بحضور عملاء ياكوزا، الذين يحصلون على الحق في حضور الاجتماع عن طريق شراء الأسهم الصغيرة.

تتخصص الياكوزا أيضًا في سوق العقارات اليابانية والمصرفية من خلال ما يسمى بـJiageya، ومعناها يتمثل في حث أصحاب العقارات الصغيرة على بيع ممتلكاتهم؛ حتى تتمكن الشركات العقارية من تنفيذ خطط تطوير أكبر. غالبًا ما يتم إلقاء اللوم على «اقتصاد الفقاعة» في اليابان في فترة الثمانينيات، والتي تمثلت في المضاربات العقارية من قبل الشركات المصرفية الفرعية.

بعد انهيار فقاعة العقارات اليابانية في الثمانينيات، تم اغتيال مدير أحد البنوك الكبرى في ناغويا، وتلا ذلك الكثير من التكهنات حول

العلاقة غير المباشرة بين القطاع المصرفي والعالم الياباني.

وغالبًا ما يشارك ياكوزا في المهرجانات المحلية مثل سانجا ماتسوري، حيث يركبون الضريح في الشوارع، وهم يعرضون بفخر الأوشام الكثيرة التي يتميز أفراد المافيا بها.

من المعروف أن ياكوزا تقوم باستثمارات كبيرة في الشركات الشرعية السائدة. في عام ١٩٨٩، اشترى الأويابون «الأب الروحي» لعائلة أجاوا كاي بما قيمته ٢٥٥ مليون دولار أمريكي من أسهم في شركة Tokyo Kyuko Electric Railway's.

تتمتع لجنة مراقبة الأوراق المالية والبورصات اليابانية بمعرفة أكثر من ٥٠ شركة مدرجة لها صلات بالجريمة المنظمة.

أما عن السرقة، كمسألة مبدأ، لا يتم التعرف على السرقة كنشاط مشروع للياكوزا، وهذا يتماشى مع فكرة أن أنشطتها شبه مفتوحة؛ أما عن السرقة فبحكم التعريف ستكون نشاطًا سريًا لا يتم الإعلان عنه أبدًا. الأهم من ذلك، أن مثل هذا الفعل يعتبر بمثابة تعدٍّ من قبل المجتمع وهو مرفوض ظاهريًا. أيضًا عادة لا تجري العملية التجارية الفعلية من تلقاء نفسها. تتم إدارة الأنشطة التجارية الأساسية مثل التجارة أو الحصول على القروض أو إدارة دور المقامرة من قبل أعضاء من غير الياكوزا الذين يدفعون رسوم الحماية مقابل أنشطتهم تلك.

هناك الكثير من الأدلة على تورط ياكوزا في الجريمة الدولية. هناك العديد من أعضاء وشم ياكوزا المسجونين في مختلف السجون الآسيوية؛ بسبب جرائم مثل تهريب المخدرات وتهريب الأسلحة. في عام ١٩٩٧، تم القبض على أحد أعضاء ياكوزا المؤكدين أثناء تهريب ٤ كيلوجرامات (٨,٨٢ رطل) من الهيروين إلى كندا.

قبل وفاته عام ١٩٨٠، كان عضو المافيا الإيطالي الأمريكي السابق

ميكي زافارانو، الذي كان يسيطر على مضارب المواد الإباحية في جميع أنحاء الولايات المتحدة لصالح عائلة بونانو، يسمع عن الأرباح الضخمة من تجارة المواد الإباحية التي يمكن أن تجنيها كلتا العائلتين، وهذا معناه أن الياكوزا عملت في مجال الدعارة الرقمية، واكتسبت منها ملايين الدولارات.

مضرب آخر من ياكوزا هو جلب نساء من عرقيات وأعراق أخرى، خاصة أوروبا الشرقية وآسيا إلى اليابان، تحت إغراء العمل المغري والمكسب، ثم يجبر النساء على ممارسة الدعارة.

نظرًا لتاريخها كمنظمة إقطاعية شرعية، وارتباطها بالنظام السياسي الياباني من خلال المجموعات السياسية اليمينية المتطرفة، تعتبر الياكوزا جزءًا من المؤسسة اليابانية، حيث تنشر ست من المجلات التي يُصدرها المعجبون تقارير دائمة عن أنشطتها.

تورطت ياكوزا في العمل السياسي بشكل مشابه لمشاركة جماعات الضغط، حيث يدعم هؤلاء الذين يشاركونهم في آرائهم أو معتقداتهم التي تتفق معهم شخصيًّا. وجدت إحدى الدراسات أن شخصًا واحدًا من بين كل عشرة أشخاص بالغين تحت سن ٤٠ عامًا اعتقد أنه يجب السماح بوجود ياكوزا في اليابان.

في الثمانينيات في فوكوكا، خرجت حرب ياكوزا عن السيطرة، وأصيب المدنيون. كان صراعًا كبيرًا بين ياماغوتشي وبين عائلة دوجين كاي، في حرب أسمتها الوسائل الإعلامية وقتها بالياما ميتشي، ومن شدة تلك الحرب وسقوط المئات من الضحايا تدخلت الشرطة في النهاية، وأجبرت زعماء العائلتين على الهدنة.

لدى الياكوزا نشاط في الولايات المتحدة، في الغالب في هاواي البعيدة نسبيًّا عن العاصمة الأمريكية واشنطن، لكنهم وسَّعوا وجودهم في أجزاء أخرى من البلاد، خاصة في لوس أنجلوس، ومنطقة خليج

سان فرانسيسكو، وكذلك سياتل ولاس فيجاس وأريزونا وفيرجينيا وشيكاغو، ومدينة نيويورك.

تستخدم الياكوزا هاواي كمحطة في منتصف الطريق بين اليابان وقارة أمريكا الجنوبية، وتقوم بتهريب الميتامفيتامين إلى البلاد، وتهريب الأسلحة النارية إلى اليابان. تتناسب بسهولة مع السكان المحليين، حيث إن العديد من السياح من اليابان ودول آسيوية أخرى يزورون الجزر بشكل منتظم، وهناك عدد كبير من السكان من أصل ياباني كامل أو جزئي، كما أنهم يعملون مع العصابات المحلية، ويقومون بنقل السياح اليابانيين إلى صالات القمار وبيوت الدعارة

في كاليفورنيا، أقامت الياكوزا تحالفات مع عصابات كورية محلية، بالإضافة إلى عائلات صينية. تم استخدام تلك التحالفات مع العصابات الفيتنامية التي كانت على عداء مع الياكوزا، حيث كان من المحتمل أن تصبح حربًا عنيفة للغاية. (شهدت ياكوزا الإمكانات التالية لإطلاق النار على المقاهي الفيتنامية المستمرة، وعمليات السطو على المنازل الفيتنامية طوال الثمانينيات وأوائل التسعينيات).

في مدينة نيويورك، يبدو أنهم يجمعون رسوم المكتشفين من المافيا الروسية والإيرلندية والإيطالية ورجال الأعمال؛ لتوجيه السياح اليابانيين إلى مؤسسات المقامرة، سواء كانت قانونية أو غير قانونية.

تمثل المسدسات المصنعة في الولايات المتحدة نسبة كبيرة (٣٣٪) من المسدسات المصادَرة في اليابان، تليها الصين (١٦٪) والفلبين (١٠٪). في عام ١٩٩٠، يمكن أن يبيع مسدس من نوع Smith & Wesson والذي تبلغ تكلفته ٢٧٥ دولارًا في الولايات المتحدة إلى ما يصل إلى ٤٠٠٠ دولار في طوكيو.

كما اتهم مكتب التحقيقات الفيدرالي في الولايات المتحدة الياكوزا في عمليات غسيل أموال بداخل الولايات المتحدة.

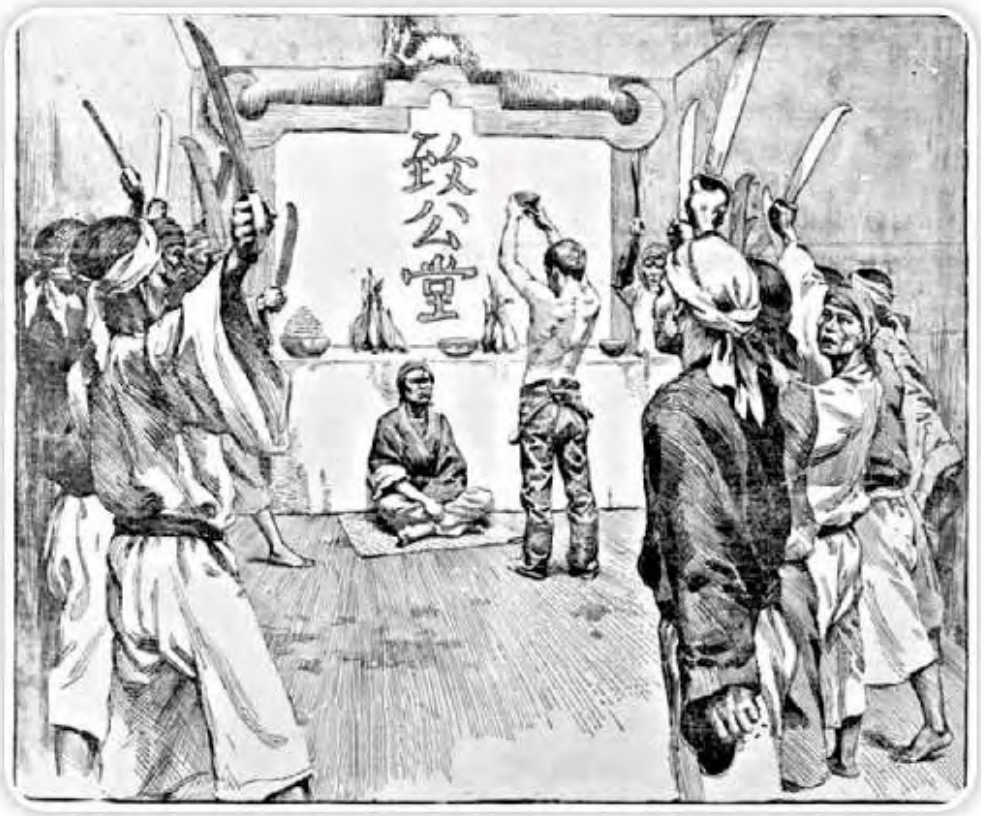

أما عن تاريخ الياكوزا، فيمكن أن تعود أصول الياكوزا إلى عام ١٦١٢، عندما بدأ الأشخاص المعروفون باسم المجانين أو kabuki-mono في جذب انتباه المسئولين المحليين، فملابسهم الغريبة وحلاقة شعرهم وسلوكهم، إلى جانب إجبار الخيول الطويلة على السير بجانبهم كعلامة عنهم، جعلتهم ملحوظين للغاية من قبل كل من عاشروهم. لقد اعتاد كابوكي مونو استعداء أي شخص وترويعه في أوقات فراغه، حتى إلى درجة تقطيع المرء لمجرد المتعة.

كان الكابوكي مونو مجموعة من الساموراي غريبي الأطوار، وأخذوا أسماء فاحشة عن عصاباتهم، وكانوا يتحدثون بالعامية اليابانية شديدة البذاءة والغلظة. وكان ولاؤهم لبعضهم ملحوظًا. كانوا يحمون بعضهم من أي تهديد، بما في ذلك ضد عائلاتهم.

في الواقع، كان الكابوكي مونو خدمًا للشوغون في اليابان، وكانوا

أيضًا يحملون اسم هاتاموتو-ياكو (خدم الشوغون). كانت المجموعات مكونة من نحو خمسمائة ألف من الساموراي الذين أجبروا على البطالة خلال فترة السلام في عهد توكوغاوا، مما أجبرهم على أن يصبحوا رونين أو (رجال الموجة)، وهم الساموراي غير المتقنين. تحول الكثير منهم إلى قطاع طرق، ونهبوا البلدات والقرى أثناء تجولهم في جميع أنحاء اليابان.

لا يمكن اعتبار الهاتاموتو-ياكو الأسلاف الحقيقيون للياكوزا، كما يروج البعض من المؤرخين، بل ترى الياكوزا أن أسلافهم الحقيقيين هم machi-yokko أو خدم المدينة، هؤلاء الأشخاص هم الذين حملوا السلاح، ودافعوا عن القرى والبلدات من هاتاموتو-يوكو أنفسهم الذين يروَّج لكونهم أسلاف الياكوزا. كان هؤلاء الأشخاص يتألفون من مهن لها احترامها في القرون الوسطى، على سبيل المثال الكتاب، وأصحاب المتاجر، وأصحاب النزل، والعمال، والمحاربون المشردون وغيرهم من رونين. كل من كان جزءًا من الماتشي يوكو.

لكنهم كانوا يتميزون عن غيرهم بأنهم كانوا مقامرين بارعين، يعرفون فنَّ المقامرة ويحفظونه ويلعبون به، ما ساعدهم على تطوير علاقة متماسكة مع بعضهم البعض وقادتهم، مثل الكثير من ياكوزا اليوم، سرعان ما أصبحوا وقتها أبطالًا شعبيين، وأشاد بهم سكان المدينة على تصرفاتهم ضد قطاع الطرق الهاتاموتو، حتى إنه تغنى ببطولاتهم الفنانون والشعراء في تلك السنوات من القرون الوسطى، وعوملوا بنفس معاملة روبن هود الإنجليزي، ذلك اللص الذي حارب الأغنياء وأعطى الفقراء.

ولكن لم تظهر الياكوزا على السطح وبشكل واضح إلا في أواخر العام ١٧٠٠م، وكانوا مكونين من نوعين، المقامرين التقليديين أو الباكوتو، والمتجولين في الشوارع أو التيكيا.

وتمت إضافة نوع ثالث بعد الحرب العالمية الثانية وهي الجورنتاي، كل فرد في هذه المجموعات جاء من نفس الخلفية: فقراء، لا يملكون أرضًا، الجانحون والمخالفون. علقت المجموعات عن كثب في نفس المناطق الصغيرة دون مشاكل، حيث بقي باكوتو في الغالب على طول الطرق السريعة والمدن، وكانت تيكيا تعمل في الأسواق والمعارض في اليابان.

بعدها، ومع ازدياد ظهور الياكوزا، بدأت الياكوزا بالتنظيم في عائلات بالشكل المعروف للمافيا في العالم، عن طريق أب روحي كما شرحنا سابقًا وأعضاء ومستشارين.

كان الكوبون بمثابة «الطفل»، وأقسم الولاء الثابت والخدمة كلما احتاج الأويابون «الأب الروحي» لها.

كما تطورت مراسم بدء ياكوزا في هذه الفترة الزمنية. بدلًا من إراقة الدماء الفعلية التي كانت تمارسها المافيا والترياد، تبادل ياكوزا الكؤوس من أجل رمز المدخل إلى ياكوزا، وعلاقة أوبون كوبون. تتوقف كميات السحب التي يتم سكبها في كل كوب على وضع الفرد، سواء كان المشاركون من الأب أو الأخ أو الأكبر سنًّا، وما إلى ذلك. كان يتم الاحتفال عادةً أمام مذبح شنتو، مما يعطيه أهمية دينية للكل.

أما عن التيكيا، فلا يزال تاريخ تيكيا محل نقاش واسع. كانت النظرية الأكثر قبولًا هي أن التيكيا جاءت من كلمة «ياتشي»، ومعناها بائع متجول في العامية اليابانية.

كان الياتشي يسافرون لتجار الأدوية، وهو ما يشبه إلى حد كبير تجار النفط في الغرب الأمريكي. مع مرور الوقت أصبح الياتشي نقطة جذب لجميع التجار والباعة المتجولين.

ثم إنهم اتحدوا مع بعضهم البعض من أجل الحماية والمصالح المتبادلة من نظام توكوغاوا. بدأوا في السيطرة على الأكشاك في

المعارض والأسواق. كانت سمعتها تدور حول البضائع الرديئة معروفة في أنحاء اليابان.

كانت مبيعاتها أيضًا مغشوشة وخادعة. كذبوا كثيرًا حول أصول وجودة المنتجات حينما كانوا يبيعون منتجاتهم في ذلك الزمن، وكانوا يخدعون عملاءهم بكثرة.

تتبع التيكيا منظمة الياكوزا بنفس الهيكل التنظيمي، حيث الأويابون والكوبون، الضباط، المجندون والمتدربون، ويسيطر الأويابون على منافذ بيعهم، وتخصيص الأكشاك جنبًا إلى جنب مع توفّر البضائع. كما يقوم بجمع الإيجارات وأموال الحماية وإعطائها للأويابون، لا يوجد فرق بين الاثنين.

كل ما فعلوه هو العمل البيعي، ولكن بشكل قانوني، ففي منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، اعترفت بهم السلطات الإقطاعية، وبالتالي زادت من قوة التيكيا. تم منح الأويابون سلطة المشرف، حيث أصبح بإمكانه الآن الحصول على لقب وحمل سيفين مماثلين للساموراي على حسب القانون الياباني.

من أجل الحدِّ من خطر الحروب بين الياكوزا وبعضها بسبب الاحتيال واسع النطاق. ومع ذلك، لا تزال التيكيا تحتضن بعض الصفات الإجرامية، مثل مضارب الحماية، وإيواء الهاربين والمجرمين المعروفين، والمشاجرة والحروب بالأسلحة مع العصابات الأخرى.

أما عن الباكوتو، فقد تم التعرف على الباكوتو لأول مرة خلال عهد توكوغاوا الشهير، عندما استأجرتهم الحكومة للمقامرة مع عمال البناء والري؛ لاستعادة جزء من الأجور الكبيرة التي حصل عليها العمال وقتها.

ساهم باكوتو في إدخال المقامرة إلى اليابان، وكذلك إدخال طقس قطع رأس الإصبع التقليدي في ياكوزا.

استخدام الوشم في الياكوزا جاء أيضًا من الجانب الإجرامي لباكوتو. عادة ما يتم رسم الوشم على المجرمين بحلقة سوداء حول الذراع لكل جريمة ارتكبها. ومع ذلك، سرعان ما أصبح الوشم اختبارًا للقوة، حيث تم تطبيقه من خلال خضوعه لمائة ساعة للحصول على وشم كامل للظهر.

كانت اليابان تمر بفترة عصيبة في تلك الأيام من القرن التاسع عشر.

فمع حلول العشرية السادسة من القرن الـ١٩ (١٨٦٠م) دخلت البلاد اليابانية مرحلة جديدة من الصراعات. أصبحت العديد من الجماعات تندد بالنظام الحاكم. كان النظام الشوغوني قد قام سنة ١٨٥٨م بتوقيع معاهدة تجارة جديدة مع القنصل الأمريكي «تاوزند هاريس» -بعد المعاهدة الأولى في ١٨٥٤م- أدى ذلك إلى تأليب الجماعات المحافظة والتي كانت تعارض عملية فتح البلاد على الخارج. في نفس السنة (١٨٥٨م) توفي الشوغون «إيئه-سادا»، تبع ذلك خلافات حادة بين ورثته، ثم تطور الأمر إلى بروز جبهتين بين رجالات الحكم، جبهة يغلب عليها الطابع المحافظ، وترى إبقاء الأمور على حالها، وجبهة أخرى كانت تريد الإسراع في عملية إصلاح النظام الشوغوني. أسفرت الجولة الأولى على انتصار المحافظين، وتم تعيين «توكوغاوا إيئه-موتشي، شوغون جديدًا.

قاد رئيس المجلس الوطني «إيئي ناؤوسوكه» (١٨١٥-١٨٦٠م) -زعيم التيار المحافظ داخل النظام، والذي كان الحاكم الفعلي للبلاد- سياسة متشددة تجاه المعارضين للنظام الشوغوني. كان من عواقب ذلك أن توحدت كل قوى المعارضة في بلاد تحت راية واحدة، وكان هدفها يلخصه الشعار التالي: «الطاعة للإمبراطور، والطرد للأجانب». في حقيقة الأمر لم تكن قضية إعادة الإمبراطور إلى السلطة الشغل الشاغل لهذه الجماعات، كان أنصار هذه القضية يمثلون أقلية بين أفراد

المعارضة، إلا أن الأغلبية كانت تتفق في كون ذلك ذريعةً وسببًا وجيهًا لتوحيد الصفوف ضد النظام الشوغوني.

عام ١٨٦٠م تولى «أندو نوبوماسا» (١٨١٩-١٨٧١م) رئاسة المجلس، خلفًا لـ«إيئي ناؤوسوكه». كان همه الأول أن يقرب إليه البلاط الإمبراطوري؛ حتى يكسر شوكة أعداء النظام. كانت خطته تقضي بزواج الشوغون «إيئه-موتشي» من إحدى الأميرات من الأسرة الإمبراطورية. بعد أن أقنعه بعض مستشاريه وافق الإمبراطور «كوميي» (١٨٣١-١٨٦٧م)، كان الأخير ولترضية أنصاره قد وضع شرطًا أساسيًا للقبول بتلك التسوية: طرد الأجانب من البلاد.

أخذ العديد من رجال الساموراي مثل كيدو تاكايوشي وأوكوبو توشيميتشي وسائيغو تاكاموري وإيتو هيروبومي وغيرهم في المعاقل الغربية ينظمون أنفسهم، كان يحدوهم الطموح لبلدهم، وتجمعهم الرغبة في تحديثه وتزويده بجيش قوي، قاد هؤلاء الرجال حركات التمرد الأولى. كانت أغلبيتهم من القوميين إلى درجة التعصب. أرادوا طرد الأجانب من البلاد، وإجبار النظام الشوغوني على تنفيذ وعوده (بموجب القرارات التي تم توقيعها سنة ١٨٦٣م)، وجد هؤلاء ضالتهم في الانضمام إلى الجبهة التي كانت تطالب باسترجاع الحق الإمبراطوري. أمام إلحاح قادة المعاقل الغربية حاول الـ«باكوفو» (التسمية التي كانت تطلق على الحكومة الشوغونية) ربح المزيد من الوقت من خلال المفاوضات. إلا أن هذه لم تثمر، وبدأ المتمردون في شن هجمات على المراكب الغربية التي تحاول الاقتراب من سواحل البلاد.

قام النظام بتجهيز جيش كانت مهمته إخضاع المتمردين في معقل تشوشو الياباني، إلا أن هؤلاء استطاعوا صدَّ هذه القوات. حاول الـ«دائي-ميو» (كبير الزعماء) في معقل «ساتسوما» أن يعرض

على النظام حلًا وسطًا: تشكيل حكومة وطنية يتم انتخاب أعضائها من قبل الشوغون، الإمبراطور والزعماء الـ«دائي-ميو». إلا أنه وبعد ضغوط مارسها عليه زعماء المتمردين في معقله، عدَل عن رأيه ووافق بمضض على التحالف التي تم عقده سنة ١٨٦٦م مع معقل «تشوشو». كان كل من «كيدو تاكايوشي» و«سائيغو تاكاموري» قد مهدا لهذه العملية منذ مدة.

ثم تسارعت الأحداث، فتوفي الشوغون الجديد إيئه-موتشي سريعًا، تحديدًا في أغسطس من عام ١٨٦٦م وهو في ريعان شبابه، انتقل الأمر من بعده إلى توكوغاوا يوشينوبو، ثم توفي الإمبراطور في يناير من العام التالي، فاعتلى ابنه ماتسوهيتو العرش وتلقب بمييجي، حيث بدأت من بعدها ما أسماها المؤرخون بفترة مييجي، أو «استعراش مييجي»؛ نسبةً إلى صعود مييجي على العرش.

أصبح الشوغون الجديد مجردًا من السلطة.. كان الأمر في أيدي زعماء المقاطعات، وأمام زحف قوات معقلي الـ«تشوشو» والـ«ساتسوما» على العاصمة «إيدو»، كان من السهل على زعيم معقل الـ«توسا»، والذي انضم مؤخرًا إلى التحالف الإمبراطوري، أن يقنع الشوغون بتقديم استقالته للإمبراطور. وافق «يوينوبو» على الفكرة، فقام يوم ١٩ نوفمبر ١٨٦٧م بالتنازل عن جميع سلطاته للإمبراطور.

قام أعضاء من المعاقل المتحالفة المنتصرة بتشكيل حكومة وطنية في «كيوتو»، أعلنت هذه (رسميًّا) يوم ٣ من يناير ١٨٦٨م والذي يمثل يوم «استعراش» الإمبراطور وتقلده حكم البلاد. كما تم إلغاء منصب الـ«شوغون» ومصادرة الأراضي التابعة له. حرص أتباع الحركة على إعطاء صفة الشعبية على عملية انتقال السلطة، فتم إصدار مراسيم يضمن فيها حرية التعبير للشعب، بينما تم إقرار كل الاتفاقيات التجارية التي وقعها النظام السابق مع الأجانب.

انتهت المرحلة الأولى من عملية انتقال السلطة دون إراقة دماء، إلا أن المواجهات الأولى كان لا مفر منها، وبالأخص مع الموالين من أتباع الشوغون المعزول وحاشيته. كان هؤلاء يخشون أن يتم تجريدهم من أراضيهم ومن ممتلكاتهم، فقاموا بتسليح أنفسهم. اندلعت حرب أهلية بين الطرفين عُرفت باسم «بوشين سنسو».

لم تشهد أَحداثها وقوع خسائر كبيرة. كانت أغلب الأطراف تنادي بإصلاح المؤسسات، وتريد تحديث البلاد. اندلعت معارك متعددة، وفي أرجاء متفرقة من البلاد بين أنصار النظام القديم والحكومة الجديدة. تم إخضاع أتباع النظام السابق في وسط اليابان بعد هزيمة هذه القوات في «توبا» و«فوشيمي».

تقدمت القوات الحكومية -والتي يتشكل أغلب تعدادها من المعاقل الغربية للبلاد- إلى العاصمة «إيدو»، فتسلمت مفاتيح القصر الشوغوني دون أية مقاومة تذكر. خاضت هذه القوات في العام التالي (١٨٦٩م) معارك متفرقة ضد قوات مشكلة من تحالف العديد من الـ«دائي-ميو» والذين انضووا تحت راية عشيرة الـ«آئيزو». آخر المتمردين والذين كان على رأسهم قائد الأسطول الشوغوني السابق «إيموتو تاكي-آكي» تم دحرهم في «هوكاداته» في شهر يونيو من السنة نفسها العام ١٨٦٩م.

رغم أحداث الحروب التي عرفتها البلاد في تلك الفترة الانتقالية، تم إصدار مرسوم إمبراطوري بتاريخ ٢٥ من فبراير ١٨٦٩م يعلن انتهاء عملية إعادة السلم في البلاد. في شهر أكتوبر تم الإعلان عن ميلاد «الحكومة المستنيرة»، وهي التسمية التي أطلقت على الفترة الزمنية التي تلت. اختارت الحكومة الاستقرار في «إيدو»، والتي تم إعادة تسميتها إلى «طوكيو» أو «العاصمة الشرقية».

في تلك الآونة، صعدت الياكوزا من جديد، حينما بدأت مرحلة استعراش ميجي، والتي كانت بداياتها في العام ١٨٦٧، وطفت على

السطح يابان جديدة كدولة صناعية. وظهرت الحياة في اتخاذ نظام برلماني وأحزاب سياسية ودستورية، بالإضافة إلى جيش قوي مسلح يهدد استقرار المنطقة هناك.

بدأت الياكوزا أيضًا في التحديث؛ كي تُجاري ما يدور حولها من تغيرات شاملة، وكان عليهم مواكبة اليابان سريعة التغير. فقد جندوا أعضاء من عمال البناء والأشغال اليدوية؛ كي يتحولوا إلى الصناعة هم أيضًا. حتى إنهم بدأوا في السيطرة على جميع أنواع التجارة التي بدأت في الظهور على الساحة، ومع ذلك، كان يجب أن تكون المقامرة والتي كانوا يمارسونها أكثر سرية، حيث كانت الشرطة تشن حملات على عائلات باكوتو وتيكيا، على عكس عائلة باكوتو التي أخذت في الازدهار والتوسع؛ لأن أنشطتها في تلك الآونة لم تكن غير قانونية، على الأقل ليس أمام الملأ، الظاهر كان أنها قانونية وتمارس كل ما هو قانوني فقط.

بدأت بعدها الياكوزا في الانخراط في السياسة، إلى جانب بعض السياسيين والمسئولين. تعاونوا مع الحكومة حتى يتمكنوا من الحصول على موافقة رسمية على وجودهم وأعمالهم، أو على الأقل بعض التحرر من المضايقة المستمرة التي تطاردهم من قبل السلطات.

أما عن مدى تأثير الياكوزا في ثوبها الجديد في تلك الحقبة، فقد وجدت الحكومة استخدامًا جديًّا وحقيقيًّا للياكوزا، كمساعدة للمتطرفين القوميين، الذين لعبوا دورًا عسكريًا في تكيف اليابان مع الديمقراطية. تم إنشاء مجتمعات سرية مختلفة تابعة لها وتدريبها عسكريًّا، كما أنها أشرفت على تعليمها عددًا من اللغات، وطرق الاغتيال، والابتزاز، وما إلى ذلك. استمر عهد الإرهاب القومي المتطرف إلى ثلاثينيات القرن العشرين، والذي يتكون من عدة انقلابات، واغتيال رئيسين للوزراء واثنين من وزراء المالية، وتكرارها الهجمات على السياسيين

والصناعيين. قدمت الياكوزا القوة الإجبارية «العضلات» والرجال للقضية السياسية، وشاركت في برامج «تنمية الأراضي» في منشوريا المحتلة أو الصين حينما كانت اليابان تسيطر عليها عسكريًّا.

لكن لا يبقى الحال أبدًا على نفس المنوال، فالأمور تغيرت تمامًا عندما قُصفت «بيرل هاربر»، وهو القصف الياباني لهاواي الأمريكية في المحيط الهادئ عام ١٩٤١م. فلم تعد الحكومة بحاجة إلى القوميين المتطرفين أو الياكوزا، أما عن حال أعضاء هذه المجموعات، فإما عملوا مع الحكومة أو كانوا يرتدون الزي العسكري، أو تم وضعهم في السجن لحين إشعار آخر.

قامت الحرب العالمية الثانية، وشاركت اليابان في الحرب ضد الصين والولايات المتحدة الأمريكية كما يعلم الجميع.

رأت قوات الاحتلال الأمريكية في اليابان ما بعد الحرب أن الياكوزا تعتبر تهديدًا أساسيًّا لعملهم هناك. فبدأوا التحقيقات في أنشطة الياكوزا حتى العام ١٩٤٨م حين توقف عملهم، حينها اعتقدت القوات الأمريكية أن التحقيق قد انتهى، وأن التهديد قد انتهى، أو على الأقل تضاءل.

ومع ذلك، فقد قامت القوات بتوزيع الحصص الغذائية على أفراد الجيوش المحتلة، مما أعطى نشاط السوق السوداء للحفاظ على العصابات في الثروة والسلطة. تمكنت العصابات من التصرف دون عوائق؛ لأن الشرطة المدنية كانت غير مسلحة. حتى إن بعض مسئولي الاحتلال ساعدوا الياكوزا في تلك المهام هناك.

ظهرت حينها الطبقة الثالثة السالف ذكرها في التعريف Gurentai.. بدأت تتشكل الجرينتاي أثناء الاحتلال الأمريكي لليابان، حيث إنه كانت اليابان تعاني من فراغ في السلطة، ولا حكومة حقيقية تسيطر على الأوضاع، فقد جرف الاحتلال الطبقة العليا من السيطرة في الحكومة وقطاع الأعمال.

من الممكن مقارنة الجرينتاي بالمافيا أو الكارتل بشكل رسمي، حيث إن قائدها يشبه ما كان آل كابوني يمثل إلى عائلته.

لقد تعاملوا مع السوق السوداء في معظم الأحيان، لكنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك لاستخدام التهديد والابتزاز والعنف في أنشطتهم. وكان أعضاؤها عاطلين عن العمل، استخدمت الحكومة الجرينتاي للتحكم في العمل الكوري في شبه الجزيرة الكورية، على الرغم من القبض عليهم كثيرًا؛ نسبة لنشاطهم الإجرامي إلا أنهم استخدموهم للتعاون معهم ضد كوريا والصين.

وسرعان ما رأت قوات الاحتلال الأمريكي أن الياكوزا منظمة تنظيمًا جيدًا، وتستمر في العمل تحت اثنين من الأويابون المنظمين بدعم من مسئولين حكوميين رفيعي المستوى مجهولي الهوية. اعترفت الولايات المتحدة بالهزيمة أمامهم في عام ١٩٥٠م، حيث أدركوا أنهم لا يستطيعون حماية الشعب الياباني من الياكوزا المتوغلين في أحراش اليابان، ولهم فيها جذور وفروع من الصعب السيطرة عليهم.

في سنوات ما بعد الحرب، أصبحت الياكوزا أكثر عنفًا، سواء على

المستوى الفردي أو الجماعي. أصبحت السيوف ضربًا من الماضي، وأصبحت البنادق والأسلحة النارية السلاح الجديد المفضل لهم. اختاروا أعضاءهم من المواطنين العاديين، وليس فقط البائعين الآخرين أو المقامرين، لم تعد لهم أهداف محددة وطنية أو غيرها، كأهدافهم السابقة على غرار السطو.

تغيرت مظاهرهم أيضًا، حيث إنهم تظاهروا بمظهر رجال العصابات السينمائيين الأمريكيين، وبدأوا في ارتداء النظارات الشمسية والبدلات السوداء، وربطات العنق مع القمصان البيضاء، وبدأوا في ممارسة الرياضة.

بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦٣، ارتفع عدد أعضاء ياكوزا بأكثر من ١٥٠٪ ليصل عدد أعضائها إلى ١٨٤ ألف عضو، أي أكثر عددًا من الجيش الياباني نفسه. كان هناك نحو ٥٢٠٠ عصابة تعمل في جميع أنحاء اليابان. بدأت عصابات ياكوزا في اقتحام أراضيها، وبدأت الحروب الدامية والعنيفة تندلع بينهما مع ظهور وانتشار العصابات الجديدة، والتدخل في مناطق النفوذ بينهم وبين بعضهم البعض.

في خضم تلك الحرب الدامية التي قامت بين المافيا والعصابات وبعضها، وفي ظل الحرب العالمية، ظهر رجل ياباني من الرجال الوطنيين يسمى بيوشيو كوداما Yoshio Kodama.

كان كوداما في السجن لجزء مبكر من الاحتلال، وُضِع في نفس القسم مثل ضباط الحكومة والجيش والقوميين المتطرفين. هو نفسه كان جزءًا من مجموعة القوميين المتطرفين أو رابطة تأسيس الأمة، في أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات من القرن العشرين، عمل على التجسس للحكومة اليابانية، وقام بجولة في شرق آسيا. كان يعمل في عمليات كبرى للحصول على العتاد الاستراتيجي اللازم للمجهود الحربي الياباني في الحرب العالمية.

بحلول نهاية الحرب، كان قد حصل على رتبة الأدميرال الخلفي (إنجاز مثير للإعجاب في سن الرابعة والثلاثين)، وكان مستشارًا لرئيس الوزراء وهو في مثل هذه السن الصغيرة.

تم القبض عليه مع مسئولين حكوميين آخرين في عام ١٩٤٦م ووُضِع في سجن سوغامو في انتظار المحاكمة. رأت قوات الاحتلال أن كوداما يمثل مخاطرة أمنية عالية، في حال إطلاق سراحه؛ بسبب تعصبه مع القوميين المتطرفين.

كان كوداما قد أبرم صفقة مع قسم قوات الاحتلال حتى يتم إطلاق سراحه، وعند إطلاق سراحه كان يعمل لدى فرع المخابرات جي-٢، ثم انضم إلى الياكوزا في العام ١٩٥٠م.

في أوائل الستينيات، أراد كوداما أن تنضم عصابات ياكوزا، التي تقاتل الآن بعضها البعض، إلى تحالف واحد عملاق يهدئ من الصراع القائم بين العصابات والعائلات وبعضها، فقد أعرب عن أسفه للحرب، واعتبرها تهديدًا للوحدة المعادية للشيوعية. ثم أجرى العديد من الاتصالات والتواصلات لخلق هدنة بين العصابات وقت حربها ضد

بعضها. قام بجمع تحالف سريع بين الكثير من العصابات على رأسها الأويابون التابع للياماغوتشي غاما، وبين الزعيم الكوري هيسايوكي ماتشي الأب الروحي لعصابة توسي كاي الكورية.

نتيجة لتلك التحالفات التي أجراها أسماه المؤرخون الأب الروحي الياباني أو العراب الياباني، وكان هو السبب الرئيسي في صعود الجريمة المنظمة إلى الساحة في اليابان.

بدأ يوشيو كاداما حياته طفلًا مولودًا في العام ١٩١١م في نيهونماتسو باليابان، حيث عاش مع أقارب له في كوريا التي احتلتها اليابان في وقت مبكر من حياته، وخلال ذلك الوقت شكّل مجموعة متطرفة تهدف إلى اغتيال مختلف السياسيين اليابانيين، فتم القبض عليه في عام ١٩٣٢م، وقضى عقوبة بالسجن لمدة ثلاث سنوات ونصف.

بعد إطلاق سراحه، تعاقدت الحكومة اليابانية مع كوداما؛ للمساعدة في نقل الإمدادات للمجهود الحربي الياباني من قارة آسيا إلى اليابان. لقد أنجز هذا من خلال شبكة من الحلفاء قام بها خلال فترة عمله في كوريا. شارك كوداما في تجارة المخدرات في هذا الوقت، حيث نقل المواد الأفيونية إلى اليابان إلى جانب الإمدادات التي دفعتها له الحكومة لتهريبها. قام بتكوين شبكة واسعة من الحلفاء، وبنى ثروة بلغت أكثر من ١٧٥ مليون دولار أمريكي، مما يجعله واحدًا من أغنى الرجال في آسيا خلال هذا الوقت.

في نهاية الحرب العالمية الثانية، ألقت الولايات المتحدة القبض على كوداما كمجرم حرب مشتبه به من الدرجة الأولى، واحتُجِز في سجن سوغامو مع ريويتشي ساساكاوا، حيث أقام الاثنان صداقة طويلة امتدت لما بعد هذا.

في عام ١٩٤٨م أمَّن مجتمع الاستخبارات الأمريكي في وقت لاحق إطلاق سراحه مقابل مساعدته في محاربة الشيوعية في آسيا،

كما قلنا سابقًا؛ لكونه كان يمينيًّا متشددًا، ملتزمًا بفكره وقناعاته بشكل كبير، مستخدمًا ثروته وشبكته من الاتصالات لقمع النزاعات العمالية، واستئصال المتعاطفين الشيوعيين، ومحاربة الأنشطة الاشتراكية في اليابان.

في عام ١٩٤٩، دفعته وكالة المخابرات المركزية لتهريب شحنة من التنغستن إلى خارج الصين، لكن لم تصل الشحنة أبدًا، واحتفظ كوداما بأموالها لنفسه، حتى كانت تلك كصفعة هزَّت ثقة الأمريكان في أنفسهم.

استخدم كوداما قوته في ياكوزا لقمع أي شيء اعتبره شيوعيًّا أو معادلًا للقومية. في عام ١٩٤٧، أمر ميركي غومي، العصابة التابعة له بتفكيك الحركة العمالية في منجم الفحم في هوكوتان. كما عرض دعمه للحزب الليبرالي الديمقراطي اليميني المعادي للشيوعية.

خلال هذه الفترة، استخدم كوداما كما قلنا من قبل، اتصالاته مع العالم؛ للمساعدة في توحيد العصابات المختلفة، التي انتشرت بشكل كبير في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية مباشرة، وكان هو السبب في الصلح الذي عُقِد بين ياماغوتشي غومي وتوسي كاي، برئاسة زميله هيسايوكي ماشي.

شارك كوداما أيضًا في عدد من الفضائح في فترة ما بعد الحرب، والتي شارك العديد منها في أعمال تجارية للولايات المتحدة ووكالة الاستخبارات المركزية. أبرز هذه كانت فضيحة مبيعات شركة لوكهيد في السبعينيات، التي ساهمت فعليًّا في نهاية حياته المهنية، حيث حاول ممثل الأفلام الإباحية الرومانية المتشائم المعروف ميتسوياتسو ماينو اغتيال كوداما عن طريق تحليق طائرة فوق منزله بطوكيو على طراز الكاميكاز، لكن المحاولة فشلت، استمرت حياة كوداما الغريبة في الاستمرار إلى أن توفي بالسكتة الدماغية في يناير من العام ١٩٨٤م

بعدما استفحلت عصابات الياكوزا في البلاد تحت يد الأب الروحي الأكبر لليابان كوداما.

الياماغوتشي غومي هي أكبر عصابات الياكوزا عددًا ونفوذًا حتى يومنا هذا، كان الأويابون أو الأب الروحي للياماغوتشي والأقوى بين الجميع هو Kazuo Taoka أو توكا، كان توكا قد نجا من العديد من محاولات الاغتيال، بما في ذلك محاولة واحدة في عام ١٩٧٨، عندما أطلق عليه أحد أفراد عائلة ماتسودا (عشيرة من الياكوزا منافسة كان قد أقسم على إنهاء ياماغوتشي غومي؛ بسبب وفاة أويابون) في منزل ومقر عائلة ياماغوتشي غومي.

ياماغوتشي غومي هي أقوى عصابة منظمة في اليابان. رمزهم هو دبوس على الشكل الهندسي «المعين» يرتدونه على طية صدر السترة الخاصة بهم. كما يتميزون بالأوشام، وكل وشم يعبر عن موقف رجولي أو جرائمي، فكثرتها تعني مقدار القوة التي تمتلكها إذا كنت واحدًا من أعضاء تلك العائلة.

في عام ١٩٨٠، عندما حاول ياماغوتشي غومي توسيع أراضيهم إلى هوكايدو، استقبلهم ٨٠٠ شخص من العصابات المحلية في مطار

سابورو اتحدوا لإبقاء ياماغوتشي غومي خارج منطقتهم. ما يقرب من ٢٠٠٠ من رجال شرطة مكافحة الشغب أبقوا المجموعتين منفصلتين. تم منع ياماغوتشي غومي من فتح مقرها الرئيسي في سابورو.

في يوليو ١٩٨١، عانى توكا، وتوفي بنوبة قلبية، منهيًا حكمه الذي دام ٣٥ عامًا بصفته أويابون، تم الاحتفال بوفاته على طقوس الياكوزا في أرقى أساليبهم.

ثم داهمت الشرطة منازل ومكاتب ياماغوتشي غومي في جميع أنحاء اليابان، واعتقلت ٩٠٠ عضو، ووجدوا لديهم بضائع مهربة غير قانونية مثل الأسلحة النارية والسيوف والأمفيتامينات وغيرها.

كانت جنازة توكا ضخمة بشكل مهيب حتى لتنخدع في شخص المتوفى، فيخيل لك أننا أمام رئيس دولة أو زعيم، حيث إن الجنازة ضمَّت أعضاء من نحو مائتي عصابة، ومغنيات وممثلين وموسيقيين، وحتى الشرطة الذين حضروا يرتدون ملابس مكافحة الشغب.

بعد وفاة توكا، كان خليفته والمرشح الأقوى لرئاسة ياماغوتشي هو الرجل الثاني في العائلة «ياكامين»، ومع ذلك، كان في السجن، ولم يكن من المقرر إطلاق سراحه حتى أواخر عام ١٩٨٢. خلال غيابه فوجئ الجميع (بما في ذلك الشرطة) لرؤية أن الزعيم المؤقت الجديد كان أرملة توكا وهي السيدة فاميكو، والتي قررت أن ترأس الياماغوتشي حتى خروج ياكامين من السجن، إلا أنه توفي بتليُّف الكبد قبل خروجه، وظلت فاميكو الأب الروحي لليماغوتشي لفترة، وكانت تلك هي المرة الأولى والأخيرة التي ترأس امرأة عائلة في الياكوزا أو مافيا بشكل أعم.

كانت الياماغوتشي تسيطر على أكثر من ٢٥٠٠ شركة، بالإضافة إلى لعب القمار وتحصيل القروض، واستثمرت بكثافة في الرياضة وغيرها من وسائل الترفيه، تحت حكم توكا مدة ٣٥ عامًا باعتباره الأويابون، لقد عملوا في ظل نفس الأنماط التي كانت موجودة في ياكوزا لأكثر

من ٣٠٠ عام، وهذا يعتمد بشكل أساسي على علاقة الأويابون- كوبون التي تتحكم في الإدارة اليومية للمافيا، كانت العائلة تحقق ربحًا يزيد على ٤٦٠ مليونًا سنويًّا. كان يحسد أسلوبهم الإداري من قبل منظمات مثل المافيا العالمية وجنرال موتورز وغيرهم.

كان لدى الياماغوتشي غومي أكثر من مائة من الرؤساء أو رتب مختلفة من أكثر من ٥٠٠ عصابة. كان أداء كل من هؤلاء الرؤساء جيدًا، حيث حقق أكثر من ١٣٠ ألف دولار سنويًا. يقوم رئيس العائلة بعمل ٤٣ ألف دولار شهريًّا (٣٦٠ ألف دولار سنويًا) بعد خصم ١٣ ألف دولار شهريًا؛ لتغطية نفقات الترفيه والمكتب، بالطبع، هذا يعتمد على عدد الجنود الذين كانوا تحت قيادته.

بدأت الياماغوتشي بعدها في التعامل مع تجارة المخدرات، وخاصة الأمفيتامينات. المجالات الأخرى التي تم اختيارها جلبت لها رأس مال مرتفعًا: جمع الأموال والتهريب والمواد الإباحية (المواد الإباحية الصلبة غير قانونية في اليابان). كانت ألعاب البيسبول المزيفة وسباقات الخيول ومزادات الممتلكات العامة مألوفة لدى ياكوزا. كما تم الاستيلاء على العقارات وقاعات الترفيه والمستشفيات والمدارس الإنجليزية من قبل الياكوزا.

خلال حكم فوميكو توكا، ارتفعت عضوية ياماغوتشي غومي إلى ١٣٣٤٦ عضوًا من ٥٨٧ عصابة بحلول نهاية عام ١٩٨٣. امتدت سيطرتهم إلى ٣٦ من ٤٧ محافظة يابانية. سيطر عليهم مجلس من ثمانية رؤساء رفيعي المستوى، تحت إشراف فوميكو توكا، وعلى الرغم من ذلك في عام ١٩٨٣، كان على العائلة اختيار عراب جديد..

Masahisa Takenaka أصبح هو العراب الجديد للياكوزا، حيث فضَّل الجميع أسلوبه القتالي على المرشح الثاني للياكوزا، والمسمى هيروشي ياماتوتو.

خسر هيروشي ياماتوتو مقعد العراب، وهذا ما أثار غضبه، فاستولى على ثلاثة عشر ألفًا من رجال الياماغوتشي، وأنشأ جماعة خاصة به أسماها إيتشيوا كاي، وبدأت حرب جديدة في الياكوزا.

في عام ١٩٨٥، ذبح قتلة إيتشيوا كاي، تاكيناكا، وخلقوا حرب عصابات دموية.

بعدها، أصبح العراب الجديد للياماغوتشي كوزو ناكانيشي، وأعلن الحرب على إيتشيوا كاي، تدخلت الشرطة واعتقلت ما يقرب من ألف من رجال العصابات وصادرت العديد من الأسلحة. كان ياماغوتشي غومي يائسة من الفوز في تلك الحرب الدموية الجديدة، لذا لجأوا إلى العمليات في الولايات المتحدة لتمويل حربهم. لقد حصلوا على العديد من الأسلحة غير القانونية للغاية، بما في ذلك قاذفات الصواريخ والمدافع الرشاشة، مقابل المخدرات، ولكن تم إلقاء القبض على المتآمرين، بمن فيهم ماساشي تاكيناكا، شقيق ماساهيسا، وهيدومي أودي، المراقب المالي للعائلة. تم إلقاء ياماغوتشي غومي مرة أخرى في حالة من الفوضى بعد كل تلك الأحداث الدامية.

في الأول من مارس ١٩٩٢، أقرت الحكومة اليابانية قانون منع الأنشطة غير القانونية من قبل أعضاء الياكوزا أو العصابات الإجرامية ككل، يعرف القانون باسم boryokudan، يعين هذا القانون المصطلح كمجموعة ذات أولوية معينة من العضوية ذات السجل الجنائي. كما تحدد المنظمات ذات النزعات العنيفة أو الإجرامية القوية.

يحظر القانون أساسًا على البوريكودانات تحقيق الأرباح المحققة من أشكال الابتزاز التي لم تتم تغطيتها في القوانين السابقة، أي مضارب الحماية.

يتجنب الياكوزا استخدام ذلك المصطلح لوصفهم، يعترضون على هذا الوصف، وغالبًا يتم هذا من خلال محاولة الاختباء وراء الشركات

الفعلية التي يستخدمونها كواجهات. كما نشروا كتابًا بعنوان «كيفية التهرب من القانون»، والذي تم توزيعه بين أعضاء ياماغوتشي غومي. في الواقع، يتم تسجيل ٧٧ عصابة تابعة للياماغوتشي غومي كمؤسسات أو منظمات دينية وهو ما يثير السخرية.

في مارس من عام ١٩٩٢، ثارت زوجات وبنات أعضاء الياكوزا؛ احتجاجًا على القوانين الجديدة، وصرح وفد رفيع المستوى من الياكوزا أنهم ليسوا أشرارًا حقًّا، وإنما تدعوهم قواعد الفروسية (على غرار البوشيدو، وطريقة المحارب) وقيم الساموراي إلى الدفاع عن مصالح أفراد المجتمع الأضعف، وسلوكهم يعبر عن قيمهم النبيلة، وليس عنفهم.

ومع ذلك، فقد ثبت أن هذه الحجج كانت خاطئة في نظر الجمهور، عندما نصب أعضاء ياكوزا كمينًا للمخرج السينمائي إيتامي جوزو وقاموا بطعنه؛ بسبب فيلم مناهض للأكاكوز بعنوان Minbo no Onna /A Woman Yakuza Fighter/ .، وعلق أحد المجرمين على ذلك الهجوم بالسلب، فتم العثور عليه فيما بعد مضروبًا بالرصاص في ساقه لما لم يكن له التحدث مطلقًا.

حتى الغرباء عن الياكوزا احتجُّوا على القوانين الجديدة ضدهم. أعلن أكثر من ١٣٠ من المحامين والأساتذة والوزراء المسيحيين أن تدابير الياكوزا المضادة غير دستورية، على أساس أنها تنتهك الحقوق الأساسية، مثل حرية التجمع واختيار المهنة وملكية الممتلكات.

في الواقع، حتى المواطنون العاديون يعارضون الياكوزا.

لم يكن مواطنو حي إبيتسوكا أحد أحياء هماماتسو الواقعون على بعد ١٣٠ ميلًا جنوب غرب طوكيو، يريدون نشاط ياكوزا في حيهم الهادئ. حيث كان ياكوزا يعملون على مبنى أخضر جديد تابع لهم، فسرعان ما أطلق عليه سكان الحي اسم بوراكو بيرو (المبنى الأسود).

قام المواطنون وقتها بمراقبة المترددين على ذلك المبني، ومن ثم بالتسجيل على شريط فيديو لكل من دخل وخرج من المبنى، مشيرين على وجه التحديد إلى من يرتدون بزّات براقة ونظارات داكنة وشعر قصير وتلميحات وشم على أذرعهم، أو الذين تكتمل فيهم صفات الياكوزا، ومن ثم إبلاغ السلطات.

انتقمت الياكوزا من المواطنين أشد انتقام جراء تلك الفعلة، فحطمت نوافذ ميكانيكي الجراج المحلي، وطعنت محامي البلدة في الرئة، وهاجمت ناشطًا آخر في الحلق.

الياكوزا عملوا في السياسة كما ذكرنا، شاركت دائمًا في السياسة والأعمال منذ البداية؛ فالياكوزا دائمًا متعطشة لمزيد من القوة والمال أينما وُجِدا.

الكَثير والكثير يقال عن الياكوزا أقوى عصابات آسيا بل والعالم، لا توجد ضدهم جرائم مثبتة أو تجارات محرمة معروفة، وإن كان الجميع على علم بأنشطتهم في مجال المخدرات والسلاح، كما أنهم ينشرون عن طريق الإعلام أنهم أصحاب خير وأعمال خيرية، حيث إنهم قد ساعدوا المواطنين خلال كوارث اليابان في التاريخ في النجاة والإيواء، ويقولون عن أنفسهم دائمًا إنهم يتمسكون بأخلاق الساموراي، إلا أنهم يتاجرون في كل شيء، المقامرة والمواد الإباحية، وكل شيء، مثلهم مثل أي مافيا في العالم متعطشون للأموال، يدافعون عن العائلة بالدماء والرصاص، يسببون الإرهاب في كل الأماكن التي قرروا فيها الظهور، وتكثر جرائم القتل والتفجير أينما وُجِدوا، ففي النهاية هم عصابات مخالفة للقوانين.

وبهذا يا حضرات السادة الكرام أنهي الجزء الخاص بي من البحث عن المافيا والجريمة المنظمة كما يسمونها، وأترك المجال لزميلنا الثالث؛ كي يأخذ هو الدفة لتكتمل اللوحة، كان معكم ماركو ميكائيل.

أشكركم جزيلًا.

تصفيق حاد.

أنهى «ماركو» خطبته المثيرة، والتي فاجأتني شخصيًا من إتقانها وإلمامها بالكثير من المعلومات عن المافيا اليابانية، ثم إنه ترك المنصة لـ«أبوطالب» وقد اختفت ابتسامته التي كان قد صعد بها في محاولة لاستفزازي، وقد تحولت إلى القلق، لا أدري ماذا أصابه بالضبط، لكنه كان قد تغيَّر لونه قليلًا، يبدو أنه غير معتاد على مواجهة الجمهور، أو لا يمتلك الشجاعة الكافية كما كان يوحي لنا من قبل.

حينها، صعد «أبوطالب» إلى المنصة، وتحسس عرقه، ثم شرع في الحديث..

المبحث الأخير
المافيا من صقلية
إلى الولايات المتحدة الأمريكية

بصوت: أبوطالب عبدي

أرحِّب بالجميع ممن حضروا؛ لكي يستمعوا إلى بحثنا المتواضع في جامعتنا المرموقة، والتي درس وتخرَّج فيها عظماء التاريخ، سار في أروقتها العديد من المشاهير والمفكرين والفلاسفة، وإني حظيت بشرف الدراسة في تلك الجامعة مثل كل هؤلاء، وأخصُّ بالشكر سيادة السيناتور -وأشار إلى شخص في مقدمة الحضور- الذي دائمًا ما كان داعمًا للعلم والتعليم في صقلية.

كي أبدأ في الاستهلال في الحديث، عليَّ أن أبدأ بتاريخ المافيا في صقلية، والذي لن أزيد عما ذكره صديقي «الحسين» في مستهل حديثه الطيب، وقد ذكر «الحسين» تساؤلًا مهمًا في بداية بحثه، لماذا المافيا؟ ولماذا صقلية؟

يقول القاضي الإيطالي الشهيد سيزار تيرانوفا عن المافيا كتعريف، والذي بالمناسبة قتلته المافيا العام ١٩٧٩م: «المافيا هي الاضطهاد، الغطرسة، الجشع، إثراء الذات، القوة والهيمنة فوق كل الآخرين. إنها ليست فكرة مجردة، أو حالة ذهنية، أو مصطلح أدبي.. إنها منظمة إجرامية تنظمها قواعد غير مكتوبة، ولكن حديدية لا ترحم.. يجب تدمير أسطورة «رجل شرف» شجاع وسخي؛ لأن المافيا هي عكس ذلك تمامًا».

يروي لنا القاضي «سيزار» كيف أن المافيا تمثل التناقض التام بين فكرة الجريمة المنظمة وبين الصورة التي يريدون فرضها على الجميع منذ نشأتها كحركة ثورية هنا في صقلية انتهاءً بالولايات المتحدة من قبل المهاجرين الإيطاليين هناك.

القاعدة العامة دائمًا هي الفوضى وفرض القوة، لا تضارب في المصالح أبدًا، من يعاند المافيا يأخذ الرشوة أو تنتهي حياته إلى الأبد برصاصة فضَّة كما لو كان مستذئبًا قادمًا من الأساطير القوطية القديمة، بالفعل تعامل المافيا مع «الأعداء» -على حد تسميتهم- بأنهم كلهم سواسية، عامل النظافة الذي يعترض طريق رجال الكارتل يُقتل، الحيوان الضال الذي يأكل من طبق مخصص لقط العراب يُقتل، رئيس الحكومة الذي يحاول دحر قوة المافيا هو الآخر يُقتل، هذه هي المافيا باختصار.

نأتي للسؤال الذي طرحناه في البداية، ما هي المافيا الصقلية؟

بينما يتم نشر الكثير من التكهنات -كحقيقة واقعة- بخصوص المافيا الصقلية، هناك الكثير من سوء الفهم حول الأصول التاريخية لهذا النوع من الجريمة المنظمة. حتى أصل الكلمة المافيا هي محل نقاش ساخن بين المختصين.

الكلمة نفسها ربما يكون لها جذور عربية. في العقود الأولى من القرن الثامن عشر، يمكن للمرء أن يسمع الكلمة الصقلية باعتبارها صفة تصف شيئًا ذا جودة عالية، على سبيل المثال un cavallo Mafioso والتي كانت تعني «حصان جيد»، دون الإشارة إلى مصطلح الجريمة المنظمة. لم يكن هناك حتى القرن التاسع عشر كلمة تعني الإجرام وحدها، ونحن هنا نتحدث عن المعنى المشار به إلى الجريمة المنظمة كما كانت موجودة أثناء بزوغها قبل أعوام طويلة من عام ١٩٠٠م والذي يعد البداية الحقيقية للمافيا الصقلية في العصر الحديث.

بغض النظر عن جذر الكلمة، فمن السخف ربط المافيا مباشرة بفترة صقلية العربية، أو أي ظاهرة في العصور الوسطى.

كمنظمة، نشأت المافيا في وقت ما بعد العام ١٧٠٠. فالقصص (بأثر رجعي) عن إنشائها خلال حرب صُلاة الصقلي أو كما يشار إليها Sicilian Vespers والتي تصورها كظاهرة في البداية كردّ فعل «ثوري» ضد الهيمنة «الأجنبية» أو الفرنسية، هي قصص خيالية تفتقر للصحة أو إلى أي أساس تاريخي، مجرد تكهنات.

ومع ذلك، فإن العديد من التطورات الاجتماعية التي حدثت في تلك الآونة في صقلية قد عززت تطور المافيا، وربما تؤثر على التنظيمات الشعبية السرية منها والعلنية إلى حد ما. نذكر على سبيل المثال، محاكم التفتيش، والتي كانت منتشرة في ربوع أوروبا الدينية، والتي تم إلغاؤها رسميًا في صقلية فقط في عام ١٧٨٢.

أو كما يذكر لنا التاريخ الصقلي التنظيم الأشهر المناهض لمحاكم التفتيش Beati Paoli، يعد بيتي باولي أفضل مثال معروف لمجتمع سري نشط -إلى درجة محدودة- ضد محاكم التفتيش. حتى لو كان بيتي باولي في الخيال أكثر من الواقع، فقد تكون أساطيرهم قد شجعت تطوير مجتمعات سرية أخرى، مثل المافيا.

بيتي باولي هو اسم طائفة سرية يُعتقد أنها كانت موجودة في صقلية في العصور الوسطى. تشبه الطائفة، كما وصفها المؤلف لويجي ناتولي في روايته التاريخية «ال بيتي باولي» (التي كُتبت كسلسلة تحت الاسم المستعار ويليام جالت في عام ١٩٠٩، ثم أعيد نشرها ككتب في عامي ١٩٢١ و١٩٤٩).

يصف لنا الكاتب ماهية بيتي باولي، فيقول إنهم فرسان يقاتلون من أجل الفقراء والعامة، وإذا ما تغاضينا عن كون الرواية من محض خيال المؤلف، إلا أن تاريخ صقلية يحمل بعض الأدلة على أن بيتي باولي كانت موجودة بالفعل، وليست مجرد روايات شعبية.

في العام ١٠٧١ م تم تقديم الإقطاع في صقلية من قبل الفاتح نورمان اللورد روجر الثاني دي هوتفيل، عندما بدأ النبلاء في استغلال حقوقهم الإقطاعية وقتها، حصلت محاكم التفتيش على موطئ قدم في صقلية.

وقد كان أي فعل من قبل عامة الناس يمكن أن تفسره الدولة أو الكنيسة على أنه أفعال خيانة أو بدعة كان يعاقب عليها بأقسى عقاب، ألا وهو الإعدام. يمكن أن تكون هذه الأعمال عبارة عن تجمعات غير مصرح بها أو تشكيل مجتمعي له أهداف خفية غير دعم النظام الحالي للدولة أو الكنيسة.

في هذه البيئة، ظهرت العديد من الطوائف، وإن كانت سرية. يزُعم أن بيتي باولي تشكلت لمعارضة الكنيسة والدولة على السواء؛ دفاعًا عن

عامة الشعب من الانتهاكات التي يشكلها النظام، كانوا يرتدون معاطف سوداء وأقنعة، ويجتمعون ليلًا من ملجأهم في بقايا سراديب الموتى والقنوات تحت الأرض في باليرمو.

يقال إن بيتي باولي قد تكوَّنت في منتصف القرن السابع عشر، كما أوحت لنا الرواية المذكورة، وأصل الاسم يرجعه البعض إلى سانت فرانسيس باولا أو بياتو باولا، والآن لدى صقلية شارع باسمهم في باليرمو هنا على بُعد بضعة أمتار من قاعة الجامعة التي اجتمعنا فيها اليوم.

إذا ما تحدثنا عن محاكم التفتيش وبيتي باولي، فيجب علينا ذكر التنظيم الأقوى في العالم وهو الماسونية، في خضم الحديث عن المنظمات التي ظهرت من قبلها المافيا في النهاية.

لم تكن الماسونية قوية للغاية في صقلية، على الرغم من أن الماسونية حتى تلك الأرستقراطية مثل counts Federico، لكنها كانت عاملًا مساعدًا في غزو غاريبالدي من صقلية عام ١٨٦٠. على الرغم من أن المافيا لم يكن لها أي صلة مباشرة بالماسونية، إلا أن الحركة قد تكون لها تأثير غير مباشر، حتى لو لم يكن نموذجًا.

ربما كان أحداث «صلاة صقلية» والتي تضمنت مؤامرة من Pro–Swabian والتي خطط لها جون بروسيدا، وعلى الرغم من أن القليل من أعضاء ومؤسسي المافيا «مافيوسي» في أوائل القرن الثامن عشر قد علموا وحضروا هذا الحدث التاريخي (الذي وقع عام ١٢٨٢)، فلا يوجد دليل على أي استمرارية مباشرة تقود من سياسات القرن الثالث عشر إلى أي شيء مثل المافيا.

ثقافة صقلية الاجتماعية نفسها غذَّت المافيا. الحسنات السياسية كانت طبيعية والفساد شائع. هكذا كان الابتزاز والحنث باليمين. حتى

يومنا هذا تعد التفضيلات أو الواسطة أو كما يقول الشعب الصقلّي Raccomandazioni هي القاعدة لأي شخص يبحث عن وظيفة في القطاع العام أو القطاع الخاص في أغلب الأحيان. لم تكن المافيا سببًا لمشاكل صقلية الاجتماعية بقدر ما هي انعكاس حقيقي لها.

غالبًا ما يلاحظ أن مناطق أخرى في جنوب إيطاليا لديها منظمات إجرامية مماثلة للمافيا. كامورا نابولي هي الأكثر شهرة، مثلها مثل المافيا، كانت تُنظّم في السابق على أساس خطوط جغرافية بدلًا من الخطوط العائلية. ومع ذلك فإن Ndrangheta في كالابريا القريبة تختلف عن المافيا من حيث إن تنظيمها عائلي في المقام الأول

في أوائل القرن التاسع عشر، أصبحت المافيا شبكة فضفاضة من العشائر الإجرامية التي تغطي الجزيرة بأكملها، ثم إنها خرجت إلى العالم في القرن العشرين.

قبل ذلك، كانت ظاهرة محلية، وإن كانت منتشرة على نطاق واسع، تحتوي على أكثر من نوع من الإجرام الريفي بدلًا من كونها منظمة محددة لها بنية متطورة للغاية وتسلسل هرمي.

كان «الكوبولا» مفهومًا مركزيًا قائمًا على «عمولة» الأمريكيين وقت وصولهم بعد الحرب العالمية الثانية. قبل كالغيرو فيزيني، الذي ظهر كشيء أقرب إلى زعيمه فقط بعد الحرب، وتوفي في عام ١٩٥٤، لم يكن للمافيا قمة مميزة في الإشراف على العديد من المافيا المحلية. ثم جاء مصطلح الكوبولا، وهو نوع من مجلس الحكم.

Calogero «Don Calò» Vizzini

ولمن لا يعلم، فقد كان هو رئيس المافيا الصقلية التاريخية من

فيلالبا في مقاطعة كالتانيسيتا، صقلية. كان يعتبر أحد أكثر زعماء المافيا نفوذًا وأسطوريةً في صقلية بعد الحرب العالمية الثانية حتى وفاته عام ١٩٥٤. في وسائل الإعلام، كان يُصوَّر غالبًا على أنه «رئيس الزعماء»، على الرغم من أن هذا المنصب غير موجود في هيكل فضفاض من كوسا نوسترا.

لقد كان النموذج الأصلي لـ«رجل الشرف» الأبوي للمافيا الريفية التي اختفت في الستينيات والسبعينيات. في تلك الأيام، كان ينظر إلى المافيا على أنها وسيط اجتماعي، ورجل يقف من أجل النظام والسلام. في المرحلة الأولى من حياته المهنية، استخدم العنف لتأسيس منصبه، لكن في المرحلة الثانية، حدَّ من اللجوء إلى العنف، وتحوَّل إلى مصادر الدخل القانونية بشكل أساسي، ومارس سلطته بطريقة منفتحة وشرعية، ولهذا يعد من أهم الشخصيات الرئيسية في تاريخ المافيا.

فيزيني هو الشخصية المحورية في تاريخ دعم المافيا المباشر لقوات الحلفاء خلال غزو صقلية في عام ١٩٤٣. بعد الحرب العالمية الثانية، أصبح تجسيدًا لاستعادة الكوسا نوسترا خلال احتلال الحلفاء واستعادة لاحقًا الديمقراطية بعد القمع تحت الحكم الفاشي. في البداية، دعم الحركة الانفصالية، لكنه غيَّر ولاءه للحزب الديمقراطي المسيحي، عندما أصبح من الواضح أن استقلال صقلية كان غير ممكن.

عندما توفي في عام ١٩٥٤، شارك الآلاف من الفلاحين الذين يرتدون ملابس سوداء، والمافيا رفيعة المستوى والسياسيين والكهنة في جنازته. صرحت المراسيم الجنائزية أن «مافياه» لم تكن إجرامية، لكنها كانت تدافع عن احترام القانون، والدفاع عن جميع الحقوق وعظمة الشخصية. لقد كانت الحب.

ومع ذلك، فإن صعود دون كالو إلى السلطة واستمراره في السلطة كان مرتبطًا بالابتزاز والعنف والقتل. ارتفعت مكانة فيزيني كقائد مافيا

قوي إلى أبعاد أسطورية، لكن المؤرخين في الآونة الأخيرة خففوا من قوته؛ لكونه زعيم مافيا ومجرمًا في النهاية.

كانت المافيا مدعومة من قبل النبلاء والكنيسة الكاثوليكية، بحلول القرن العشرين كانت المافيا تبتز الأموال من الأرستقراطيين، وبحلول نهاية القرن نفسه كانوا يقتلون الكهنة. يمكن للمرء أن يدعي أن بعض الأرستقراطيين ورجال الدين الأعلى، بما في ذلك بعض الأساقفة، تغاضوا عن تصرفات المافيا عندما كانت مناسبة، لكن التعميمات الشاملة غير مبررة. على سبيل المثال، عارضت إصلاحات الأراضي في عام ١٩٤٨ التي تقسم المناطق الريفية الكبيرة من قبل النبلاء الذين يمتلكون هذه العقارات، وعمل بعض أعضاء المافيا مع أصحاب الأراضي كمديرين للأراضي. حتى القرن العشرين، نادرًا ما اتخذت الكنيسة في إيطاليا موقفًا قويًا بشأن أي قضية اجتماعية «تقدمية».

لذلك تمت المصادقة والموافقة على شرعية الطلاق في البلاد فقط في عام ١٩٧٤. إذا كان هناك أي شيء، فيمكننا القول إن المافيا كان يتم تسهيلها في بعض الأحيان من قبل الفاسدين السياسيين الذين هم مثل معظم الإيطاليين، كانوا كاثوليك.

صحيح أن المافيا ازدهرت لفترة طويلة؛ لأن الكنيسة والطبقة الحاكمة فشلت في إدراكها كتهديد لنسيج المجتمع ذاته؛ لا تزال مضارب الحماية أو البيزو The pizzo وتجارة المخدرات تمارَس بشكل دوري، بالطبع، حيث تقوم المافيا بتحويل أرباحها غير المحققة إلى شركات مثل سلاسل السوبر ماركت وسلاسل الفنادق عبر صقلية وحتى في شمال إيطاليا. لكن الظاهرة التي ازدادت سوءًا في السنوات الأخيرة هي سرقة تمويل المفوضية الأوروبية على نطاق واسع الموجه، من حيث المبدأ، إلى التنمية الاقتصادية الصقلية. كانت الرشاوى والسرقة الصريحة من قبل السياسيين المتحالفين رسميًّا مع المافيا حقيقة من حقائق الحياة

في صقلية لفترة طويلة. تمتلك المافيا مراكز التسوق والمباني السكنية وشركات المقاولات التي تحصل على عقود عامة.

يبتزون مئات الملايين من اليورو كل عام؛ لشراء المزيد من هذه الأعمال والمشاريع المربحة، والتي تعتبر غطاءً لأعمالهم كلها. بالإضافة إلى السياسيين، يشارك العديد من المحامين والأطباء والمهندسين المعماريين مباشرة مع المافيا.

بالنظر إلى تأثير المافيا العميق على الحياة الصقلية، لا يمكن أن يكون تاريخ صقلية في القرن العشرين كاملًا أو دقيقًا دون ذكر الأخوة الصقلية الأكثر شهرة Sicilian fraternity.

من المأساوي أن المافيا (والفساد السياسي الشديد عمومًا) هما العامل الاجتماعي والاقتصادي الوحيد الذي يميز القاعدة الاقتصادية لصقلية عن تلك الموجودة في المناطق الأوروبية المتوسطية الأخرى مثل إسبانيا والبرتغال، على الرغم من أنه يبدو أن اليونان تعاني أيضًا من بعض المشكلات الخطيرة المتعلقة بالإنفاق العام والفساد.

إنها واحدة من أكثر المنظمات الإجرامية دائمًا في العالم، وأحد أخطر المشكلات الاجتماعية التي تواجه صقلية اليوم في الآونة الأخيرة، فقد قُتِل القضاة والكهنة والأطفال، على الرغم من قبضتها المتزايدة على الاقتصاد القانوني (العقود العامة والمتاجر والمطاعم).

أن تسلسلها الهرمي والعامية هو انعكاس للمجتمع الصقلي نفسه، مكتمل بالتلميحات الدينية: مجلسه الحاكم هو «كوبولا»، ميشيل غريكو، الملقب بـ«البوب»، «زعيم» العشائر والعائلات. ولكن، مثل النبلاء، المافيا غير مرئية. ربما لن ترى ذلك إذا زرت صقلية. ربما لن ترى العديد من آثاره، ما لم تنظر عن كثب. أولئك الذين يفترضون أن أهل صقلية اليوم لا يفكرون في المافيا مخطئون بشدة.

قامت المنظمات المناهضة للمافيا، على سبيل المثال Addio Pizzo

بالكثير؛ لتشجيع التجار وأصحاب الأعمال الآخرين على الوقوف ضد المافيا، ولكن لا يزال هناك الكثير من العمل الذي يتعين القيام به.

Omicidio del giudice Cesare Terranova
Il pm chiede 10 ergastoli per la Cupola

إن التصور الشائع عن المافيا على أنهم يشبهون البطل الأسطوري الإنجليزي «روبن هود» أو حتى كونهم من «الفرسان» لهو تصور مضلل، لكنه يستند إلى انعدام الثقة العام بالسلطة -وحتى وقت قريب جدًّا- بسبب التراخي التاريخي لإنفاذ القانون في حماية المواطنين. لقد تحسَّن هذا الوضع إلى حد ما في السنوات الأخيرة، لكنه لا يزال مستمرًا بين الطبقة السفلية الكبيرة في صقلية. من كونهم يعملون تحت مسمى «أصدقاء الأصدقاء».

أصبحت المافيا الأكثر أهمية تُعرف باسم «رجال الشرف». في الحقيقة، رمز المافيا هو نقيض رمز الفروسية -أو في أفضل الأحوال تفسير غريب له- خلقت الطبيعة العشائرية للصقلية (الزيجات التي يرتبها الآباء في القرن العشرين) مناخًا مناسبًا للمافيا memorialOmertà والتي تعني حرفيًا «الرجولة»، وتشير إلى فكرة قيام رجل بحل مشاكله الخاصة، لكن المصطلح أصبح متناسقًا مع مدونة صمت المافيا.

المبارزة، ومع ذلك، أفسحت المجال للثأر والقتل العمد. لا يوجد سجل تاريخي يمكن الاعتماد عليه لمبارزات وحروب بين المافيا وبعضها، ولكن كان هناك الكثير من عمليات القتل؛ نظرًا لكونها مجتمعًا سريًا منغلقًا على نفسه.

وصفت المسرحية الشهيرة I Mafiusi della Vicaria والتي قُدِّمت لأول مرة في عام ١٨٦٣، المافيا بأنها منظمة كاملة تمتلك طقوسًا خاصة بها، على الرغم من أن تفسير المؤرخ الشعبي جوزيبي بيتري لتاريخ المافيا تم خصمه إلى حد كبير على أنه غريب الأطوار أو منمق للغاية. بحلول عام ١٩٠٠، تم تحديد «اليد السوداء» مع «أصدقاء الأصدقاء». كانت واحدة واحدة، وكان لكل بلدة (أو حي المدينة) كابو المقيم (رئيس). عندما وصل الفاشيون إلى السلطة، ألقى «المحافظ الجديد» لموسوليني «سيزار موري» معظمهم في السجن. في الواقع، كانت العلاقة بين الفاشيين والمافيا هي علاقة مجموعة من المجرمين بحربهم ضد الآخر، ذئاب تقاتلان على نفس قن الدجاج.

قد يكون التعاون في زمن الحرب بين سلفاتوري لوسيانو مع البحرية الأمريكية بعد غزو الحلفاء لصقلية أكثر سلاسة، مما كان يمكن أن يحدث، لكن لا يوجد دليل على أن الصقليين في عام ١٩٤٣ كانوا أقل ترحيبًا للحلفاء من سكان بيدمونت ولومبارديا بعد عامين. كان تأثير لوسيانو الحقيقي في ميناء نيويورك.

من المؤكد أن التطبيق الحديدي الإجباري لقوانين دوس قد جعل معظم المافيا متعاطفين مع القضية الأمريكية، أو على الأقل معادية للقضية الفاشية. أوضح استسلام الآلاف من القوات الإيطالية في بانتيليريا، دون مقاومة رمزية، قبل وقت قصير من الهجوم الرئيسي على صقلية، أن معظم المجندين الإيطاليين كانوا غير مستعدين للمخاطرة بحياتهم من أجل قضية خاسرة، أو لأي سبب.

في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية مباشرة، عندما بدأت المافيا مهمة إعادة تنظيم أنشطتها بدعم من الحلفاء الذين صنعوا كالوجيرو فيزيني، ووضعوا رؤساء بلديات مؤقتين، قد كونت عدة عصابات مستقلة في الريف.

الأكثر شعبية منهم كانت سالفاتوري جوليانو، التي أمست الأقرب إلى صورة روبن هود الحديثة من حيث نصرة المظلومين والمناداة بالثورة... إلخ، ودعمت حركة انفصالية تنادي بصقلية مستقلة، ربما إذا كانت الولايات المتحدة هي من في الصورة. فلربما كان رجل مثل جوليانو لم يكن ليصل أبدًا لمكانته في مجتمع المافيا. في الواقع، الولايات المتحدة خافت من المافيا، ومن نفوذها وانتشارها.

بعد وفاة فيزيني عام ١٩٥٤م، انزلقت المافيا إلى ذلك الطريق الذي سخرت منه مافيا صقلية فيما بعد كـ«العصابات الإجرامية»، وهو أسلوب أمريكي متهور معروف في الجريمة.

في العام ١٩٥٧، أعادت المافيا الصقلية إقامة علاقات مع إخوانهم المهاجرين في الولايات المتحدة وكندا. كان محظوظًا لوسيانو، من بين جميع الناس، الذين دبروا التحالف. على عكس جيله، كان «رجال الشرف» الصقليون أناسًا غير متآلفين لم يقدموا على أي ذريعة على الإطلاق؛ لكونهم متحضرين.

لكن بشكل عام، كان فيزيني يحتفظ بظاهر اللطف على عكس ما كانت حقيقتهم الإجرامية تتحدث، لكنهم احتفظوا بالشكل الظاهري، إلا أن الوافدين الجدد بعد وفاة فيزيني Giuseppe Genco Russo و Michele Greco وLuciano Leggio وغيرهم، اتجهوا إلى الجريمة والقتل، بحلول سبعينيات القرن العشرين، حتى النساء والأطفال لم يسلموا من المذبحة.

في حين أن أعمال البناء والعقارات التابعة للمافيا كانت مسيطرة وطاغية على ذلك المجال، والذي كان يدمر المواقع التاريخية الشهيرة، وكانت أيضًا تسيطر على قطاعات واسعة من الاقتصاد الاستهلاكي مثل (تجارة اللحوم، على سبيل المثال) وطور تجارة المخدرات الناجحة للهيروين، فإن مبدأ البيزو The pizzo أو (الابتزاز من خلال «أموال الحماية») ظلت حجر الزاوية في نظام المافيا؛ لتوليد الإيرادات، يومًا بعد يوم، سنة بعد سنة.

ونظرًا لعدم وجود قوانين ضد الجريمة المنظمة يطبق بشكل رسمي، فقد تمت مقاضاة أشخاص مثل الناشط الاجتماعي دانيلو دولتشي بتهمة «التشهير» بالأشخاص الذين صرحوا علنًا بأنهم مافيا، والذين كانوا في الواقع من أعضاء المافيا، لكن نفوذهم حال دون ذلك.

خلال الستينيات من القرن الماضي، بدأت الكوبولا الصقلية و«اللجنة» الأمريكية تتعاونان بجدية في تجارة المخدرات، على الرغم من شعورهم الصريح بأن الهيروين والكوكايين كانا من المنتجات الأقل «احترامًا» من الابتزاز والقتل. كان الفصيل الصقلي لا يزال أكثر قسوة من نظيره الأمريكي، وغالبًا ما يلجأ إلى قتل القضاة وغيرهم من الموظفين العموميين، وكذلك الصحفيين، الذين اعتبروا أنشطتهم غير مريحة.

تم تسمية مطار Falcone–Borsellino في باليرمو على اسم اثنين من هؤلاء القضاة، وهناك نصب تذكاري في ساحة ١٣ فيتيمي (١٣ ضحية)، في نهاية شارع باليرمو فيا كافور، المكرس لذكرى الأشخاص الذين قُتِلوا على يد المافيا.

The infamous Michele Greco behind bars in Palermo

في مدن صقلية الكبرى بعد الحرب، اخترقت المافيا تدريجيًّا أعمال البناء، واشترت طريقها إلى معظم الوكالات الحكومية. لماذا تمتلئ مناطق باليرمو الأحدث بالمباني القبيحة، ولكنها تفتقر إلى الحدائق الخضراء وأماكن وقوف السيارات الفعالة؟ لأن التخطيط الحضري تم بواسطة مجرمي المافيا الصقلية.

قامت المافيا، وإن كانت بشكل غير مباشر في كثير من الأحيان، ببناء ما يقرب من نصف مدينة باليرمو «الجديدة»، حيث باع العديد من المسئولين الفاسدين حرفيًّا تصاريح البناء لرجال جبهة المافيا. وظهرت حالة مماثلة في كاتانيا. بَنَت المافيا (وما زالت تعمل بشكل غير مباشر) عددًا من الفنادق الكبرى في صقلية.

الكنيسة الكاثوليكية لم تساعد دائمًا في الأمور. بعض الكهنة يتكلمون الآن ضد المافيا (رغم أن قساوسة كورليون، معقل المافيا تقليديًّا، لم يكونوا من بينهم عادة)، وقُتِل رجل دين واحد على الأقل؛ بسبب قيامه بذلك. في ستينيات القرن العشرين، أصدر رئيس أساقفة باليرمو الكاردينال بيانًا مفاده أن المافيا لم تكن موجودة أبدًا، وأن المؤلف جوزيبي دي لامبيدوزا، إلى جانب دانيلو دولتشي، قاما بتشهير الصقليين من خلال الإشارة إلى أن معظم الصقليين الغربيين كانوا سرِّيي الطبيعة أو العادة، وأن المافيا موجودة بالفعل.

كيف تعيش هذه المنظمة في القرن الحادي والعشرين؟ لتفسير تلك المعضلة علينا أن ندرك أن لها علاقة بالعوامل الاجتماعية؛ أشياء مثل البطالة المرتفعة، وانعدام الثقة على نطاق واسع في اختصاص سلطات إنفاذ القانون، وعدم ثقة الدولة.

لكن السرية العامة للأشخاص هي واحدة من الأسباب الرئيسية للجريمة المنظمة التي لا تزال قوية للغاية في الجنوب الإيطالي، حيث يبدو أن القوم العاديين يشككون حتى في أكثر القوى الاجتماعية العادية.

تستند الروح الإيطالية إلى حقائق الحياة اليومية؛ يفترض الإيطاليون أن قادتهم المنتخبين هم لصوص بدافع الجشع. يفترض رجال الأعمال أن الزملاء سوف يسرقون في أول فرصة. تفترض النقابات العمالية أن أصحاب العمل سوف يسعون لاستغلال الموظفين كلما أمكن ذلك. يفترض الزوجان أن الخيانة الزوجية هي ببساطة مسألة ذات طبيعة إنسانية، وحتى إنه يتم استخدام كلمة لوصف تلك الحالة، مثل cornuto، في وصف الزوج الديوث.

كما قلنا، يتم التحكم في جزء كبير من بعض القطاعات الاقتصادية (الفنادق، النقل، محلات السوبر ماركت، البناء) بواسطة المافيا، في أرض لا توجد فيها قاعدة صناعية ملموسة، فإن الأموال العامة هي

الهدف الرئيسي للمافيا.

كلٌّ له سعره. يمكن شراء معظم السياسيين (اليسار واليمين)، وينطبق الشيء نفسه على مديري معظم البنوك الكبرى والمرافق. في صقلية، يتم بيع العديد من الوظائف العامة أو شبه العامة (إن لم يكن معظمها) مقابل المال أو -في حالات نادرة- ممارسة الجنس. (امرأة شابة جذابة، متعلمة، ولكنها عاطلة عن العمل، هي فريسة سهلة في منطقة بها معدل بطالة دائم قدره ٣٠٪). يتم تعيين العقود العامة -تباع بالفعل- في مقابل رشاوى وراء رشاوى. يتوقع الجميع رشوة كبيرة (عادة ما لا يقل عن ١٠٪).

في الأعمال التجارية، غسل الأموال هو أسلوب حياة. كل ذلك جزء من «المافيا الجديدة». في مثل هذا المناخ، ما زالت البيزو (أموال الحماية) والإيرادات من خلال الأعمال المشروعة التي تم إنشاؤها بأموال المافيا مهمة ولها سوقها ولا تتوقف أبدًا.

في ظل هذه الخلفية، يفهم المرء بسهولة أن المافيا ليست دائمًا السبب الرئيسي للجريمة المنظمة في صقلية. في كثير من الأحيان، هو عرض بسيط للفساد الذي يتخلل تقريبًا كل جانب من جوانب الحياة العامة والمهنية في صقلية. يولد فساد جديد كل يوم: في السنوات الأخيرة، قام بعض السياسيين المحليين الذين تحدثوا ضد المافيا بشراء قطاعات كبيرة من المنطقة التاريخية باليرمو سرًّا من خلال الشركات الأمامية (لم تكن هناك مزادات علنية)، ومنح وظائف «استشارية» جيدة الأجر لأصدقائهم وعائلاتهم.

Mafiosità لفظة يطلقها الصقليون لها معنى، ومعناها الحرفي «عقلية تشبه المافيا»، وهي منتشرة جدًّا في الحياة الصقلية، لا سيما بين السياسيين ورجال الأعمال. هذا لا يعني دائمًا أن شخصًا ما منضم إلى المافيا، بل تعني أنه يتصرف مثل المافيا.

Mafiosetta لفظة أخرى خاصة بالصقالبة، تخص كلًّا من المحسوبية والإفراط في استخدام «التوصيات» لتعيين المراد تعيينه، بدءًا من عقود البناء العامة إلى الوظائف الكتابية، والتي ساعدت على تعزيز الفساد على نطاق واسع، وبالتالي تعتبر نوعًا من الجريمة المنظمة. الرشوة والعمولات (الكلمة الإيطالية هي بوستاريلا بالنسبة للمغلف، بوستا، حيث يتم دفع المال) هي طبيعة في الحياة الصقلية.

مليارات الدولارات التي أنفقها البنك الدولي والولايات المتحدة والمفوضية الأوروبية والحكومة الإيطالية المركزية على الاقتصاد الصقلي انتهى بها الأمر إلى أيدي السياسيين والمستشارين الفاسدين، وغيرهم ممن كانوا على صلة بالمافيا في بطريقة أو بأخرى.

في كثير من الحالات، فإن أطفال أو أحفاد المافيا، والمتعاونين مع المافيا الذين سرقوا الأموال المخصصة للتنمية الصقلية في إطار خطة مارشال قبل عقود هم الآن مواطنون «محترمون» لم يربطهم أحد بالجريمة المنظمة. وبعبارة أخرى، أصبحت الأسر شرعية.

بالنسبة للعديد من الصقليين، تعتبر الثروة غاية في حد ذاتها؛ الأساليب المستخدمة لاكتسابها ليست ذات أهمية تذكر طالما أن الجرائم السيئة تمر دون عقاب. ليس سرًّا أن نظام العدالة الجنائية لا يعمل بشكل جيد في إيطاليا. وحيث لا يوجد قانون، ليس هناك خطيئة.

لا يقتصر بيع الوظائف على البنوك والشركات الوطنية (الاتصالات والطاقة وشركات الطيران) والإدارة العامة. حتى التسعينيات، كانت الترقيات العسكرية في إيطاليا (في الكاربينيري والجيش) للعقيد أو العام تستند في الغالب على رشاوى تساوي نحو ٢٠ ألف يورو، مرتبطة بـ«توصية» بالطبع. وبالتالي عدم وجود هيبة تعلق على تلك الرتب العسكرية.

كل الأشياء في الاعتبار، فلا عجب أن الاقتصاد الصقلي هو كارثة.

إنه أمر محرج إلى حد ما عندما يتم إنشاء أول وحدة زراعة أعضاء على نطاق واسع في صقلية فقط في أواخر التسعينيات، ثم بمساعدة مستشفى أمريكي؛ هذا يجعل صقلية تبدو وكأنها دولة متخلفة.

ومما يدعو للسخرية، أنه من الممتع رؤية الطريقة الخادعة التي يخفي المسئولون فيها في كثير من الأحيان جهودهم لاستغلال الوضع الراهن من خلال دعم حملات التوعية الجماهيرية التي لا معنى لها «ضد المافيا» أثناء سرقة الأموال العامة.

للأسف، تواصل المفوضية الأوروبية والحكومة الإيطالية المركزية دعم العديد من مشاريع «التنمية» المزعومة في صقلية، وينتج القليل منها عن ثروة غير خاضعة للضريبة لمديري المشاريع. في الواقع، أنتجت هذه الظاهرة صناعة بأكملها حيث يتدافع السياسيون وأصدقاؤهم لاقتراح مشاريع بميزانيات ضخمة للغاية. في الثمانينيات من القرن الماضي، وُلِدت مهنة جديدة، هي مهنة البروجيستا. يشير المصطلح إلى «استشاري المشروع» الذي يسعى للحصول على أموال من المفوضية الأوروبية نيابةً عن بلدة أو جمعية أو وكالة حكومية (من المفترض أنها تفتقر إلى موظفين مختصين بمعرفة كيفية إدارة الأموال العامة بكفاءة، كما لو كان فنًّا مقصور على فئة معينة)، ثم تنفق هذه الأموال، واتخاذ عمولة كبيرة لنفسه وجماعته. بالنسبة للعديد من الصقليين، فإن البروجيستا هم مافيا جديدة، أو ربما بارونات جديدة. بالنظر إلى الاستثمارات الضخمة التي ينطوي عليها الأمر، فإن النتائج الملموسة قليلة للغاية، بصرف النظر عن منازل العطلات باهظة الثمن لمسئولي المشروع أنفسهم. لا يسع المرء إلا أن يستنتج أن البروجستيين الصقليين وأنصار المافيا أو السياسيين الصقليين قد تسللوا بطريقة أو بأخرى إلى عناصر المفوضية الأوروبية في بروكسل. إنه طريق طويل من سرقة الماشية في الجبال.

مناقشتنا تركز على المافيا في صقلية. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنه خارج إيطاليا، كانت المافيا وذريتها موضوعًا لكل أشكال الشهرة التي يحملها المجتمع الحديث في ترسانته السينمائية المتطورة. الأفلام الأولى التي تصور المافيا بشكل جذاب لم تُصنع في إيطاليا، بل في الولايات المتحدة، حيث قدَّم مؤلفون مثل الراحل ماريو بوزو المافيا الأمريكية كأرستقراطيين مزيفين. إنها صورة لا تزال مدعومة بالتصوير التلفزيوني والسينمائي على الرغم من حقيقة أن المافيا الأمريكية، إذا كانت مطابقة فعلًا تمامًا لهذه الصور النمطية، قد طغت عليها في بلدها منظمات إجرامية من أمريكا الجنوبية والشرق الأقصى وروسيا.

في إيطاليا، تعرض أفلام مثل I Grimaldi لتمثل الصورة السينمائية اللامعة للنسخة المحلية من المافيا القائمة على النموذج الأمريكي، مع الكثير من المنازل الفخمة والسيارات الفاخرة والأشخاص الجذابين (استخدامهم لاسم السلالة الحاكمة لموناكو التي تربط ضمنيًّا المافيا بالملوك). هذه صورة تتناقض بشكل حاد مع الواقع الذي نراه في نشرات الأخبار المسائية؛ من الرجل القبيح الممتلئ مع زوجات غير جذابات وسيارات عادية، ويعيشون تحت الأرض كالأطفال، على الرغم من ثرواتهم.

عندما قُبض أخيرًا على برناردو بروفنزانو، رئيس المافيا، كان يعيش في قبو مؤقت خارج موطنه الأصلي كورليون.

على الجانب الآخر من المحيط، تنتقد العديد من المنظمات الثقافية الإيطالية الأمريكية الصورة السينمائية المستمرة باعتبارها لا تقل عن التعصب، مستشهدةً بالإحصائية (الدقيقة) التي تشير إلى أن أقل من واحد في المائة من الإيطاليين الأمريكيين هم في المافيا. عدد قليل من هذه المنظمات، مرددًا الموقف الرسمي الذي يحتله مكتب التحقيقات الفيدرالي حتى ١٩٧٠، نفى وجود المافيا حتى ذكرها في

القضايا الجنائية في المحاكم الفيدرالية في ١٩٨٠، حتى ذلك الحين، كسبت جماعات الضغط المناهضة للتشهير بعض النتائج المعزولة وغير المتوقعة؛ كان من الغريب سماع إشارات موجهة عن النقابة أو العائلة الخاصة بالمافيا في المسلسلات التلفزيونية الأمريكية، عندما عرف الجميع من السياق أن الشخصيات كانت تشير إلى المافيا، والتي عادة ما يشار إليها باسم المافيا الأمريكية أو «أعمالنا» أو «الخاصة بنا».

يضحك الصقليون على الأسطورة الإيطالية الأمريكية الساحرة القائلة بأن «المافيا غير موجودة»، على الرغم من أنهم موجودون يقاسون منهم يوميًّا، لكنهم يستمتعون أيضًا بالسوبرانوس الـGoodfellas.

لسوء الحظ، أضافت العوامل الثقافية في بعض الأحيان إلى الالتباس. بالنسبة للغرباء، بدا أن رودولف جولياني وجون جوتي من سكان نيويورك يمثلان وجهين متعارضين لعملة واحدة

ما زال الجانب السلبي من هذه العملة يناشد بعض المتحدرين من أصل إيطالي في أمريكا بحثًا عن هوية ثقافية يسهل اكتسابها، ويسمى عندها غيدو.

من المعروف أن استئجار ثلاثية العراب في متجر نوادي الفيديو لهو أسهل من قراءة كوميديا دانتي الإلهية، في إيطاليا، يخلق العنصر الثقافي عددًا أقل من التعقيدات. يدرك الإيطاليون أن المافيا اليوم مستمدة من أدنى طبقة اجتماعية، ولا أحد خارج تلك الطبقة الاجتماعية (الكبيرة إلى حد ما) يطمح إلى أن يصبح مافيا. لكن التعاون مع المافيا قصة أخرى.

من المستحيل فصل المافيا عن الفساد السياسي الصقلي اليوم. في الواقع، هذا الجانب من الحياة الصقلية هو الذي يسمح لبقاء المافيا.

وقد ميزت القدرة على التكيف دائمًا المافيا طيلة أيام وجودها وظهورها. والآن بعد أن أصبح تهريب الهيروين عابرًا، تسللت المنظمة

إلى أجزاء كثيرة من الاقتصاد الشرعي. هذا أكثر من مجرد غسل أموال. رجال جبهة المافيا (غالبًا ما يكونون شركاء في سجلات إجرامية غير ملوثين) قد أقاموا كل شيء من محلات السوبر ماركت ومراكز التسوق إلى المتاجر التي تبيع أجهزة الكمبيوتر والهواتف المحمولة. هذه الشركات -مصدر دخل في حد ذاتها- تغذي المافيا. هكذا تفعل المراهنات وصالونات البنغو.

شهدت الثمانينيات تعاونًا دوليًا أكبر في قضايا المافيا، خاصة بين الحكومتين الإيطالية والأمريكية. الحكومة الإيطالية أقرَّت قانونًا ضد المافيا أسمته associazione mafiosa، والتي تتشابه آثارها مع آثار قوانين ريكو الأمريكية، على عكس الأمريكيين، يشير الإيطاليون إلى «الجريمة المنظمة» ليس من أجل تعبير ملطف، ولكن بسبب وجود العديد من المنظمات الإجرامية المستقلة في إيطاليا.

يتم سجن أعضاء المافيا أحيانًا، وبشكل دوري (إن لم يكن بشكل روتيني إلى حد ما)، وتكون الأحكام قاسية بالنسبة للجناة الأسوأ. بدأت بعض المافيا المحتجزة في تحويل أدلة الدولة والحديث عن الأعضاء والشركاء إلى السلطات، مخترقةً مبدأ الصمت لكشف شركائهم. ومن الرجال الذين تم كشفهم الأكثر شهرة هم Tommaso Buscetta.

في الحقيقة لا يوجد في إيطاليا عقوبة الإعدام، واليساريون يرغبون في جعل عقوبة «السجن مدى الحياة» غير قانونية. على الرغم من القوانين المتعلقة بتنظيم المافيا، فإن عبء الإثبات القانوني المطلوب للإدانة مرتفع للغاية لسوء الحظ.

في حين أنه من السهل في بعض الأحيان مصادرة سلسلة من محلات السوبر ماركت أو حتى عيادة مملوكة من قبل المافيا (نعم، هم في مجال الرعاية الصحية أيضًا)، فإن المسائل المتعلقة بالرشوة والفساد في الحياة العامة أكثر صعوبة.

العديد من المسئولين الصقليين على مر التاريخ، بمن فيهم القاضي جوزيبي فالكون، وباولو بورسيلينو، ضحوا بحياتهم في الحرب ضد المافيا. بعض السياسيين البارزين في صقلية قد يجعلوننا نعتقد أن المافيا قد انقرضت تقريبًا. (ربما أولئك الذين يروجون لمثل هذا الخيال يشاركون في ذلك مع المافيا بطريقة أو بأخرى) إن تقارير زوالها المبكر مبالغ فيها إلى حد كبير.

هذا هو تاريخ وحال المافيا في صقلية منذ الوجود والنشأة وحتى الازدهار والوصول، ولكن كان هذا في التاريخ في صقلية وإيطاليا،

بل وسائر أوروبا، فكيف إذن وصلت المافيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية؟ وكيف نشأت وتطورت؟

تعود أول رواية منشورة عن شكل المافيا في الولايات المتحدة إلى ربيع عام ١٨٦٩. ذكرت صحيفة «نيو أورليانز تايمز» أن الحي الثاني في المدينة قد تم اجتياحه من قبل «قتلة صقليين مشهورين بسوء السمعة، ومزيفين ولصوص، في الشهر الماضي، شكلت نوعًا من شراكة عامة أو شركة مساهمة للنهب والاضطراب في المدينة».

كانت حركات الهجرة من جنوب إيطاليا إلى الأمريكيتين في المقام الأول إلى البرازيل والأرجنتين، وكان لدى نيو أورليانز عدد كبير من حركة الموانئ من وإلى كلا الموقعين، وقد كانت هجرات الصقليين إلى الولايات المتحدة في خضم الحروب الأهلية التي أصابت إيطاليا، بالإضافة إلى ظروف المعيشة الضعيفة والاحتلال الأجنبي هي السبب الرئيسي في صعود كتلة المهاجرين الإيطاليين، والذين سوف يكونون هم حجر الأساس لتكوين المافيا في الولايات المتحدة الأمريكية.

أصبحت مجموعات المافيا في الولايات المتحدة مؤثرة في منطقة مدينة نيويورك أولًا، ثم انتقلت تدريجيًا من العمليات في الأحياء الصغيرة مثل الأحياء اليهودية الإيطالية الفقيرة إلى المنظمات في جميع أنحاء المدينة، وفي نهاية المطاف إلى المنظمات الوطنية الكبيرة.

كان «اليد السوداء» اسمًا يطلق على طريقة الابتزاز المعروفة للمافيا المستخدمة في الأحياء الإيطالية في نهاية القرن العشرين. لقد كان مخطئًا في بعض الأحيان للمافيا نفسها، وهي ليست كذلك. كان «اليد السوداء» مجتمعًا إجراميًّا، ولكن كان هناك العديد من عصابات اليد السوداء الصغيرة. غالبًا ما كان يُنظر إلى طريقة ابتزاز اليد السوداء كنشاط لمنظمة واحدة؛ لأن مجرمي اليد السوداء في المجتمعات الإيطالية في جميع أنحاء الولايات المتحدة استخدموا نفس أساليب الابتزاز، على

الرغم من تعداد أنواعهم وعصاباتهم.

كان جوزيبي موريلو أول عضو مافيا معروف يهاجر إلى الولايات المتحدة، هرب هو وستة صقالبة آخرين إلى نيويورك، بعد أن قتل أحد عشر من مالكي الأراضي الأثرياء، والمستشار ونائب مستشار مقاطعة صقلية، تم اعتقاله في نيو أورليانز في عام ١٨٨١، وتم تسليمه إلى إيطاليا.

كانت نيو أورليانز أيضًا هي موقع أول حادثة للمافيا المحتملة في الولايات المتحدة، والتي حظيت باهتمام وطني ودولي كبير وقتها، في الخامس عشر من أكتوبر لعام ١٨٩٠، قُتل مدير شرطة نيو أورليانز ديفيد هينيسي بأسلوب الاغتيال الشهير للمافيا، لا يزال من غير الواضح ما إذا كان المهاجرون الإيطاليون قد قتلوه بالفعل، أو ما إذا كان إطارًا من قِبَل الموالين للقتال ضد المهاجرين من الطبقة الدنيا المظلمة.

قُبض على مئات الصقليين بتهم لا أساس لها من الصحة، وتم توجيه الاتهام في النهاية إلى تسعة عشر شخصًا بتهمة القتل. وكانت البراءة للمتهمين هي نهاية المطاف مع شائعات عن رشوة الشهود وتخويفهم.

في الرابع عشر من مارس لعام ١٨٩١، ثار المواطنون الغاضبون في نيو أورليانز على تلك المجموعة من العصابات التسعة عشر بعد تبرئتهم أجمعين، وشرعوا في قتل أحد عشر من المتهمين التسعة عشر. أعدم اثنان شنقًا، وأصيب تسعة بالرصاص، وهرب الثمانية الباقون.

من عام ١٨٩٠ إلى عام ١٩٢٠ في مدينة نيويورك، كانت عصابة فايف بوينتس، التي أسسها بول كيلي، قوية للغاية في ليتل إيطالي في الجانب الشرقي الأدنى. جند بول كيلي بعض الأعضاء من المجرمين في الشوارع، والذين أصبحوا فيما بعدُ من أشهر زعماء الجريمة في القرن العشرين مثل جوني توريو، آل كابوني، لاكي لوسيانو، وفرانكي

ييل. كانوا في كثير من الأحيان في صراع مع اليهود في نفس المنطقة. كانت هناك أيضًا عائلة مافيا مؤثرة في شرق هارلم. كما كانت نابولي كامورا نشطة للغاية في بروكلين. في شيكاغو، كان الجناح التاسع عشر في الحي الإيطالي هناك، والذي أصبح يُعرف باسم The Bloody Nineteenth؛ نظرًا للعنف المتكرر في ذلك الجناح، معظمه نتيجة لنشاط المافيا والقتال والثأر وخلافه.

وبعد كثرة عمليات القتل والتصفية والاغتيالات إلى جانب انتشار الجريمة بشكل موسع في تلك المقاطعات من قبل المهاجرين الإيطاليين، ولما كان من شهرة المافيا الأمريكية في ذلك الوقت بعمليات تهريب الخمر، بدأ عصر أسموه عصر الحظر.

ففي السابع عشر من يناير لعام ١٩٢٠، بدأ الحظر في الولايات المتحدة بالتعديل الثامن عشر لدستور الولايات المتحدة الذي جعل تصنيع أو نقل أو بيع الكحول غير قانوني.

على الرغم من عمليات الحظر هذه، استمر الطلب الكبير على مهربات المافيا من الكحول من الشعب الأمريكي، الذي وجد في رخص بضائعهم مقارنة بما تدعمه الدولة ملاذًا رخيصًا.

خلق هذا جوًّا يتسامح مع الجريمة كوسيلة لتوفير المشروبات الكحولية للجمهور، حتى بين رجال الشرطة والسياسيين في المدينة. غير مرتبط بشكل صريح بمشاركة المافيا، ارتفع معدل القتل خلال فترة الحظر من ٦,٨ لكل ١٠٠ ألف فرد إلى ٩,٧، وفي غضون الأشهر الثلاثة الأولى التي أعقبت التعديل الثامن عشر، سُرِق نصف مليون دولار من الويسكي من المستودعات الحكومية.

إن الأرباح التي يمكن جنيها من بيع وتوزيع الكحول كانت تستحق مخاطرة العقاب الشديد من الحكومة، التي واجهت صعوبة في فرض الحظر. كان هناك أكثر من تسعمائة ألف زجاجة من الخمور يتم شحنها

إلى حدود المدن الأمريكية في ذلك الوقت عن طريق المافيا.

رأت العصابات الإجرامية والسياسيون الفرصة لكسب ثروات، وبدأوا في شحن كميات أكبر من الكحول إلى المدن الأمريكية. تم استيراد غالبية الكحول من كندا، والكاريبي، والغرب الأوسط الأمريكي، حيث صنع الكحول محليًّا بشكل غير قانوني.

في أوائل العشرينيات من القرن الماضي، سيطر الفاشي بينيتو موسوليني على إيطاليا، وفرَّت موجات من المهاجرين الإيطاليين إلى الولايات المتحدة. كما فرَّ أعضاء المافيا الصقليين إلى الولايات المتحدة، حيث قام موسوليني بقمع أنشطة المافيا في إيطاليا. كان يقيم معظم المهاجرين الإيطاليين في شقق سكنية تابعة للمافيا سويًّا، وكوسيلة للهروب من نمط الحياة السيئة، اختار بعض المهاجرين الإيطاليين الانضمام إلى المافيا الأمريكية.

تفادت المافيا الحظر، وبدأت في بيع الكحول غير القانوني. تجاوزت الأرباح الناتجة عن تصنيع وبيع وتهريب الكحول الجرائم

التقليدية المتمثلة في الحماية والابتزاز والقمار والبغاء. سمح الحظر لعائلات المافيا بتحقيق ثروات أكثر مما كانوا يحلمون.

ومع استمرار الحظر، استمرت الفصائل المنتصرة في السيطرة على الجريمة المنظمة في مدنها، حيث أقامت الهيكل العائلي لكل مدينة. نظمت صناعة الكحوليات غير القانونية أعضاء من هذه العصابات قبل أن يتم تمييزهم كعائلات معروفة اليوم. تطلبت الصناعة الجديدة من الأعضاء على جميع مستويات التوظيف المختلفة، مثل الرؤساء والمحامين وسائقي الشاحنات وحتى الأعضاء للقضاء على المنافسين من خلال التهديد/ القوة. اختطفت العصابات شحنات الكحول لبعضها البعض، مما أجبر المنافسين على الدفع لهم مقابل «الحماية»؛ لمغادرة عملياتهم بمفردهم، ورافق الحراس المسلحون دائمًا القوافل التي سلمت الخمور.

في نفس الفترة من العشرينيات، بدأت عائلات المافيا الإيطالية في شن الحروب من أجل السيطرة المطلقة على مضارب تجارة الكحول المربحة. مع اندلاع العنف، حارب الإيطاليون العصابات الإثنية الأيرلندية واليهودية؛ للسيطرة على أعمال التسلل في مناطقهم.

في مدينة نيويورك، شنَّ فرانكي ييل حربًا مع عصابة اليد الأيرلندية الأمريكية البيضاء. في شيكاغو، ذبح آل كابوني وعائلته عصابة الجانب الشمالي، وهي جماعة أمريكية أيرلندية أخرى.

في مدينة نيويورك، بحلول نهاية العشرينيات من القرن العشرين، ظهر فصيلان من الجريمة المنظمة للقتال من أجل السيطرة على العالم الإجرامي، أحدهما بقيادة جو ماسيريا، والآخر بقيادة سالفاتور مارزانو.

تسبب هذا في حرب شهيرة وهي Castellammarese التي أدت إلى مقتل ماسيريا (Joe Masseria) الزعيم الشهير للمافيا الإيطالية الأمريكية

في العام ١٩٣١م، ثم قام بعدها سالفاتوري مانارازو بتقسيم مدينة نيويورك إلى خمس عائلات.

أنشأ مارانزانو، أول زعيم للمافيا الأمريكية، مدونة قواعد السلوك للمنظمة، وأنشأ الانقسامات والهيكل «الأسري» الذي سيكون النواة للمافيا بعدها، ووضع إجراءات لحل النزاعات.

في خطوة غير مسبوقة، نصب مارانزانو نفسه رئيسًا لجميع الرؤساء، وطالب جميع الأسر بالاعتراف به ومبايعته.

تم استقبال هذا الدور الجديد بالرفض، وتم قتل مارانزانو في غضون ستة أشهر بناءً على أوامر تشارلز «لاكي» لوسيانو. كان لوتشيانو أحد أتباع ماسيريا السابق الذي تحول إلى جانب مارانزانو، وقام بتنظيم عملية قتل ماسيريا. كان تشارلز «لاكي» لوسيانو شخصية مهمة في مجال صناعة الأحذية، شغل حصة كبيرة في السوق السوداء، وأدرك النجاح المحتمل لأخذ قيادته وتحالفاته في الصناعات الأخرى، مثل صناعة الملابس وغيرها.

بعد انتهاء الحظر في عام ١٩٣٣، واجهت مجموعات الجريمة المنظمة مأزقًا واحتاجت إلى طرق أخرى للحفاظ على الأرباح العالية التي اكتسبتها خلال العشرينيات. توسعت مجموعات الجريمة المنظمة الأكثر ذكاءً في مشاريع أخرى، مثل النقابات والبناء والإصحاح والاتجار بالمخدرات. من ناحية أخرى، فإن أسر المافيا التي أهملت الحاجة إلى التغيير فقدت في نهاية المطاف سلطتها ونفوذها، وتم استيعابها والتحمت في النهاية داخل مجموعات أخرى.

كبديل للممارسة الاستبدادية السابقة للمافيا المتمثلة في تسمية رئيس واحد للمافيا، على سبيل المثال capo di tutti capi أو «رئيس جميع الرؤساء»، أنشأ لوتشيانو مفوضية حيث يكون لرؤساء أكثر الأسر نفوذًا نفس الرأي. والتصويت على المسائل المهمة، وحل النزاعات بين العائلات.

حكمت هذه المجموعة النقابة الوطنية للجريمة، وجلبت حقبة السلام والازدهار للمافيا الأمريكية. بحلول منتصف القرن، كانت هناك ٢٦ عائلة رسمية ترتكب جرائم المافيا، كل منها يقع في مدينة مختلفة (باستثناء العائلات الخمس التي كانت جميعها تقيم في نيويورك). كل أسرة تعمل بشكل مستقل عن الآخرين، وكانت كلها عمومًا تملك أراضي حصرية تسيطر عليها. على عكس الجيل الأقدم تمامًا، الذين عادة ما يعملون فقط مع زملائهم الإيطاليين، كان الـ Young Turks بقيادة لوسيانو أكثر انفتاحًا على العمل مع مجموعات أخرى، وأبرزها

العصابات الإجرامية اليهودية الأمريكية لتحقيق المزيد من الأرباح.

ازدهرت المافيا من خلال اتباع مجموعة صارمة من القواعد التي نشأت في صقلية، والتي دعت إلى هيكل هرمي منظم وقانون الصمت الذي يمنع أعضاءها من التعاون مع الشرطة والتي تعرف بالـOmertà، ويعاقب على عدم اتباع أي من هذه القواعد بالإعدام.

إن صعود القوة التي اكتسبتها المافيا أثناء الحظر استمر لفترة طويلة بعد أن أصبح الكحول قانونيًّا مرة أخرى.

الإمبراطوريات الإجرامية التي توسعت على أموال صنع الكحول وتهريبه وجدت طرقًا أخرى لمواصلة جمع مبالغ كبيرة من المال. فعندما توقف حظر المشروبات الكحولية في عام ١٩٣٣، قامت المافيا بتنويع أنشطتها الإجرامية؛ لكسب المال؛ لتشمل عمليات المقامرة غير القانونية، والقروض، والابتزاز، ومضارب الحماية، والاتجار بالمخدرات، والمبارزة، وابتزاز العمال من خلال السيطرة على النقابات العمالية.

في منتصف القرن العشرين، اشتهرت المافيا بأنها تسللت إلى العديد من النقابات العمالية في الولايات المتحدة، وعلى الأخص اتحاد لاعبي التنس، ورابطة الشبان الدولية.

سمح هذا لعائلات الجريمة أن تحقق اختراقًا في أعمال مشروعة مربحة بشكل واسع، مثل البناء والهدم وإدارة النفايات والشاحنات، وفي الواجهة البحرية، وصناعة الملابس.

بالإضافة إلى ذلك، أمكنهم هذا من مداهمة صناديق الصحة والمعاشات التابعة للنقابات، وابتزاز الشركات التي تهدد بإضراب العمال والمشاركة في تزوير العروض.

في مدينة نيويورك، لا يمكن تنفيذ معظم مشاريع البناء دون موافقة الأسر الخمسة الشهيرة للمافيا الأمريكية.

أما في صناعات الموانئ وتحميل السفن، رشحت المافيا أعضاء النقابة لتوجيههم إلى الأشياء الثمينة التي يتم جلبها. وبعد ذلك قامت العصابات بسرقة هذه المنتجات.

حقق ماير لانسكي نجاحًا كبيرًا في صناعة الترفيه «الكازينو» في كوبا خلال ثلاثينيات القرن الماضي، بينما كانت المافيا ضالعة بالفعل في تصدير الخمر والروم للكوبيين، عندما أصبح صديقه فولجينسيو باتيستا رئيسًا لكوبا عام ١٩٥٢.

تمكن العديد من زعماء المافيا من القيام باستثمارات مشروعة في الكازينوهات القانونية. كان عدد رجال العصابات الذين يملكون الكازينوهات من المافيا لا يقل عن ١٩ مالكًا.

ومع ذلك، عندما تمت الإطاحة بباتيستا في أعقاب الثورة الكوبية، حظر خليفته فيدل كاسترو الاستثمارات الأمريكية في البلاد، ووضع حدًّا لوجود المافيا في كوبا.

وقتها كان ينظر إلى لاس فيجاس باعتبارها «مدينة مفتوحة»، حيث

يمكن لأي عائلة العمل بها، ما أن شرعت نيفادا المقامرة، سارعت العصابات للاستفادة بهذا التشريع، وأصبحت صناعة الكازينو شائعة للغاية في لاس فيجاس.

منذ الأربعينيات من القرن الماضي، كانت لعائلات المافيا من نيويورك وكليفلاند وكانساس سيتي وميلووكي وشيكاغو مصالح في كازينوهات لاس فيجاس. لقد حصلوا على قروض من صندوق تقاعد Teamsters وهو اتحاد مشهور سيطروا عليه بشكل فعال، واستخدموا فيه رجالًا شرعيين في بناء الكازينوهات، عندما وصلت الأموال إلى غرفة الفرز، قام رجال مستأجرون بالاستيلاء على النقود قبل تسجيلها، ثم سلموها إلى رؤسائهم، ذهب هذا المبلغ دون تسجيل ولكن توقعات قيمة المبلغ المقدر كان بمئات الملايين من الدولارات.

من خلال عملها في الظل، واجهت المافيا معارضة ضئيلة من مطبقي القانون؛ فلم يكن لدى وكالات إنفاذ القانون المحلية الموارد أو المعرفة اللازمة لمكافحة الجريمة المنظمة بفعالية؛ لأنه كان مجتمعًا سريًّا لم تكن تعلم بوجوده من الأصل، تم رشوة العديد من الأشخاص داخل قوات الشرطة والمحاكم، بينما كان تهديد الشهود شائعًا أيضًا.

في العام ١٩٥١، قررت لجنة تابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي تسمى جلسات استماع كيفويفر أن «منظمة إجرامية شريرة» تعرف باسم المافيا تعمل في البلاد، تم استدعاء العديد من رجال العصابات المشتبه بهم للاستجواب، لكن القليل منهم شهد ولم يقدم أي معلومات مفيدة.

في العام ١٩٥٧، داهمت شرطة ولاية نيويورك اجتماعًا للمافيا، واعتقلت شخصيات بارزة من جميع أنحاء البلاد في أبالاتشين، نيويورك. أجبر الحدث (الذي أطلق عليه «اجتماع أبالاتشين») مكتب التحقيقات الفيدرالي على الاعتراف بالجريمة المنظمة، باعتبارها مشكلة خطيرة في الولايات المتحدة، وغيَّرت القانون وقتها لدحر المافيا.

بحلول أواخر سبعينيات القرن الماضي، شاركت المافيا في العديد من الصناعات، بما في ذلك المراهنة على الرياضات الجامعية. شارك العديد من أعضاء المافيا المرتبطين بأسرة جريمة لوتشي.

في فضيحة شهيرة تسمى point shaving scandal التي شارك فيها فريق كرة السلة في بوسطن. قام ريك كون وهنري هيل وآخرون مرتبطون بعائلة الجريمة في لوتشيس بالتلاعب بنتائج الألعاب خلال موسم كرة السلة ١٩٧٨-١٩٧٩.

من خلال رشوة وتخويف العديد من أعضاء الفريق، أكدوا أن

رهاناتهم على أن النقاط في كل لعبة ستكون في صالحهم.

كان أحد أكثر المكاسب المربحة للمافيا هو الاحتيال في ضريبة الغاز. لقد ابتكروا مخططات للحفاظ على الأموال التي يدينون بها في ضرائب بعد بيع النفط بالجملة بملايين الدولارات. هذا سمح لهم ببيع المزيد من البنزين بأسعار أقل. قام مايكل فرانزيس، المعروف أيضًا باسم Yuppie Don بإدارة وتنظيم فضيحة غاز وسرق أكثر من ٢٩٠ مليون دولار من ضرائب البنزين عن طريق التهرب من خدمة الإيرادات الداخلية (أي آر أس) وإغلاق محطة الوقود قبل أن يتمكن المسئولون الحكوميون من دفع ما عليه. تم القبض على فرانز في عام ١٩٨٥.

ساعد الابتزاز الشهير للمافيا في السيطرة على العديد من الصناعات من نطاق الاقتصاد الكلي. ساعدهم هذا التكتيك على النمو في السلطة والتأثير في العديد من المدن مع النقابات العمالية الكبيرة مثل نيويورك وفيلادلفيا وشيكاغو وديترويت وغيرها الكثير. تم تجنيد العديد من أعضاء المافيا في النقابات ثم تم دعمهم حتى أصبحوا مدراء تنفيذيين للنقابات.

كانت La Cosa Nostra مجموعة من المافيا التي وصلت إلى السلطة الاقتصادية من خلال مشاركتها المكثفة في النقابات. سيطرت المافيا على النقابات في جميع أنحاء الولايات المتحدة؛ لابتزاز الأموال والموارد من الشركات الكبرى، مع اتهامات بالفساد في الآونة الأخيرة تشمل اتحاد نيوجيرسي ووترفرونت، واتحاد العمال الملموسين، واتحاد عمال الفريق.

كانت المطاعم وسيلة قوية أخرى يمكن من خلالها للمافيا الحصول على القوة الاقتصادية. كان هناك تركيز كبير من المطاعم التي تملكها المافيا في مدينة نيويورك. لم يقتصر الأمر على وقوع العديد من عمليات القتل والاجتماعات المهمة، بل كانوا أيضًا وسيلة فعالة

لتهريب المخدرات، وغيرها من البضائع غير القانونية. من عام ١٩٨٥ إلى عام ١٩٨٧، استوردت صقلية المافيا في الولايات المتحدة ما قيمته ١,٦٥ مليار دولار من الهيروين، مختبئةً في مختلف المنتجات الغذائية عبر سلسلة مطاعم Al Dente Pizzeria.

من بين المجالات الأخرى للاقتصاد التي كانت للمافيا نفوذ وقوة في لاس فيجاس، نيفادا، التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية بقليل هو مجال الكازينو، مع افتتاح أول منتجع للمقامرة «ذا فلامنجو».

ينسب الكثيرون للمافيا الفضل كونها كانت جزءًا كبيرًا من تطوير المدينة في منتصف القرن العشرين. من خلال ملايين الدولارات في رأس المال المتدفقة إلى منتجعات الكازينو الجديدة التي وضعت الأساس لمزيد من النمو الاقتصادي.

لم تأتِ هذه العاصمة من عائلة واحدة من المافيا، ولكن العديد من المشاركين في جميع أنحاء البلاد سعوا إلى كسب المزيد من القوة والثروة. من شأن الأرباح الكبيرة من الكازينوهات، التي تديرها شركات أعمال مشروعة، أن ساعدت في تمويل العديد من الأنشطة غير القانونية للمافيا من الخمسينيات إلى الثمانينيات.

في الخمسينيات من القرن الماضي، تم إنشاء المزيد من الكازينوهات الممولة من المافيا، مثل ستاردست، صحارى، تروبيكانا، ديزرت أن، ريفييرا. زادت السياحة في المدينة بشكل كبير خلال الستينيات وعززت الاقتصاد المحلي وتلك كانت الحسنة الوحيدة في تاريخ المافيا.

ومع ذلك، في حقبة الستينيات عندما بدأ تأثير المافيا في اقتصاد لاس فيجاس بالتراجع، عملت حكومة ولاية نيفادا والحكومة الفيدرالية على إضعاف نشاط المافيا في هذا القطاع.

ففي عام ١٩٦٩، أصدر المجلس التشريعي لولاية نيفادا قانونًا جعل

من السهل على الشركات امتلاك كازينوهات بشكل أكثر سهولة ويسرًا. وجلب هذا مستثمرين جدد إلى الاقتصاد المحلي لشراء كازينوهات.

أقرَّ الكونغرس بعدها بعام قانون ريكو، أعطى هذا القانون بدوره المزيد من السلطة لإنفاذ القانون؛ لمتابعة المافيا بسبب أنشطتها غير القانونية. كان هناك انخفاض حاد في تورط العصابات في لاس فيجاس في الثمانينيات، والذي كان سببًا في مطاردة وملاحقة المافيا وسجن أعضائها تباعًا.

عندما أصبح قانون ريكو قانونًا فدراليًا في عام ١٩٧٠، أصبح أداة فعالة للغاية في مقاضاة العصابات. وينص على عقوبات جنائية مطولة عن الأفعال التي يتم تنفيذها كجزء من منظمة إجرامية مستمرة. يُعاقب على انتهاك الفعل بالسجن لمدة تصل إلى ٢٠ عامًا كاملين، وغرامات تصل إلى ٢٥ ألف دولار، ويجب على المخالف مصادرة جميع الممتلكات التي تم الحصول عليها أثناء انتهاك القانون.

مع الوقت، أثبت قانون ريكو أنه سلاح فعال للغاية في قمع وتوقيف المافيا؛ لأنه يهاجم الكيان الفاسد بأكمله بدلًا من الأفراد الذين يمكن إبدالهم بسهولة بأعضاء آخرين في الجريمة المنظمة، بين عامي ١٩٨١ و١٩٩٢، أدين ٢٣ رئيسًا من جميع أنحاء البلاد بموجب القانون، فيما بين عامي ١٩٨١ و١٩٨٨، أدين ١٣ من كبار الموظفين و٢٣ قائدًا من قادة المافيا، أدين أكثر من ١٠٠٠ شخص من عائلات المافيا بحلول عام ١٩٩٠.

في حين أن هذا أحدث شللًا كبيرًا بين العديد من عائلات المافيا في جميع أنحاء الولايات المتحدة، إلا أنه استمرت أقوى الأسر في السيطرة على الجريمة في أراضيها ومناطق نفوذها، حتى حينما وضعت القوانين الجديدة المزيد من رجال العصابات في السجن وجعلت العمل أكثر صعوبة من السابق.

بعد القبض على سالفاتوري جرافانو، ومع موافقته على التعاون مع مكتب التحقيقات الفيدرالي ومساعدة جهات التحقيق في العام ١٩٩١، ساعد هذا مكتب التحقيقات الفيدرالي في إدانة كبار قادة المافيا بنيويورك.

على الرغم من أنه ليس أول عضو في المافيا يدلي بشهادته ضد

أقرانه وزملائه من أعضاء المافيا، إلا أن مثل هذا القائد الشهير الذي وافق على القيام بمثل تلك الفعلة يشكل سابقة لموجات من الاعترافات المثيلة بعد ذلك من قبل قادة آخرين يكسرون الصمت لتقليده، بل والتخلي عن المعلومات والشهادة في مقابل الحصول على حصانة من الملاحقة القضائية على جرائمهم، بصرف النظر عن تجنُّب فترات طويلة من السجن.

يمكن لمكتب التحقيقات الفيدرالي وضع العصابات في برنامج حماية الشهود الفيدرالي للولايات المتحدة، وتغيير هوياتهم ودعمهم ماليًا مدى الحياة. أدى ذلك إلى قيام عشرات من رجال العصابات بالإدلاء بشهادات وتوفير المعلومات خلال التسعينيات، مما أدى إلى سجن مئات من رجال العصابات. نتيجة لذلك، شهدت المافيا انخفاضًا كبيرًا في سلطتها ونفوذها في الجريمة المنظمة منذ تسعينيات القرن البائد.

المافيا الأمريكية تعمل على هيكل هرمي صارم. على الرغم من تشابه أصول صقلية، إلا أن الهيكل التنظيمي الحديث للمافيا الأمريكية أنشأه سالفاتور مارزانو في عام ١٩٣١. ويطلق على جميع أعضاء العصابات المافيا الذين تم تجنيدهم اسم «الرجال». هذا يدل على أنهم لا يمكن المساس بهم في عالم الجريمة الإجرامي، وأن أي ضرر يلحق بهم سيواجه بالانتقام. باستثناء الشركاء، جميع «العصابات» أعضاء رسميون في عائلة الجريمة. المناصب العليا الثلاثة تشكل الإدارة. تحت الإدارة، هناك فصائل يرأسها كل من الكابو أو الكابتن Caporegime.

الكابتن أو الكابو يقود ويرأس فريقًا من الجنود والأعضاء. يقدمون تقارير إلى الإدارة، ويمكن اعتبارهم مقابلين للمديرين في أي شركة. عندما يتخذ رئيسه قرارًا، نادرًا ما يُصدر أوامر مباشرة إلى العمال الذين سينفذونها، ولكنه بدلًا من ذلك ينقل التعليمات عبر سلسلة القيادة.

وبهذه الطريقة، يتم عزل المستويات العليا من المنظمة عن الاهتمام بإنفاذ القانون إذا كان هنالك نية للقبض على الأعضاء ذوي المستوى الأدنى الذين يرتكبون الجريمة فعليًّا أو نية للتحقيق معهم، مما يوفر إمكانية تملص حقيقية للكبار دونًا عن الأعضاء الصغار في المافيا.

هناك أحيانًا مناصب أخرى في قيادة الأسرة يتم خلقها وقت الحاجة، كل حسب عائلته. في كثير من الأحيان، يتم تشكيل لجان حاكمة عندما يذهب رئيس أو كابو إلى السجن لتقسيم مسئولية الأسرة (والتي تتكون عادة من ثلاثة أو خمسة أفراد). هذا يساعد أيضًا على تحويل انتباه الشرطة عن أي عضو وحده.

كان رسول العائلة ورئيس الشوارع مناصب أنشأها زعيم عائلة جنوه السابق فنسنت جيجانتي.

الهيكل التنظيمي للمافيا الأمريكية، وإن اختلف عن نظائره في صقلية أو إيطاليا ككل، إلا أنه مشابه لهم في قولبة التقسيم الإداري بداخل العائلة، حيث إن التوزيع الهرمي واحد، طبقات تقود بعضها البعض دون تواصل لمن هم دون سواهم أو تحتهم، ويتكون الهيكل من طبقة تلو الطبقة كما يلي.

Boss

رب العمل أو رب الأسرة، وعادة ما يحكم وحده كديكتاتور دون نقاش، ويسمى أحيانًا الدون أو «العراب». يتلقى الرئيس قطعًا، ونسبة من كل عملية يقوم بها كل فرد من أفراد أسرته والعائلة المحتلة في المنطقة.

اعتمادًا على الأسرة، يمكن اختيار الرئيس بتصويت من خبرات الأسرة السابقة، في الماضي، كان الجميع من أعضاء الأسرة يقومون بالتصويت على الرئيس في اجتماع كبير يجمعهم سويًّا يومها، ولكن

بحلول أواخر الخمسينيات، كان أي تجمع مثل هذا عادة ما يجذب الكثير من الاهتمام فأبطلوها.

يُنظر إلى العديد من هذه الانتخابات على أنها نتيجة حتمية، مثلما حدث مع جون جوتي في العام ١٩٨٦. وفقًا لسامي جرافانو والذي روى عن كيف كان جون جوتي مفروضًا على الجميع بالقوة في انتخاب شكلي تم في القبو.

Underboss

عادة ما يعينه رئيسه أو العراب، وهو الرجل الثاني في قيادة الأسرة. غالبًا ما يدير الأعمال اليومية للعائلة، ويشرف على أكثر المضارب ربحًا، وعادة ما يحصل على نسبة من دخل العراب نفسه. عادة ما يكون هو رئيسًا بالإنابة إذا ما تم سجن الرئيس، وكثيرًا ما يُنظر إليه أيضًا كخليفة منطقي له.

Consigliere

هو مستشار للعائلة وينظر إليه أحيانًا على أنه «الذراع اليمنى» للرئيس. يتم استخدامه كوسيط للمنازعات وغالبًا ما يعمل كممثل أو مساعد للعائلة في الاجتماعات مع العائلات الأخرى أو منظمات إجرامية منافسة أو شركاء أعمال مهمين.

بشكل عملي، المستشار هو عادة الرجل الثالث في إدارة الأسرة، وكان تقليديًا أحد كبار الأعضاء الذين يحترمون الأسرة احترامًا شديدًا، ولديهم دراية عميقة بالأعمال الداخلية للمنظمة. غالبًا ما يعين الرئيس صديقًا أو صديقًا شخصًا موثوقًا به لكي يكون مستشارًا رسميًا له.

Caporegime

هو المسئول عن فريق أو طاقم، ولديه مجموعة من الجنود الذين

يقدمون التقارير مباشرةً إليه. يحتوي كل طاقم عادة من ١٠ إلى ٢٠ جنديًّا، والعديد من المقربين. يتم تعيين الكابو من قبل رئيسه أو الطبقة التي تسبقه.

يعطي الكابو نسبة مئوية من أرباحه (وأتباعه) للرئيس، وهو مسئول أيضًا عن أي مهام يكلف بها، بما في ذلك القتل أو تهريب العمال، عادة ما يكون كابو هو الذي يتحكم في تسلل السكان المحليين من وإلى منطقة النفوذ. إذا أصبح الكابو قويًّا بدرجة كافية، فيمكنه أحيانًا أن يتمتع بسلطة أكبر من بعض رؤسائه. في حالات مثل أنتوني كورالو، قد يتخطون بنية المافيا الطبيعية، ويقودون الأسرة عندما يموت رئيسهم.

Soldato

أو الجندي وهو أحد أعضاء الأسرة، تقليديًّا أو عرفيًّا، يجب أن يكون فقط من خلفية إيطالية كاملة، إيطالي الأب والأم لا يقبلون بغير هذا؛ كي يكون جنديًّا كما يقولون، بمجرد أن يصبح عضوًا في المافيا يكون غير قابل للمس، وهي ميزة من صلاحياته عندما يلتحق بالمافيا.

إذا أخطأ فلا يمكن قتله إلا بأمر من رئيسه نفسه ولا أحد سواه، الجنود هم العمال الرئيسيون في الأسرة، وعادةً ما يرتكبون جرائم مثل الاعتداء والقتل والابتزاز والترهيب... إلخ. في المقابل، يتم منحهم مضارب مربحة ليديرها رؤسائهم، ويتمتعون بوصول كامل إلى روابط أسرهم وسلطتهم.

Associate

أو الزميل، وهو ليس عضوًا في المافيا، ولكنه يعمل لصالح عائلة إجرامية. يمكن أن يشمل هذا المصطلح مجموعة واسعة من الأشخاص الذين يعملون لصالح الأسرة. يكون للزميل مجموعة واسعة من

الواجبات من القيام فعليًّا بنفس واجبات الجندي السابقة، إلا أنه يكون بمثابة صبيًا بسيطًا، وليس بدرجة أهمية الجندي.

هذا هو المكان الذي يبدأ فيه رجال العصابات المحتملين الاختبار لإثبات قيمتهم والارتقاء في الدرجات، درجة أولى بمعنى آخر. بمجرد قبول عائلة الجريمة لأعضاء جدد، يتم تقييم أفضل المنتسبين واختيارهم ليصبحوا جنودًا. يمكن أن يكون الزميل أيضًا مجرمًا يعمل كحل بديل أو يتعامل أحيانًا في المخدرات؛ لإبعاد انتباه الشرطة عن الأعضاء الفعليين، أو يمكن أن يكونوا أشخاصًا تتعامل معهم العائلة (أصحاب المطاعم... إلخ) في حالات أخرى قد يكون الزميل مفوضًا نقابيًّا أو رجل أعمال فاسدًا.

لن يذهب غير الإيطاليين إلى أبعد من ذلك، على الرغم من أن العديد من غير الإيطاليين مثل ماير لانسكي، وبوجسي سيجل، وموراي همفريز، وميكي كوهين، وجوس أليكس، وبومبي جونسون، وفرانك شيران، وجيرارد أويميت، وجو بويتس، تمتعوا بسلطة ضخمة داخل عائلاتهم الإجرامية، واحترام أفراد المافيا الفعلية لهم بالرغم من كونهم غير إيطاليين أبدًا.

تتمتع المافيا الأمريكية هي أيضًا بمجموعة من الطقوس الخاصة بها بداخل المنظمة، وهي تعتبر عادات متوارثة لا جدال فيها، نشأت تلك الطقوس من بعض الحِقَب المختلفة، على سبيل المثال الروم الكاثوليك والماسونية في منتصف القرن التاسع عشر في صقلية.

ولم يتغير هذا اليوم كثيرًا. أفاد رئيس شرطة باليرمو في عام ١٨٧٥ أن أحد «رجل الشرف» قام بوخز ذراع المبادر أو يده وأمره بأن يقسم بدمه على صورة مقدسة، عادةً تكون صورة قديس. ثم أخذ منه يمين الولاء، كما تم حرق الصورة، ومن ثم نثر رمادها، وترمز تلك العادة إلى

إبادة الخونة، كما تمت إبادة الصورة وقت الخيانة.

عندما يقرر الرئيس أو البوب أو العراب السماح لعضو في الأسرة بالانضمام، يكون هذا الفرد جزءًا من حفل، يتضمن سحب الدم وأداء اليمين على بندقية أو صورة مقدسة، وإطاعة قواعد المنظمة. في مدينة نيويورك، خلقت المافيا عادات وتقاليد يجب على الأعضاء اتباعها. إذا خرق أحد تلك القواعد، فيمكن أن يُقتل على يد فرد آخر من العائلة، وعادة ما يرتكب القتل أقرب شخص لذلك الشخص كنوع من العقاب النفسي قبل الإعدام.

ومن الطقوس الشهيرة أيضًا، والتي تخص المافيا الأمريكية هي الآتي ذكرها:

Omertà

وهو القسَم، والذي يعني «رمز الصمت»، ومعناه ألا تتحدث مطلقًا إلى السلطات.

Ethnicity

يُسمح فقط للرجال المنحدرين من أصل إيطالي من خلال نسب آبائهم بأن يصبحوا أعضاء كاملين وليس للشركاء أو الحلفاء أي حدود عرقية.

Family secrets

أو الأسرار العائلية، معناها ألا يُسمح للأعضاء بالتحدث عن الأعمال العائلية لغير الأعضاء.

Blood for blood

إذا قُتل أحد أفراد الأسرة على يد فرد آخر، فلا يمكن لأحد أن يرتكب جريمة قتل انتقامية ما لم يمنح رئيسه إذنًا.

No fighting among members

لا قتال مع الأعضاء، من معارك القبضة إلى معارك السكين جميعها محظورة.

Tribute

كل شهر، يجب على الأعضاء دفع الراتب، وإعطاء الرئيس نسبة في أي صفقات جانبية.

Adultery

لا يُسمح للأفراد بارتكاب الزنا مع زوجة أحد أفراد الأسرة.

No facial hair

لا يُسمح للأعضاء بتربية وترك الشوارب أبدًا.

No Homosexuality

لا يُسمح أبدًا بالشذوذ الجنسي، تفيد التقارير بأن الشذوذ الجنسي لا يتوافق مع قواعد سلوك المافيا الأمريكية. في عام ١٩٩٢، قُتل جون داماتو القائم بأعمال رئيس أسرة ديكافالكانتي، عندما علمت الأسرة بعلاقاته الجنسية مع رجال آخرين.

هذه المبادئ أو الطقوس هي من فرض القانون الذي لا يجب مخالفته بأي حال من الأحوال، ففي الحالات المخالفة يطبق على المخالف أشد أنواع العقاب، حيث إن مخالفة القانون يعتبر خيانة للعائلة بأكملها، وعليه ينفذ العقاب على كل من تسول له نفسه ارتكاب ذلك الخطأ، ويكون العقاب قاسيًا؛ حتى لا يفكر أحد الأعضاء أو الجنود في تكرارها مطلقًا.

ففي الثامن عشر من أبريل عام ١٩٨٠، قتل كونديليانو أنطونيو كابونيغرو من فيلادلفيا مافيا دون أنجيلو برونو بلا موافقة اللجنة. تم نقل

كابونيغرو وشقيقه ألفريد ساليرنو إلى منزل معزول في ولاية نيويورك، وتعرضوا للتعذيب قبل القتل. تم إطلاق النار على ساليرنو ثلاث مرات خلف الأذن اليمنى، ومرة خلف الأذن اليسرى. أظهر تشريح الجثة أن حبلًا قد رُبِط حول رقبته ومعصميه وكاحله، وأن وجهه ومعظم عظامه قد تحطمت. تعرض كابونيغرو للاختناق والضرب والطعن بشكل متكرر وإطلاق النار عليه، وتم العثور عليه في كيس قمامة. حوالي ٣٠٠ دولار كان محشوًّا بمستقيم كابونيغرو كإشارة إلى أنه أصبح جشعًا.

في عام ١٩٨١، من أجل السماح لعميل مكتب التحقيقات الفيدرالي جوزيف دي بيستون (المعروف باسم دوني براسكو) بالتسلل إلى عائلة الجريمة في بونانو، فإن كابوريجيم دومينيك نابوليتانو، المعروف أيضًا باسم سوني بلاك، قد قُطِعت يده بعد مقتله. كان ذلك؛ لأنه صافح بيستون وقدّمه كصديق للمافيا أو كرجل منهم.

أما في العام ١٩٩٠، قتل جندي عائلة لوكسي برونو فاكولو، كان هناك كناريلميت محشوًّا في فمه بعد أن أطلق عليه الرصاص حتى الموت. هذا يدل على أن المافيا اعتقدت أنه كان مخبرًا لمكتب التحقيقات الفيدرالي. كما تعرض للطعن وإطلاق النار عليه في كلتا العينين بطريقة هي الأبشع في مجال الإعدام.

المافيا لا تمزح، هذه من أهم المبادئ التي قامت وتستمر عليها المافيا.

ما سأتلوه الآن هي قائمة بعائلات المافيا التي نشطت في الولايات المتحدة. لاحظوا أن بعض العائلات لديها أعضاء وشركاء يعملون في مناطق أخرى أيضًا. المنظمة لا تقتصر على هذه المناطق فقط، وهم مرتبون على حسب الأهمية والحجم ومدى التأثير:

Magaddino crime family (Buffalo، New York)

Chicago Outfit (Chicago، Illinois)

Cleveland crime family (Cleveland، Ohio)
Dallas crime family (Dallas، Texas)
Denver crime family (Denver، Colorado)
Detroit Partnership (Detroit، Michigan)
Kansas City crime family (Kansas City، Missouri)
Houston crime family (Houston، Texas)
Los Angeles crime family (Los Angeles، California)
Milwaukee crime family (Milwaukee، Wisconsin)
Patriarca crime family (New England)
DeCavalcante crime family (New Jersey)
The Five Families (New York، New York)
Bonanno crime family
Colombo crime family
Gambino crime family
Genovese crime family
Lucchese crime family
New Orleans crime family (New Orleans، Louisiana)
Bufalino crime family (Northeastern Pennsylvania)
Philadelphia crime family (Philadelphia، Pennsylvania)
Pittsburgh crime family (Pittsburgh، Pennsylvania)
Rochester crime family (Rochester، New York)
San Francisco crime family (San Francisco، California)
San Jose crime family (San Jose، California)
St. Louis crime family (St. Louis، Missouri)
Trafficante crime family (Tampa، Florida)

هل تعاونت المافيا الأمريكية مع الولايات المتحدة قبيل الحرب العالمية الثانية وبعدها؟

مما يتدارك لعلمنا أنه وخلال الحرب العالمية الثانية، قد دخلت

t.me/dambgowardmsr

المخابرات البحرية الأمريكية بالفعل في اتفاق مع لاكي لوسيانو بوب المافيا الأمريكية؛ للحصول على مساعدته في الحفاظ على الواجهة البحرية في نيويورك خالية من المخربين بعد تدمير Ss Normandie.

أما عن التفاصيل، فبعد ظهر يوم ٩ فبراير ١٩٤٢. وبينما كانت النورماندي في طور التحويل إلى سفينة حربية، اشتعلت السفينة الفخمة بالمحيط بشكل غامض وغريب لا يدري أحد سببه، بالإضافة إلى ١٥٠٠ من طاقم البحارة والمدنيين على متن السفينة. نجا جميعهم باستثناء شخص واحد، لكن للأسف أصيب ١٢٨ شخصًا، وفي اليوم التالي كانت السفينة عبارة عن أشلاء مغطاة بالدخان.

في تقريره، بعد مرور اثني عشر عامًا، طرح وليام بي. هيرلاندز، مفوض التحقيق، القضية مع الحكومة الأمريكية، وهي تتحدث مع كبار المجرمين، قائلًا: «كانت سلطات المخابرات مهتمة جدًّا بمشاكل التخريب والتجسس، كانت الشكوك منتشرة فيما يتعلق بتسريب المعلومات حول حركات القوافل. النورماندي، الذي كانت يتم تحويلها إلى المشاركة في الحرب باعتبارها تابعة للقوات البحرية المساعدة لافاييت، لقد أحرقت عند الرصيف في نورث ريفر، بمدينة نيويورك. وكان يشتبه في تخريب آنذاك، أقنعت هذه الكارثة كلا الجانبين بالتحدث بجدية عن حماية الساحل الشرقي للولايات المتحدة.

في أغسطس ١٩٦٠، اقترح العقيد شيفيلد إدواردز، مدير مكتب الأمن بوكالة الاستخبارات المركزية اغتيال رئيس الدولة الكوبي وزعيمها فيدل كاسترو على يد قتلة المافيا. بين أغسطس ١٩٦٠ وأبريل ١٩٦١، قامت السي آي أيه، بمساعدة المافيا، بالعمل على سلسلة من المؤامرات؛ لتسميم أو إطلاق النار على الزعيم كاسترو، ومن بين الذين زُعم تورطهم كانوا: سام جيانكانا، وكارلوس مارسيلو، وسانتو

t.me/Zolanbyanbardmisr

ترافيكانتي جونيور، وجون روسيلي.

جريجوري سكاربا، كابو عائلة كولومبو الإجرامية، قد جنده مكتب التحقيقات الفيدرالي؛ للمساعدة في العثور على جثث ثلاثة من العاملين في مجال الحقوق المدنية الذين قُتلوا في مسيسيبي في عام ١٩٦٤. على يد جماعة كو كلوكس كلان المتطرفة.

كان سكاربا في مسيسيبي في ذلك الوقت، وقد تلقى سلاحًا، وبعد ذلك تلقى دفعة نقدية من قبل عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي. كما أن سكاربا هدد كلانزمان من الجماعة المتطرفة المتهمة بقتل الثلاثة ضحايا بوضع مسدس في فمه، مما أجبر كلانزمان على الكشف عن مكان الجثث. وكانت قصص مماثلة عن تورط المافيا في انتشال الجثث تدور لسنوات، وقد سبق نشرها في صحيفة «نيويورك ديلي نيوز»، لكنها لم تُعرض من قبل بشكل رسمي.

في العديد من عائلات المافيا، يُحظر قتل سلطة حكومية أو فرد يعمل مع الحكومة؛ بسبب احتمال انتقام الشرطة الشديد ضدهم بعدها. ففي بعض الحالات النادرة، فإن التآمر لارتكاب مثل هذه الجريمة يعاقب عليها بالإعدام.

على سبيل المثال الهولندي شولتز، عضو العصابات والمافيا اليهودي، قُتِل على أيدي أقرانه الإيطاليين؛ خوفًا من أنه سينفذ خطة لقتل مدعي مدينة نيويورك توماس ديوي، وبالتالي كان سيتسبب في جذب انتباه الشرطة إلى المافيا بشكل غير مسبوق. ومع ذلك، نفذت المافيا ضربات ضد رجال القانون من قبل، وخاصة في تاريخها السابق والقديم. فقد تم إطلاق النار على ضابط شرطة نيويورك جو بتروسينو على يد المافيا الإيطالية الأمريكية أثناء قيامه بواجبه، وقد تم بناء تمثال

t.me/alqanbqwardmsr

له في وقت لاحق عبر الشارع من مكان استراحته في لوستشيز.

وبالرغم من كل هذا إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن تعترف أبدًا بوجود عصابات للجريمة المنظمة، ولم تكن تتوقع أبدًا شكل العائلات المعروف قبل خمسينيات القرن العشرين.

ففي العام ١٩٥١، قررت لجنة خاصة بمجلس الشيوخ الأمريكي، برئاسة السيناتور الديمقراطي عن ولاية تينيسي إستس كيفوفر، أن هناك «منظمة إجرامية شريرة» تعرف باسم المافيا تعمل في جميع أنحاء الولايات المتحدة. استقطبت لجنة مجلس الشيوخ الأمريكي الخاصة للتحقيق في الجريمة في التجارة بين الولايات، والتي أذاعها التلفزيون في جميع أنحاء البلاد انتباه الشعب الأمريكي، وأجبرت مكتب التحقيقات الفيدرالي على الاعتراف بوجود الجريمة المنظمة. في عام ١٩٥٣، بدأ مكتب التحقيقات الفيدرالي برنامجًا عُرِف باسم Top Hoodlum Program.

كان الغرض من البرنامج هو جعل الوكلاء يجمعون المعلومات عن العصابات في أقاليمهم، ويبلغون بها بانتظام إلى واشنطن؛ للاحتفاظ بمجموعة مركزية من المعلومات الاستخباراتية عن هؤلاء المضاربين.

كل تلك الأحداث أجبرت المافيا بكل رجالاتها على الاجتماع؛ لمناقشة كل هذه التطورات والعمل على حلها، وكان اجتماع أبالاتشين هو النتيجة في النهاية، إن اجتماع أبالاتشين بمثابة قمة تاريخية للمافيا الأمريكية، والتي عُقِدت في منزل جوزيف باربارا «جو باربر»، في أبالاتشين، بنيويورك، في ١٤ نوفمبر ١٩٥٧م.

تم عقد الاجتماع؛ لمناقشة مواضيع مختلفة عن قرارات الحكومة الأمريكية، بما في ذلك القروض، وتهريب المخدرات، والمقامرة،

إلى جانب تقسيم العمليات غير القانونية التي كان يسيطر عليها الراحل ألبرت أنستازيا، يُعتقد أن قرابة المائة من المافيا من الولايات المتحدة وإيطاليا وكوبا حضروا هذا الاجتماع.

في البداية، دعا فيتو جينوفيز، رئيس عائلة جينوفيز التي تمت تسميتها على اسمه، الاجتماع في البداية كوسيلة للتعرف على سلطته الجديدة ككابو دي كابي.

على الجانب الآخر، فالمعنيون بالمراقبة والتحقيق عن المافيا في ذلك الوقت، أصابتهم الريبة، خاصة عندما وصلت العديد من السيارات باهظة الثمن تحمل لوحات ترخيص من جميع أنحاء البلاد، فيما وصف بأنه «قرية نائية في أبالاشين»، ماذا تفعل كل تلك السيارات في قرية نائية مثل تلك القرية؟

الشك أجبر الشرطة على إقامة حواجز على الطرق الرئيسية للقرية، ومن ثم بعد إقامة حواجز على الطرق، داهمت الشرطة الاجتماع بشكل مباغت، مما أدى إلى فرار العديد من المشاركين إلى الغابة والمنطقة المحيطة بملكية باربرا بشكل عشوائي.

تم اعتقال أكثر من ٦٠ من زعماء المافيا في ذلك اليوم، وتوجيه التهم لهم. واحدة من أكثر النتائج المباشرة والأكثر أهمية لاجتماع أبالاتشين هي أنها ساعدت في تأكيد وجود مؤامرة إجرامية على مستوى البلاد، بعدما كانت مجرد تكهنات وشكوك، وهي حقيقة رفضها البعض في بداية الأمر؛ لعدم وجود دليل ملموس على وجودهم، بمن فيهم مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي نفسه جيه. إدغار هوفر، إلا أن الأمر قد تحول إلى العكس تمامًا بعد ذلك الاجتماع.

ثم كان العام ١٩٦٣م والذي كانت نقطة التحول الكبرى في تاريخ الحكومة مع المافيا؛ بسبب رجل يسمى Joe Valachi.

t.me/tutanbuqabordinsr

إلى جانب تقسيم العمليات غير القانونية التي كان يسيطر عليها الراحل ألبرت أنستازيا، يُعتقد أن قرابة المائة من المافيا من الولايات المتحدة وإيطاليا وكوبا حضروا هذا الاجتماع.

في البداية، دعا فيتو جينوفيز، رئيس عائلة جينوفيز التي تمت تسميتها على اسمه، الاجتماع في البداية كوسيلة للتعرف على سلطته الجديدة ككابو دي كابي.

على الجانب الآخر، فالمعنيون بالمراقبة والتحقيق عن المافيا في ذلك الوقت، أصابتهم الريبة، خاصة عندما وصلت العديد من السيارات باهظة الثمن تحمل لوحات ترخيص من جميع أنحاء البلاد، فيما وصف بأنه «قرية نائية في أبالاشين»، ماذا تفعل كل تلك السيارات في قرية نائية مثل تلك القرية؟

الشك أجبر الشرطة على إقامة حواجز على الطرق الرئيسية للقرية، ومن ثم بعد إقامة حواجز على الطرق، داهمت الشرطة الاجتماع بشكل مباغت، مما أدى إلى فرار العديد من المشاركين إلى الغابة والمنطقة المحيطة بملكية باربرا بشكل عشوائي.

تم اعتقال أكثر من ٦٠ من زعماء المافيا في ذلك اليوم، وتوجيه التهم لهم. واحدة من أكثر النتائج المباشرة والأكثر أهمية لاجتماع أبالاتشين هي أنها ساعدت في تأكيد وجود مؤامرة إجرامية على مستوى البلاد، بعدما كانت مجرد تكهنات وشكوك، وهي حقيقة رفضها البعض في بداية الأمر؛ لعدم وجود دليل ملموس على وجودهم، بمن فيهم مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي نفسه جيه. إدغار هوفر، إلا أن الأمر قد تحول إلى العكس تمامًا بعد ذلك الاجتماع.

ثم كان العام ١٩٦٣م والذي كانت نقطة التحول الكبرى في تاريخ الحكومة مع المافيا؛ بسبب رجل يسمى Joe Valachi.

t.me/tutanbuqabordinsr

كان جوزيف مايكل «جو كاجو» فالاتشي (٢٢ سبتمبر ١٩٠٤ – ٣ أبريل ١٩٧١) رجل عصابات أمريكيًا في عائلة الجريمة في جنوه، والذي يعتبر مشهورًا وبارزًا كأول عضو في المافيا الأمريكية الإيطالية الذي كان سببًا في اعتراف السلطات بوجودها علنًا بعد سنوات من رفض وجودها وعدم التصديق. ويعود الفضل في تعميم مصطلح كوسا نوسترا، والذي كان مجهولًا وقتها.

وُلِد فالاتشي في ٢٢ سبتمبر ١٩٠٤ في منطقة الشرق هارلم في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة لعائلة مهاجرة إيطالية فقيرة. كان والده مدمنًا على الكحول، وكان فالاتشي يلوم خلفيته لاحقًا لدوره في الجريمة المنظمة.

بدأ مشوار فالاتشي في الجريمة بعصابة صغيرة، تُعرف باسم Minutemen والتي انضم إليها لتنفيذ عمليات السطو والاستيلاء والسطو والهروب السريع، الجرائم الصغيرة بمعنى آخر، وكان فالاتشي مجرد السائق المهرب للعصابة وقت السطو، وقد أكسبته قدرته على الفرار السريع سمعة كنجم صاعد في عالم الجريمة الجنائية في مدينة نيويورك.

في العام ١٩٢١، تم القبض على فالاتشي ببعض التهم الخاصة بالسرقة، وفي عام ١٩٢٣، تم القبض عليه مجددًا في أعقاب عملية سطو فاشلة. أقر بأنه مذنب لمحاولة السطو، وحُكِم عليه بالسجن لمدة ١٨ شهرًا، ولكن تم إطلاق سراحه بعد أن قضى تسعة أشهر فقط، عاد بعد خروجه إلى العصابة؛ ليكتشف أنه تم إبداله بسائق جديد، فقام بالالتحاق بعصابة صغيرة أخرى جديدة.

في أوائل ثلاثينيات القرن الماضي، تم إلحاق فالاتشي بالمافيا الإيطالية الأمريكية، والمعروفة أيضًا باسم كوسا نوسترا عن طريق Dominick «The Gap» Petrilli.

t.me/alanbyawardmsr

سرعان ما أصبح جنديًا في عائلة رينا، المعروفة الآن باسم عائلة لوتشيس، بقيادة غايتانو رينا. انضم خلال ذروة حرب Castellammarese وهو صراع عنيف على السلطة داخل الجريمة المنظمة الإيطالية بين عائلة Joe Masseria وعائلة Salvatore Maranzano، وكان الهدف من الحرب هو السيطرة على العمليات الربحية في الولايات المتحدة. اغتيل رينا بعد أن تغير ولاؤه من ماسريا إلى مارانزانو.. حارب فالاتشي كجزء من عائلة رينا إلى جانب مارانزانو، والتي خرجت منتصرة في نهاية المطاف

بعد اغتيال ماسيريا.

في الخامس عشر من أبريل لعام ١٩٣١. أعلن مارانزانو نفسه كابو دي توتي كابي (رئيس جميع الرؤساء) في المافيا الإيطالية الأمريكية، وأصبح فالاتشي أحد حراسه الشخصيين.

هذا الموقف لم يدم طويلًا، حيث اغتيل مارانزانو نفسه بعد خمسة أشهر من نهاية حرب كاستيلاماريس من قبل تحالف من مرؤوسيه، بقيادة تشارلز «لاكي» لوسيانو، وبعد أن لاقى تنصيبه لنفسه اعتراض الجميع.

أصبح فالاتشي بعد ذلك جنديًّا في العائلة التي يرأسها لوتشيانو، والمعروفة في النهاية باسم عائلة جينوفيس. في يوليو ١٩٣٢، تزوج فالاتشي من كارميلا رينا، الابنة الكبرى لجايتانو رينا. بقي فالاتشي في مركزه كجندي في عائلة جنوة حتى أدين بارتكاب انتهاكات للمخدرات في عام ١٩٥٩ وحُكم عليه بالسجن لمدة ١٥ عامًا.

تاريخيًّا، كان وجود المافيا الإيطالية الأمريكية منذ فترة طويلة غير مؤمَّن من قبل أو لم يكن معروفًا لدى الجمهور الأمريكي، لكنه كان سرًّا مفتوحًا للمجتمع الإيطالي الأمريكي، ووكالات إنفاذ القانون، ومختلف الزملاء والضحايا.

ج. إدغار هوفر، مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي، أنكر علانية وجود المافيا، على الرغم من أنه حقق فيها لسنوات. استمر ذلك حتى عام ١٩٥٧ عندما داهمت الشرطة اجتماع أبالاتشين، وتم كشف وجودهم بشكل رسمي.

ومع ذلك، وعلى الرغم من القبض على أكثر من ٦٠ من زعماء المافيا، لم يتم الكشف عن شيء آخر عن المنظمة نفسها؛ بسبب مبدأ الصمت.

في أكتوبر لعام ١٩٦٣، أدلى فالاتشي بشهادته أمام اللجنة الدائمة للسيناتور جون ل. ماكليلان، لجنة التحقيق الحكومية التابعة لمجلس

الشيوخ الأمريكي للعمليات الحكومية، والمعروفة باسم جلسات الاستماع إلى فالاتشي، موضحًا فيها ولأول مرة أن المافيا الإيطالية الأمريكية موجودة بالفعل، وهي المرة الأولى بالفعل التي يعترف فيها عضو من أعضاء المافيا بوجودها أمام العامة.

كانت شهادة فالاتشي أول انتهاك رئيسي لمبدأ الأومرتا، وهو قانون الصمت والشرف الذي يؤمن به عصابات الجريمة المنظمة الإيطالية، والذي يمنع أي تعاون مع السلطات، وكانت أول دليل ملموس للسلطات الفيدرالية على وجود المافيا الإيطالية الأمريكية. وصف فالاتشي وقتها العديد من الميكانيكا الداخلية للمافيا، بما في ذلك هيكلها وعملياتها وطقوسها وعضويتها.

اعترف فالاتشي بأنه يشهد ويعترف ويخترق قانون المافيا كخدمة عامة، وأنه يكشف عن منظمة إجرامية قوية ألقى عليها باللوم في تدمير حياته.

لكن من المحتمل أيضًا أنه كان يأمل بالحماية الحكومية، كجزء من صفقة الإقرار بالذنب؛ حتى يتم الحكم عليه بالسجن مدى الحياة بدلًا من عقوبة الإعدام على جريمة قتل، والتي ارتكبها أثناء وجوده بالفعل داخل أسوار السجن؛ بسبب تعامله مع المخدرات. فأثناء وجوده في السجن، خشي فالاتشي من أن زعيم العصابة وزميله السجين فيتو جينوفيسي قد أمروا بقتله لأنه خائن. كان كل من فالاتشي وجينوفيسي يقضيان عقوبات بتهمة تهريب الهيروين.

في الثاني والعشرين من يونيو ١٩٦٢، وباستخدام أنبوب بقي بالقرب من بعض أعمال البناء داخل السجن، ضرب فالاتشي حتى الموت نزيلًا اسمه جوزيف ديباليرمو اعتقد بالخطأ أنه قادم لتصفيته، بعد وقت أعطى جينوفيسي قبلة لفالاتشي، والتي فهم وقتها أنها قبلة الموت، عندها قرر فالاتشي التعاون مع الحكومة الأمريكية، لقد قدَّم

الكثير من التفاصيل عن تاريخ المافيا والعمليات والطقوس؛ وساعد في حل العديد من جرائم القتل التي لم يتم حلها؛ وأعطى أسماء العديد من الأعضاء وعائلات الجريمة الكبرى.

كانت شهادته، والتي أذيعت على الراديو والتلفزيون، ونُشِرت في الصحف، مدمرة للمافيا الإيطالية الأمريكية حرفيًا، والتي كانت لا تزال تترنح من بعد حادثة اجتماع أبالاشين في عام ١٩٥٧. بعد شهادة فالاتشي، لم تعد المافيا الإيطالية الأمريكية هي المنظمة الخفية للجمهور منذ ما يقرب من قرن من الزمان.

بعد أن شجعت وزارة العدل أولًا، ثم منعت نشر مذكرات فالاتشي، قام الصحفي بيتر ماس بتأليف سيرة ذاتية بالاستعانة بالمذكرات والمقابلات مع فالاتشي، ونُشِرت في عام ١٩٦٨ باسم أوراق فالاتشي، والتي شكلت الأساس لفيلم من نفس العنوان، بطولة تشارلز برونسون في دور البطولة، ومن بعدها الفيلم الأشهر في تاريخ السينما الأمريكية «العراب».

في الثالث من أبريل ١٩٧١، توفي فالاتشي بنوبة قلبية، بينما كان يقضي مدة عقوبته في مؤسسة الإصلاحيات الفيدرالية، لا تونا، في أنتوني، بتكساس، لتنتهي قصة الرجل الذي فضح المافيا في الولايات المتحدة الأمريكية.

t.me/alanbuawardmsr

هذا هو كل شيء يخص المافيا، منذ النشأة في صقلية وحتى الانتشار والشهرة في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد شرفني أنا الطالب «أبو طالب» أن أمثل أمامكم اليوم، وأتلو ما أنا كنت بصدد جمعه على مدار أعوام دراستي في باليرمو، أشكركم جزيلًا؛ لاهتمامكم الزائد في الاستماع لي بكل هذا الاهتمام.

ولكم جزيل الشكر.

أصوات تصفيق

الفصل الأخير

استهلَّ المقدم في التحدث عن الجامعة والأبحاث المقدمة هذا العام في مجالات القانون المختلفة، كان يوزع ابتسامات من تلك النوعية حين لا تشعر أنك تريد الابتسام، فتنكمش شفتاك دون تحريك وجنة واحدة، ابتسامة صفراء كما يقول عنها البعض.

نظرت إلى «أبوطالب»، فوجدته يشرع في تجهيز شيء ما، ثم ابتعد ليختفي عن الأنظار.

لقد كان بحثًا رائعًا، إن «أبوطالب» يمتلك كاريزما تتيح له الخطابة في أي ظرف كان، يستطيع جذب آذان الجمهور أيًّا كانت جنسياتهم أو لغتهم الأم، هو قد أنهى بحثه كما أنهيناه قبله، ثم وقفنا جميعًا لانتظار

t.me/alanbyawardmsr

النتائج، ومن ثم استلام الدروع وشهادات التخرج.

كنت قد هممت لأقترب من «أبوطالب» لأقدم التهاني والشعور بالفخر والفرح لصديقي العربي الذي أبهر الجميع، كيف أتى بكل تلك المعلومات في هذا الوقت القصير؟ تفاصيل كثيرة لا أدري من أين قد أتى بها، لكنه طالب مجتهد منذ أن تعرفت عليه في أول أيامي بالجامعة، هذا هو الواضح عنه، والذي طمأنني حينما تعرفت عليه، فأنا قد جئت كي أدرس لا أن ألهو، وقد سرَّني أن أجد من يسير على نفس الدرج حتى لا يتعثر أحدنا.

أشرت إلى الحضور لأحييهم في محاولة مني لكسر الملل، وقد كان القاضي يجلس في المقدمة، ويبتسم للجميع.

قام المقدم بتقديمنا ثانيةً، فصفق الجميع، ثم إنه بدورنا تسلمنا شهاداتنا وأتممنا التخرُّج كما كان، وقد خفَّت المشاحنات بيني وبين «ماركو» الذي انبهر باجتهادي في البحث.

بعد عدة أيام، كنت أحضر حقيبتي شارعًا في التحضير؛ للرجوع إلى بلدي الحبيبة مصر، وقد افتقدت بلدي وقريتي والشمس والسهر بين الأصدقاء، إلا أنه كنت قد تذكرت شيئًا أردت أن أستفسر عنه، بما أنني على وشك الذهاب بلا رجعة.

فلمحت «أبوطالب»، وقد كان يجلس شاردًا، وفي يده سيجارة ينفثها في لا اكتراث، فهممت بالسؤال الذي لطالما شغل بالي لفترة:

يا «أبوطالب»، كيف جمعت كل تلك المعلومات بهذه السرعة؟ فأنا لم أشاهدك تستذكر للحظة؟ وأين أهلك يا «أبوطالب»؟

نظر لي «أبوطالب» ولم يردَّ، وانضم إلينا «ماركو» مازحًا وقال:

– لربما هو ابن الشيطان نفسه يا «حسين».

فضحكتُ ولم يبتسم «أبوطالب»، بل إنه نظر إلينا وشرع في الحديث:

«أبوطالب»: إنني أعتذر عن تلك الاستراحة غير المبررة يا سادة الحضور الكرام، لقد كانت استراحة لي ولكم كي يكون هناك اتساع صدر لاستيعاب ما أنا بصدد شرحه من جديد.

كان كمن يخطب ولا يتحدث، وقد استحوذ على اهتمامي، فصمتُّ وظللتُ أسمعه، فمازال هناك وقت على ميعاد الطائرة.

«أبوطالب»: لقد تحدثت في بحثي عن المافيا في صقلية هنا، وفي الولايات المتحدة هناك، لكنني لم أذكر أمرين هما أهم نقاط البحث، وآثرت أن أتركهما إلى النهاية؛ حتى يكون هناك متسع من الوقت لأتحدث براحتي».

أكمل «أبوطالب» وقد برقت عيناه قليلًا من فعل الحماسة: إن جرائم المافيا في صقلية، وإن كانت وحشية إلا أنها تظل مبررة، لديهم من الدوافع التي تجعلهم قائمين على جرائمهم «التي صنفها الجميع على أنها جرائم»؛ كي يعيشوا، فمن دون أعمالهم في المخدرات والسلاح ومضارب الحماية والمقامرة كيف سيعيشون؟

قلت: لماذا تبرر هكذا يا «أبوطالب»؟

فأشار لي «ماركو» كي أصمت، وأكمل «أبوطالب» شاردًا:

في صقلية، ظروف المعيشة صعبة على العامة، نحن في دولة عايشت الفاشية والاحتلال، والاسم أننا في أوروبا، كيف؟ إيطاليا على بُعد أمتار وترى الفرق بين الإيطالي والصقلي كالفرق بين دولة من العالم الأول والثالث، ونحن إخوة، لماذا إذن تصعب علينا الحياة هنا، وهناك منتجع لا ينتهي من المرح؟

أنا لا أبرر للجريمة بالطبع، لكنني أضيف الدافع إلى الجريمة؛ حتى تكتمل الصورة.

ما لا تدركانه يا صديقيَّ أن أمي هي إيطالية صقلية، عاشت وترعرعت هنا قبل أن تتزوج، فتسافر مع زوجها إلى بلدنا العربية، حيث

t.me/alanbyawardmsr

الأساطير والصحراء والشمس الحارقة كما يرانا الغرب دائمًا، لم يقبلني المجتمع هناك، فقد رأوني أفشل في كل ما حاولت إنجازه، الحياة هناك كالحياة هنا، نفس ظروف المعيشة التي أجبرت نصف شباب دولتي إلى عبور مضيق جبل طارق؛ للعيش في إسبانيا بشكل غير شرعي.

أما أنا فقد فعلتُ بالمثل، ولكني لم أتوجه إلى إسبانيا، بل آثرت التوجه إلى بلد أمي التي ترعرعت فيها، على الأقل أنا أتقن الإيطالية، وأستطيع التعايش هنا، وهو ما فعلته.

دخلت بشكل غير شرعي، ولكنني في النهاية نجوت، ودرست ما كنت أبتغيه عندما كنت أحلم هناك في دراسته، ألا وهو القانون، الذي تفتقره شعوبنا حقيقة.

أكمل: تتذكرون تفجير كاباسي؟ الذي أودى بحياة السيد القاضي الشهيد فالكوني؟

أشرت بعدم الفهم، فأكمل:

كان تفجير كاباسي هجومًا إرهابيًا قامت به المافيا على الطريق السريع أيه ٢٩ على الجانب الآخر من ذلك المسرح الذي أخطب فيه أمامكم الآن.

قُتِل القاضي جيوفاني فالكوني وزوجته فرانشيسكا مورفيلو، وثلاثة من مرافقي الشرطة: فيتو شيفاني، وروكو ديسيلو، وأنطونيو مونتينارو. نجا العملاء: باولو كابوزا، وأنجيلو كوربو، وغاسبار برافو، والقاضي جوزيف جوزيبي كوستانزا.

كان القاضي بطلًا، لكنه تسبب في إيقاف وسجن الكثير من زعماء المافيا بسبب وبدون، ربما أراد الشهرة، ربما كانت دوافعه صحيحة، إلا أنه استحق القتل في النهاية، واستحق احتفال المافيا بالشامبانيا كما علمنا بعدها.

ابتلع «أبوطالب» ريقه بصعوبة ثم قال: في الحقيقة إنني منذ وطأت

بقدمي أرض صقلية، وكانت الحياة تأخذني هنا وهناك بلا مأوى، بحثت عن عمل يغنيني فلم أجد، لم يكن لأمي أقارب هنا لا أدري لماذا، سألت وطفت كثيرًا فلم أجد، اضطررت في لحظة من لحظات اليأس إلى أحد الأمرين، إما البحث عن وسيلة للتعايش أو الانتحار، ولما لم أكن أقدر على الانتحار، فقررت أن أتجه للبحث عن أي أموال؛ لآكل وأنام، وكانت السرقة هي الأسهل.

ذهلتُ لما يقول، فأكمل:

- كنت أعتمد على سرعة ركضي، فأخطف الحقائب النسائية في الزحام ثم أركض مع الريح، سرقت أكثر من حقيبة، ويبدو أنني كنت مراقبًا من بعض رجال العصابات الذين أخذوني من يدي إلى البوب نفسه، وقابلته، وأقنعني بالعمل معه كجندي، فأمي صقلية، وحالتي يرثى لها، كما أنهم عرفوني بالسرقة، كل المقومات في صالحي، وبالفعل انضممت إليهم أدير بعض الأعمال في الكازينو الخاص بالرئيس، ثم وفر لي أوراقًا رسمية، وسبيلًا جديدًا لاستكمال دراستي، وقد فرحت بهذا، وظيفة وإقامة ودراسة.

لكن رينا «الأب الروحي للمافيا حاليًا» سُجن، وتدهورت الأحوال بين المافيا والحكومة، وبدأت الحرب، وفي الحرب، الجنود يحمون الرئيس كما نعلم، وكل جندي له دور وله ميعاد.

t.me/alambadoradmisr

وأنا يا أصدقائي أعمل مع المافيا، ربما لهذا أعلم تاريخهم كله، ولم أحتج إلى الاستذكار، فأنا قد عشته تقريبًا بنفسي.

لم أعلق، وكذلك ماركو الذي ظهرت عليه علامات الخوف، وكان «أبوطالب» يكشف عن صدره، وقد دقَّ عليه وشمًا خاصًّا بعصابته، ثم إنني أردفت وقلت محاولًا كسر الصمت الذي أطبق علينا للحظات:

- وهل ستقتلني لأنني عرفت يا «أبوطالب»؟

ابتسم «أبوطالب» لأول مرة منذ قدومنا إلى المنزل، وقال:

– سأفتقدك حينما ترجع إلى بلدك يا صديقي، تذكرني بالخير.

يا لها من حياة تلك التي عايشتها في صقلية، لم أكن أعلم أن صديقي الذي آنست جلسته في ليالي الخلاء هو واحد من أعضاء المافيا، لم تكذب أبحاثي إذن، حينما قلت إنهم ينتشرون بالفعل، فأقرب أصدقائي هو منهم.

رجعت إلى مصر في الليلة التالية، وقد علمت أن «أبو طالب» اتُّهم بقتل القاضي الذي حضر معنا التخرج يوم الرسالة الثلاثية التي ناقشناها أمامهم، وسُجِن «أبو طالب»، ثم انقطعت أخباره، فيا لها من حياة حافلة تلك التي عايشتها في الشرق الأوروبي، لن أنساها أبدًا ما حييت.

t.me/alanbyawardmsr

الأنبياء وأرض مصر
t.me/alanbyawardmsr

مصادر الكتاب

كتاب ماكوي صدر عام ١٩٧٢ بعنوان « The politics of Heroin in South–East Asia» أو «سياسات الهروين في جنوب–شرق أسيا» «قصة المحاسب» (The Accountant's Story).

إسكوبار (٢٠١٠) (Escobar)، بقلم روبرتو إسكوبار، الذي كتبه شقيقه يظهر كيف أصبح سيئ السمعة وموته في النهاية.

أخي – بابلو إسكوبار (٢٠١٦) (My Brother – Pablo Escobar)، بقلم روبرتو إسكوبار

ملوك الكوكايين (١٩٨٩) (Kings of Cocaine)، بقلم غي غوليوتا، يعيد تاريخ وعمليات كارتل ميديلين، ودور إسكوبار.

قتل بابلو: البحث عن أعظم دولة خارجة عن القانون (٢٠٠١) (Killing Pablo: The Hunt for the World's Greatest Outlaw)، لمارك بودن، يتعلق الكتاب بكيفية قتل إسكوبار وتفكيك الكارتل من قبل القوات الخاصة الأمريكية والاستخبارات والجيش الكولومبي ولوس بيبيس.

بابلو إسكوبار: أبي (٢٠١٦) (Pablo Escobar: My Father)، خوان بابلو إسكوبار، ترجمة أندريا روزنبرغ.

بابلو إسكوبار: ما وراء نارکوس (٢٠١٦) (Pablo Escobar: Beyond Narcos)، شون أتوود، يحكي قصة بابلو وميديلين كارتل في سياق الحرب الفاشلة على المخدرات؛

أمريكي الصنع: من قتل باري سيل؟ بابلو إسكوبار أو جورج هو بوش (٢٠١٦) (American Made: Who Killed Barry Seal? Pablo Escobar or George HW Bush)، من قبل شون أتوود، تتحدث قصة بابلو بأنه مشتبه في قتل طيار وكالة الاستخبارات المركزية باري سيل.

محبة بابلو، كراهية إسكوبار (٢٠١٧) (Loving Pablo، Hating Escobar)، بقلم فيرجينيا فاليخو، وتم نشره من قبل بنغوين راندوم هاوس.

بابلو إسكوبار: ملك الكوك (٢٠٠٧) (Pablo Escobar: The King of Coke): وهو فيلم وثائقي من قبل ناشونال جيوغرافيك، يضم لقطات أرشيفية والتعليق من قبل أطراف لها علاقة.

إسكوبار (٢٠٠٩) (Escobar): تأخر بسبب مشاركة المنتج أوليفر ستون مع فيلم دبليو (٢٠٠٨) الذي يتحدث عن سيرة الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش. ولا يزال تاريخ إطلاق فيلم إسكوبار غير مؤكد.

قتل بابلو (٢٠١١) (Killing Pablo): تم تطويره في عدة سنوات وتم إخراجه على يد جو كارنهان، وهو يستند على كتاب مارك بودن في عام ٢٠٠١ في نفس العنوان.

إسكوبار: الفردوس المفقود (٢٠١٤) (Escobar: Paradise Lost): وهو فيلم رومانسي يتحدث عن متزلج أمواج كندي ساذج يقع في حب فتاة يتضح فيما بعد أنها ابنة إسكوبار.

محبة بابلو (٢٠١٧) (Loving Pablo): وهو فيلم إسباني من عام ٢٠١٧ يستند إلى كتاب فيرجينيا فاليخو (محبة بابلو، كراهية إسكوبار) بطولة خافيير باردم بدور بابلو إسكوبار، وبينيلوب كروز بدور فرجينيا فاليخو.

صناعة أمريكية (٢٠١٧) (American Made): وهو فيلم سيرة ذاتية أمريكي من عام ٢٠١٧ لباري سيل، وقد قام «موريسيو ميجيا» بدور إسكوبار.

Saxon, Wolfgang (January 18, 1984). «YOSHIO KODAMA; WAS RIGHTIST». New York Times. Retrieved December 8, 2014.

Kaplan, David E.; Dubro, Alec (2012). Yakuza: Japan›s Criminal Underworld. University of California Press.

«JAPAN Yoshio KODAMA Rightist Leader» (PDF). Central Intelligence Agency. 2005. Retrieved December 8, 2014.

«I Was Defeated. by Yoshio Kodama». The Journal of Asian

Studies Frances, Catherine. «Big in Japan: Yoshio Kodama». Metropolis. Retrieved December 8, 2014.

«›Banzai!› Porno Actor In Kamikaze Attack On Japanese Right-Winger». Kingsport Times-News. Kingsport, Tennessee: Sandusky Newspapers. Associated Press. 197624-03- Bruno, A. (2007). «The Yakuza, the Japanese Mafia» CrimeLibrary: Time Warner Blancke, Stephan. ed. (2015). East Asian Intelligence and Organised Crime. China - Japan - North Korea - South Korea - Mongolia Berlin: Verlag Dr. Köster Kaplan, David, Dubro Alec. (1986). Yakuza Addison-Wesley Kaplan, David, Dubro Alec. (2003). Yakuza: Expanded Edition University of California Press Hill, Peter B.E. (2003).

The Japanese Mafia: Yakuza, Law, and the State Oxford University Press Johnson, David T. (2001).

The Japanese Way of Justice: Prosecuting Crime in Japan Oxford University Press Miyazaki, Manabu. (2005) Toppamono: Outlaw. Radical. Suspect. My Life in Japan›s Underworld Kotan Publishing Seymour, Christopher. (1996).

Yakuza Diary Atlantic Monthly Press Saga, Junichi., Bester, John. (1991) Confessions of a Yakuza: A Life in Japan›s Underworld Kodansha America Schilling, Mark. (2003).

The Yakuza Movie Book Stone Bridge Press Sterling, Claire. (1994).

Thieves› World Simon & Schuster Sho Fumimura (Writer), Ryoichi Ikegami (Artist). (Series 1993 - 1997) «Sanctuary» Viz Communications Inc Tendo, Shoko (2007).

Yakuza Moon: Memoirs of a Gangster›s Daughter Kodansha International Young Yakuza. Dir. Jean-Pierre Limosin. Cinema Epoch, 2007.

Yakuza: Japan›s Criminal Underworld by David E. Kaplan Blood Brothers: The Criminal Underworld of Asia by B. Lintner - 2016.

Drug Use and Drug Policy by Marilyn D. McShane, Franklin P. Williams – 1997 Cesare Terranova, Italian Magistrate murdered in 1979 Arlacchi, Pino (1988).

Mafia Business. The Mafia ethic and the spirit of capitalism, Oxford: Oxford University Press (in Italian) Arlacchi, Pino (1992).

Gli uomini del disonore. La mafia siciliana nella vita del grande pentito Antonino Calderone, Milan: Mondadori ISBN 88-35326-04-0 (Reprint Il Saggiatore, 2010) (in Italian) Arlacchi, Pino (1994). Addio Cosa nostra: La vita di Tommaso Buscetta, Milan: Rizzoli (in Italian) Badolati, Arcangelo & Stefano Dodaro (1985).

Il Mammasantissima. La strage di Villalba e il processo calabrese a Calogero Vizzini, Cosenza: Pellegrini Editore, Barzini, Luigi (19641968/). The Italians, London: Penguin Books (originally published in 1964) (in Italian) Caruso, Alfio (2000).

Da cosa nasce cosa. Storia della mafia del 1943 a oggi, Milan: Longanesi Chubb, Judith (1989).

The Mafia and Politics, Cornell Studies in International Affairs, Occasional Papers No. 23.

Dickie, John (2004). Cosa Nostra. A history of the Sicilian Mafia, London: Coronet, Finkelstein, Monte S. (1998).

Separatism, the Allies and the Mafia: The Struggle for Sicilian Independence, 1943 - 1948, Bethlehem (Pennsylvania): Lehigh University Press Hess, Henner (1998).

Mafia & Mafiosi: Origin, Power, and Myth, London: Hurst & Co Publishers, Jamieson, Alison (2000).

The Antimafia: Italy's fight against organized crime, London: Macmillan, Lewis, Norman (19642003/). The Honoured Society: The Sicilian Mafia Observed, London: Eland, Lupo, Salvatore (2009).

History of the Mafia, New York: Columbia University Press, (in Italian) Manica, Giustina (2010).

Mafia e politica tra fascismo e postfascismo: Realtà siciliana e collegamenti internazionali 1924 - 1948, Manduria-Bari-Roma: Piero Lacaita Editore McCoy, Alfred W. (19721991/), The Politics of Heroin in Southeast Asia. CIA complicity in the global drug trade, Lawrence Hill Books Newark, Tim (2007 / 2012). The Mafia at War:

Allied Collusion with the Mob, London: Greenhill Books,

Paoli, Letizia (2003).

Mafia Brotherhoods: Organized Crime, Italian Style, Oxford/ New York: Oxford University Press Sabetti, Filippo (1984 / 2002). Village Politics and the Mafia in Sicily, Montreal: McGill-Queens University Press 2002 (First published in 1984 as Political Authority in a Sicilian Village, New Brunswick (NJ): Rutgers University Press) (Review)

Servadio, Gaia (1976), Mafioso. A history of the Mafia from its origins to the present day, London: Secker & Warburg Sterling, Claire (1990). Octopus. How the long reach of the Sicilian Mafia controls the global narcotics trade, New York: Simon & Schuster, Claire Sterling›s Octopus - The Long Reach of the International Sicilian Mafia 1990.

Arlacchi, Pino (1988). Mafia Business. The Mafia Ethic and the Spirit of Capitalism, Oxford: Oxford University Press Chubb, Judith (1989). The Mafia and Politics, Cornell Studies in International Affairs, Occasional Papers No. 23.

Critchley, David. The Origin of Organized Crime: The New York City Mafia, 1891–1931. New York, Routledge, 2008.

Dainotto, Roberto.M (2015). The Mafia: A Cultural History. Princeton University Press. p. 239. Dash, Mike. The First Family: Terror, Extortion and the Birth of the American Mafia. London, Simon & Schuster, 2009.

Servadio, Gaia (1976), Mafioso. A history of the Mafia from its origins to the present day, London: Secker & Warburg Gambetta, Diego (1996). The Sicilian Mafia: The Business of Private Protection (1st ed.). Cambridge, Mass.: Harvard University Press.

Varese, Federico (2001). The Russian Mafia: Private Protection in a New Market Economy. Oxford, England: Oxford University Press.

Wang, Peng (2017). The Chinese Mafia: Organized Crime, Corruption, and Extra-Legal Protection (First ed.). Oxford, United Kingdom.

Hill, Peter B. (2003). The Japanese mafia: Yakuza, law, and the state. Oxford: Oxford University Press.

Chu, Yiu Kong (2002). The Triads in Business. London..

Capeci, Jerry (2002). The Complete Idiot›s Guide to the Mafia. Indianapolis, IN: Alpha.

Dainotto, Roberto M. (2015). The Mafia: A Cultural History. Princeton University Press. p. 239.

Reuter, Peter. «The decline of the American Mafia.» (Archive, Info page, Archive) National Affairs. Issue No. 120, Summer (Northern Hemisphere) 1995, pp. 89 – 99.

United States. Congress. Senate. Select Committee on Improper Activities in the Labor or Management Field Publication. 1959. Select Committee On Improper Activities In The Labor Or Management Field, United States. Congress. Senate (1957). Investigation of Improper Activities in the Labor Or Management Field. Retrieved 2011 - 01- 26.

United States. Congress. Senate. Commerce. 1972. Commerce, United States. Congress. Senate (1972). Effects of organized criminal activity on interstate and foreign commerce. Retrieved 2011 - 01- 26.

United States. Congress. Senate. Committee on Governmental Affairs. Permanent Subcommittee on Investigations. 1980. Permanent Subcommittee On Investigations, United States. Congress. Senate. Committee on Governmental Affairs (1980). Organized Crime and Use of Violence: hearings before the Permanent Subcommittee on Investigations. Retrieved 2011 - 01- 26.

United States. Congress. Senate. Committee on Governmental Affairs. Permanent Subcommittee On Investigations, United States. Congress. Senate. Committee on Governmental Affairs (1988). Organized crime: 25 years after Valachi: hearings before the Permanent Subcommittee on Investigations of the Committee on Governmental Affairs. Retrieved 201126-01-. For sale by the Supt. of Docs., Congressional Sales Office, U.S. G.P.O., 1988.

فهرس الموضوعات

قبل أن تقرأ ٥

تقديم ٦

المافيا ١٥

المبحث الأول: كارتل ميديلين ٢٦

المبحث الثاني: الياكوزا اليابانية ٨٢

المبحث الأخير: المافيا من صقلية إلى الولايات المتحدة
الأمريكية ١٢٢

الفصل الأخير ١٧٨

مصادر الكتاب ١٨٥